

بيت القاضي



«رياضة القاضي»

# بيت القاضي

- العراب الأخير -

<رواية>



هذا الكتاب برعاية

مؤسسة Iraqibbc الإخبارية بإنجلترا - لندن

8 windsor road London Nw2 5ds





## هذه الرواية :

هي من إحدى الروايات التي تتناول الأحداث والصراعات التي حدثت في بغداد من عام ١٩٠٢ إلى نهاية المَلَكِيَّة في العراق وإن كانت بعضها خيالية -تحدث عن الصراعات الداخلية للأسر الكبيرة في تلك الفترة الماضية- فقررت أن أضيف أحداثاً حقيقية تجعل هذه الرواية أكثر تشويقاً للقارئ؛ لأخرج هذه المرة برواية مميّزة تأخذ القارئ إلى عالم آخر بعد رواية "مولانا السيّد" التي صدرت في القاهرة عام ٢٠١٧؛ وهي الرواية التي اعتبرها أحد أهم أعمالِي وأعتز بها جداً؛ إذ أن أغلب أحداثها كانت مستمدة من الواقع العراقي آنذاك، وللأسف الشديد أحداثها كانت صورة مغايرة عن وجه بغداد الحقيقي اليوم خاصّة بعد مرور أعوام طوال من قيام سلسلة من الحضارات المتعاقبة والتي أهدت العالم بتقدمها قبل أن يُخلط الدين بالسياسة .. وتتحطم آمال الشعوب التي سعت إلى أبسط حقوقها في الحياة وهي "رفاهية العيش" المفقودة؛ فبعد ٢٠٠٣ لم يبقَ في بغداد سوى اسمها .. عاصمة الرشيد التي علّمت العالم معنى الحضارة والأدب .. باتت مُهدّدة بالإفلاس المعاشي والأمني بسبب ما يواجهه من صراعات نتيجة تكالب الدول الحاقدة على تدميرها .. "بغداد تلك الأميرة المدللة" وهذه الجميلة الرائعة التي بقّيت على مرّ العصور عاصمة الجمال والدلال أصبحت الآن تبكي أولادها وتنزف من جرح غائرٍ قاسٍ صرّب كل شيءٍ جميلٍ في بلدي وليس لي سوى أن أقول:

"لِكِ اللهُ يا بغداد يا قلعة الرشيد"

المؤلف





شكرو وتقدير

إلى الأنسة «شروق السامرائي»  
التي أهمتني شخصية «أشرفت»  
في رواية «بيت القاضي»  
-العرّاب الأخير-



## الدرس الاول

- لا تُعزِّز الفشل بوضع يدك في يد فاشل .
- بوسعك أن تكون ثريًا دون أن تعرف كيف تكون قويًا، ولكنك لا تستطيع أن تكون قويًا بدون المال .
- عندما تصطاد .. دع الفريسة تأتي إليك .
- طالما كنت مستعدًا للتنازل ستخسر .
- يقف الحظ دائمًا إلى جانب القوي .
- إذا أردت السلام فاستعد للحرب .
- عندما تهبُّ العاصفة، أَدعِ الله .. ولكن اسبح إلى الشاطئ فورًا .
- عند تحقيق الانتصار .. اشحذ سكينك .
- الإنسان الذي ليس له أعداء، يكون بلا مواهب ولا مميزات .
- اجعل أصدقائك قريبين منك، ولكن اجعل أعدائك أقرب .
- المشاكل المتطرفة تتطلب حلولاً متطرفة .
- العالم يملكه الرجل الصبور .
- كل المشاكل تحل نفسها .. فقط امنحها الوقت .



## الدرس الثاني

- إذا كنت سنداناً فاصبر، وإذا كنت مطرقةً فاضرب.
- المال لا يذهب أبداً إلى السجن.
- من يدفع يحصل على خدمات أفضل.
- عندما ينبغي أن تبثُ .. عليك أن تقنع الضحية بأنك جراح.
- النسور لا تصطاد الحشرات.
- أفضل دفاع في مواجهة الخائن هو أن تخونه.
- إذا لم يكن بوسعك أن تفوز في حرب عادلة، استعن بطرف ثالث يقاتل بالنيابة عنك.
- أفضل طريقة لدخول عالمنا هو أن تكون مولوداً بداخله.

من وصايا الأقوياء



# البيت الأول





## الفصل الأول

بغداد ١٩٠٢

من شُبَّكٍ مكتب قصره الشاهق كان يتطلع بعينين تغشاهما  
مُحْمرة النيذ الأحمر يتطلع بغضب إلى حديقة القصر .. كانت  
عيناه تلتمعان بوميض غريب حتى برز عِرْقٌ نافرٌ في رقبته وهو  
يتمتم بكلماتٍ غاضبةٍ غير مفهومة ممزوجة بحقد دفين استولى  
على قلبه .. فأخذ يمسح ببصره ساحة القصر الواسعة .. يتطلع  
إلى حُرَّاسه المدججين بالأسلحة بكبرياء وقسوة .. تنفّس بعمقٍ  
وثقة كان غارقاً في تفكير عميقٍ مثل كل يوم عنده كل شيء  
كل ما تمنّاه في حياته .. إلا شيءٌ واحدٌ كان خارج إرادته وهو : أن  
يكون له ابن يحمل اسمه .. ليكون العرَّاب القادم لبيت القاضي .

استدار نحو الخلف ثم انطلقت قامته الطويلة وسط مكتبه  
الواسع كالمدارد الغاضب ينفث دخان سيجارته «الكوبي» المخمرة  
انتزعها بعنف من فمه ثم وضعها في المطفأة فأبقاها مشتعلة .

في مكتبه يجد راحة شاملة وإحساساً بالسيطرة على كل شيء من  
خلال مراقبته مدخل قصره .. وكذلك من خلال حركة حُرَّاسه  
الحذرين والمدججين بأنواع السلاح يكون قد أمّن لنفسه حماية  
كبيرة من خطر أعدائه .

الأسلحة قائمة ومعلّقة بشكل هندسي جميل على الجدران  
وسط تهاويل الديكور .. بالإضافة إلى التحف الثمينة مصفوفة فوق  
الأرفف عارضة ألوانٍ من فنون دول مختلفة .. وفي أعماق نفسه يشعر  
بأنها توثق علاقته بعالمه وتدفع عنه غوائل الفناء .

أغلب أنواع الأحلام مُتاح له .. ولا حدود لطموحاته المجنونة وإذا أراد أن يملك البلد فلن يلويه عن ذلك أحد .. له سُلطة نافذة ولا يشيه أحد عن قراراته .. جنون العظمة يستولي عليه ولن يسمح لكائن من كان أن يسلب منه الثروة ولا مكائته .. يستमित من أجل مدّ نفوذه إلى أبعد حدود ممكن.

وضع كأس نبيذه بهدوء على المكتب .. ثم تقدّم نحو مهد الطفل المُسجّى داخله .. وبخطوات هادئة اقترب منه مدّ يده بصمّت أراد أن يرفع الرضيع .. تردّد قليلاً ثم مأل على الطفل النائم فرفعه ببطء قائلاً بسخرية :

«عندما تكبر ستنتقم لوالديك .. وسيخبروك من حرمك منهم ولست أنا من سيقتل على يد لقيط».

تقدّم نحو الشُّبَّاك والرضيع بين يديه .. دفع ضلفة الشباك بيده اليمنى وبقوة ليفتحه بشكل أوسع .. فتقدّمتا ذراعيه نحو الخارج ممسكاً الطفل ببرود .. يُقدّمه إلى خارج النافذة بهدوء وبرود فتساءل في نفسه بجبروت :

- ماذا لو تركته الآن يهوي من بين يديّ؟ من سيُسعفه حينها؟  
لا أحد ..

ابتسم بخبث .. جال ببصره في السماء الزرقاء، ثم نظر بعينين تقدحان شرر الجنون إلى ساحة القصر .. حتى استوقفه منظر الأرض الصلدة .. تلك فقط ما ستلقفه .. كاد أن يُنفذ فكرته الجنونية لولا دخول «عائدة» بطولها الفارع وعطرها النسائي الذي سرعان ما انتشر عقبه في المكتب .. أسرعت نحوه لتنقذ الطفل فصاحت به غاضبةً :

- توقف حالاً هل جُئنت؟!!

نظر إليها بعينين سرعان ما اختفت فيهما تلك النظرات الغاضبة و اكتسيتا بشئ من الحيرة والحجل .. سحب ذراعيه اللتين تحملان الطفل إلى الداخل ؛ فأسرعت زوجته بأخذ الطفل من بين قبضتيه فأجهش الصغير بالبكاء على الفور .. سارعت هي تدهده كأنها أمه تحاول إسكاته وتمبه السكينة بحنانها وعطفها على الرضيع مالت عليه بنهديها المارقين فأخرجت حلمتها الخالية من الحليب لتلقمه حتى يسكت .. بينما توعدت للخادمة التي أحضرت المهد إلى مكتب زوجها بالعقوبة القصوى.

كانت جالسة على الأريكة بلبسها القصير والمثير وفخذها الناعم ينعكس عليه أشعة الشمس .. فقالت بصوتٍ غاضبٍ تعاتبه :

- هل جُئنتَ يا عمران؟! ماذا لو لم يخبرني أحدهم بما أقدمت عليه الآن؟ ولكن الظاهر أن كثرة جرائمك أكسب قلبك القسوة والجبروت .. لتتجرأ ولو بفكرة التخلص من طفل لا ذنب له لا أصدق أبداً ما رأيت منك .. كيف تتناول على وحيدي بهذا الشكل!؟

رغم غضبها منه فقد كانت مغرمةً به حد الموت ..

«عمران بيك» رجل شديد الذكاء وواسع الخيال .. عصري المظهر وكأنه أحد نجوم هوليوود في في تلك الفترة؛ فعيناه السوداوتان واسعتان يتألق فيهما الذكاء والدهاء معا .. شعره الأسود يمنحه وسامةً نادرًا ما تجدها في الرجال .. مؤكدة الكاريزما التي تتجلى بوضوح في شخصيته القوية إضافة إلى طوله وسعة صدره كأنه رياضي .. فهو رجل عصري ثري بلحية خفيفة عصرية .. جعل دخوله إلى عالم التجارة والسيطرة على السوق المحلية شيئاً عظيماً فلا يجروء أحد من العوائل الكبيرة ليس فقط في بغداد بل في عموم العراق من مجاراته أو منافسته.

«عمران القاضي» انتشر صيته كما النار في الهشيم .. ملكٌ بنفوزه  
أغلب رجال الدولة .. بل حتى أقرضهم أموالاً طائلة وأغدق  
عليهم من خيراتٍ لم يكونوا ليحلموا بها قط .. إنه <الكنج> .. لا  
ينقصه سوى دولة يحكمها.

كانت غاضبة عليه ولكنها كانت كعادتها في احتوائها للأزمات  
التي تواجه العائلة في كل ظرف؛ حاورتهُ بهدوء امرأة عاقلة :  
- عليك أن تقتل «سليمة» يا عمران وليس هذا البريء .. الأخت  
التي ضربت بتقاليد عائلتنا عرض الحائط بهروبها مع <توفيق  
بيك> إلى اسطنبول وتزوجها سراً.

أجاب بصوت يشوبه بحّة الإرهاق وقد لاحت في عينيه آي الألم  
والتفجع ثم استدرك في شبه ثورة مكتومة :

- قتلته وأرجعتها إلى البلد مع ابنها .. ماذا أفعل أكثر من ذلك ؟  
قيدتها في زنزانة تحت الأرض أنتظر موتها .. الموت الشيء  
الوحيد الذي أُلجأ إليه للتخلص من العار الذي حاق بي.

- لن يكفي ذلك .. منعتهَا من الأكل والشرب لأيام ثم ستعود  
وتسقيها وتطعمها .. لا لا لا هذا لعب أطفال .. فلا تُسمي  
هذا غسلًا للعار .. لقد استنزفنا دماءً لكي نخمد نار الحرب  
بين عائلتنا وعائلة زوجها المقتول.

- ماذا افعل إذاً .. أردت أن أقتل هذا اللقيط لولا تدخلك.

- هل أنت جاد يا عمران؟! تقتله برميهِ من الشباك؟! الظاهر  
أن النبيذ أفسدك عقلك .. ألا تفكر كيف ستكون حياتي معك  
كيف سأتحمل رؤية بقايا طفل بريء وهو يُقذَف من هنا وفي  
قصري .. هل تعتقد بأنني سوف أتحمّل العيش معك تحت  
سقف واحد؟ «محمود» سيعيش.

قالت مؤنبة زوجها بقسوة وهي مُصِرَّة على إبقاء الطفل على قيد الحياة .. نظر إليها بذهول قائلاً :

- وهل أعطيتِه اسمًا أيضًا ؟

- ولم لا وسيكون ابننا الذي حُرّمنا منه سنين؟؟

احتجّ «عمران» بصوتٍ مرتفع قائلاً :

- لا الظاهر أنتِ من ثملتِ من عبق النبيذ .. كيف تجرؤين على تبنيّ لقيط؟!!

- هذا سيكون اسمه على اسم جدي الأكبر «محمود بيك القاضي» .. فهذا طفلٌ شرعي ولدته أختك وهي متزوجة وليس ابن زنا كما تدّعي أنت .. لو تريد أن تُصلح بقايا الأمور فانزل إلى أختك الحبيسة في زنزانة القصر وانهي أمرها بسرعة بطلقة الرحمة .. ثم دع الحراس يتولون الباقي ولا تنس من أنت فأنت كبير العائلة وصاحب الصولجان والهيلمان.

قالتها بكل حماسة وهي تركز في عينيه بكل جدّية وقد تجمدت ملامح وجهها وكأنه صخرة جبلية .. ثم التفتت إلى الطفل تاركةً زوجها الواقف أمامها يقرر وحده مصير أخته.

أتسعت عيناه غضبًا الآن .. شياطين الشر تتلاعب بأعصابه وتزيّن له أعماله القبيحة بأنها جزء من الحكمة!!

تلقّف مسدسه من دُرج المكتب .. ثم التقط كأس النبيذ ليُفرغه دفعة واحدة في جوفه .. وضع الكأس على سطح المكتب ثم انطلق كثور هائج إلى زنزانة القصر .. والشرر يتطاير من عينيه.

\*\*\*\*\*

حماية السلطة والحكم والتفرد به .. من أهم ما يشغل جميع أصحاب النفوذ .. الانقلاب متاح حتى ولو اضطر الفرد أن يُضحى بوالده لينتزع منه مُلكه .. وكبح جماح أي معارض هو كترويض الثعبان وكسر سُمّه ولمّه بعد ذلك فوق الكتف ..

عندما دبّر «عمران بيك» محاولة اغتيال والده وهو في طريقه إلى اجتماع مهم يقع خارج حدود بغداد .. تم استيقافه في حاجز وهمي من قَبَل بعض الأفراد وهُم بالزّي العسكري .. قبل أن تظهر من العدم سيارتان وتحاصر سيارته فجأة .. ولم ترفتره يسيرة حتى نزل عدد من الأفراد من السيارتين مدججين بالأسلحة المختلفة .. فأمطروا السيارة ومن فيها بوابل من الرصاص حتى اشتعلت النار فيها .. فأخرجوا جثة والده بسرعة تاركين الآخرين ليحترقوا في داخل السيارة .. فأرشقوه بالرصاص حتى نُخر جسده وتشوهت معالمه بالكامل .

كانت هذه الحادثة شماعة يعلق عليها سبب انتقام الابن من الأقارب من الرجال المهمين و البارزين في عائلته .. وفرصة رائعة ليتخلص «عمران بيك» من خصومه ومعارضيه الذين كانوا من اقرب الناس إلى والده .. فأخلصوا له طيلة السنوات الماضية فأتهمهم باغتيال والده .. دبّر خطة وحشية لذلك في اجتماع وهمي جمع فيه الرجال المهمين من العائلة .. ولكنه لم يحضر بنفسه .. فقد أرسل برجاله الأقوياء .. كانوا يرتدون القفازات السود ومدججين بأسلحة فتاكة .. هجموا على المكان بشراسة حتى أنهموا آخر رجل في قاعة الاجتماع .. تاركين ورائهم جثًا تحترق .. ومكانًا مُحطّمًا تغرق جناته بالدماء .

وتولّى تصفية الباقيين بحملات اعتقال أو خطف ممنهجة وتخلص من جثتهم سريعًا برميتها في أماكن بعيدة خارج بغداد أو حرقها في

مزرعته الكبيرة لكي لا يترك دليلاً يدينه بجرائم القتل التي ارتكبها  
ومن ثم قد تُثار عليه مشاكل قد يستغلها بعض الشخصيات من  
الجهات العليا ضده ..

استخدم رجاله طُرُقًا وحشيةً للتنكيل بمعارضيه عن طريق  
أساليب الخطف التي طالت أعدادًا كبيرةً من أقرباءه وحتى غير  
الأقرباء أي -المنافسين- له في التجارة ؛ وبذلك استطاع أن يسيطر  
على ما تبقى من الشخصيات الأخرى الذين يمثلون كبار الرجال  
من -بيت القاضي- وغيرهم .. فأضعفهم ونكّل بهم أشدّ تنكيل  
ليحصل على ولائهم بالكامل .. ويكون بذلك كبيرهم وسيّدهم.

## الفصل الثاني

بُحْطُواتٍ واثقة وملامح قاسية رُسمت على وجهه .. نزل عبر السُّلم نحو سرداب القصر الذي يسيطر عليه السكون التام كأنها مدينة مدفونة تحت الأرض .. واسعة ومُظلمة لآحياة فيها بدهاليزها وجدرانها الرمادية الكالحة .. إمبراطورية تحت الأرض يُعذَّبُ فيها أعداءه بلا رحمة ثم يتخلص منهم دون تردد.

كانت الزنزانة باردة وموحشة يدل صمت جدرانها على القسوة والغم والقنوط .. تُكْتَسَى بالظلام النسبي والرطوبة.

ركّز نظره على الباب الذي يجرسه أحد حراسه ضخّم الجثة وله شارب مشدّب خفيف يسوده الشيب ويعتمر الكاب ببروزه المستدق الذي يعلو الحاجبين ويخفي جبهته.

اقتربَ «عمران بيك» منه فأمره بإيلاءٍ من رأسه أن يفتح له باب الزنزانة .. ليدخل إلى مكان واسع .. معتم ورطبٌ ينيره نورٌ خافت وسُلّمٌ طويل حلزوني يُفْضِي إلى الأسفل حيث كانت «سليمة خانم» مربوطة من ساعديها بحبال غليظة، ومرمية على الأرض بدون فراش يقيها من رطوبة المكان الموحش .. كانت تسعل بشدة ومن ثم يصدرُ من صدرها الضعيف وبوهن شديد أنينٌ حزين مُثْقَلٌ بأوجاع المرض.

عندما نزل عبر السلالم .. توقف لحظة عند آخر درج .. تأمل السقف الناشع والطلاء المكشوط وتلك الرطوبة التي سلخت جلد اخته الضعيفة والراقدة على بلاط مكسر وقذر وسط عتمة كشفت عن نور مأساتها .. بعدما كانت تعيش أميرة في كنف أبيها



لقد اتخذت قرارًا ضد الكيمياء البشرية غيرت كل معادلات حياتها ولكنها أخطأت التقدير باختيارها رجل من عائلة أخرى كزوج لها والذي كان يومًا ما عدوًا أساسيًا للعائلة .. الحروب المتواصلة بينهم جعلت العلاقة منبوذة ومرفوضة .. دفع ثمنها أهله بعد أن فتك «عمران بيك» بهم ونكل أشد تنكيل؛ إذ حرق شركاتهم وخطف رجالهم .. بل وحتى قتل نساءهم وأطفالهم وهم نيام في عقر دارهم فقد كانوا مُعرضين ساعتها لهجوم مسلح أو حرق البيت على رأس من فيه .. دون تمييز بين صغير أو كبير .

أخذ يرميها بنظرات لوم وازدراء ممزوج بغضب كبير .. قبل أن يتقدم إليها بخطوات بطيئة .. فهو يحرص في كل مرة على أن يباغتها ويُربعها وهي في سباتها .. يجد لذة عظيمة في إخافتها لقد كانت شبه ميتة شاردة الفكر من إثر التعذيب .. مرتمية في إحدى زوايا الزنزانة الباردة .. تنظر بعين نصف مفتوحة وبشroud نحو الأرض .. جثة متهالكة تمددت رغما عنها تنتظر مصيرها على يد أخيها .

كانت شاحبةً يتناثر شعرها الأسود الفاحم على وجهها وكتفيها تتأوه من شدة الألم .. عندما اقترب منها وبقلب بارد ركلها بقوة كانت ركلة قاسية كفيلة بأن تجعلها تطلق صراخًا ينبع من روح تعاني الويلات .. وكان ضلعها حينها مكسورًا من إثر الضرب المبرح قبل أن يُلقي بها في الزنزانة .. استجمعت قواها لترفع رأسها ونظرت إليه بملامح تعلوها غلظة وكأنها بُركان وسينفجر .. رفع ساقه اليسرى ثم ضرب الأرض بقوة كالشور الهائج .. حتى دوى صدى كعب حذائه الأسود في أرجاء المكان تألم سمعها من قوة الصوت المدوي فضحك برود ساخرًا منها انتفضت فزعًا كمن أمسكت بحيّة تسعى تمت بكلام غير مفهوم .. حاولت أن تتماسك أمامه وثبتت عينيها في عينيه فلم تتحمل ثقل الجهود

فسقط ذقنها على صدرها من شدة الإعياء.

انحنى عليها فشخصت ببصرها إليه بشجاعة رغم ضعفها كانت تحاول جاهدة جمع قواها وتحداه ولو بنظرة .. قبل أن يشدها بقوة من شعرها إلى الخلف قائلاً وقد تطاير الشرر من عينيه وكأنه قد أصابته اللوثة :

- اليوم نهاية عذابك .. وللأسف .. عليك أن تشكري «عائدة خانم» لأنها صاحبة الفكرة العتيدة لإنهائك .. فالمهم عندي انك رأيت بأم عينيك كيف قتلت «مقداد» .. أدقته طعم الذل أتعرفين عائلته استسلمت لقضاءها وقدرها .. تمت إبادة كل شخص حاول أن يقاوم وينتقم لزوجك اقصد عشيقك .. لم أري بمثل ضعفهم قط .. كانت معركة عادلة بيننا وبينهم رجالي استطاعوا أن يسلبوا حياة أغلبهم .. أشكرك على هذه الفرصة الرائعة التي منحتيني إياها لإزالة عنهم عن بكرّة أبيهم فضاعوا وضاعت أمجادهم إلى غير رجعة .

تمتت بوهن شديد :

- ابني .....

- أردت قتله .. فكّرت أن أرميه من النافذة لولا دخلت «عائدة خانم» فمنعتني من تنفيذ الفكرة .. كنت سأجعل الحُرّاس يلمّون أحشائه في كيس وأجلبه لأرميه على وجهك القذر لتنتعشي من رائحة دمائه .. ولكن للأسف منعتني الزوجة من هذا الفعل أخبرتني بأنّ قتلك أفضل من كلّ شيء .

- تقتل طفل رضيع ! .. يال ضُعبك وقسوة قلبك .. والدي كان مُحِقّاً عندما حاول نفيك وإزالتك من العائلة .

كان قلبها خائفاً على ابنها .. ولكنها جالدت الخوف مجالدة

وفي نفس الوقت كانت تحاول أن تتحاشاه؛ فلربما من ضربة غاضبة أخرى يمزق وجهها او ركلة عنيفة يكسر لها عظاما.

قال -بغضب- وقد بدأ يفقد صبره شيئا فشيئا :

- ولقد أزلته قبل أن يزيلني فالثروة تستحق أكثر .. لقد كان يظن بأنه سلطانٌ ولن يزيله أحد .. لكن رجالي المخلصين لم ييخلوا عليّ بهذه الخدمة .. كان عليّ إنقاذ العائلة من الضعف الذي بات واضحًا علينا .. أردت أن اكون أنا الكبير ولكنه رفض وقاومني .. ففضّلت إزاحته بطريقتي .. مَنْ يدخل عالمنا عليه أن يتوقع أي شيء .. نحن من ندير البلد بأموالنا .. والضعيف لا دور له أبدًا .. وإلا فسيُسحق بلا رحمة .

- وسيتآمرون عليك رجالك أيضًا يومًا ما كما فعلوا مع والدنا هذه السُلطة قذرة لا رحمة لها على أحد .. ما دُمت قد اخترت طريق الدم .. فبالدم ستزول أيضًا.

- اخربي ..

صاح غاضبًا قبل أن يصفعها بقوة كانت كفيّلة بأن يُفصلَ رأسها عن جسدها :

- هو تحت الثرى وانا فوقه .. اقسام بأنه لو كان حيًا لضاعت عائلة القاضي إلى الأبد ولكنّا فريسة سهلة لبقية العوائل التي تترقب زوالنا وزوال ملكنا .. فلي فضل عليكم لأنني انقذت ماتبقى من اطلال العائلة .. أنا من سيكتب لهذه العائلة المجد أنتِ وأبوكِ حطمتما كل شيء وتركتاني أمام مسؤولية كبرى الملّم شمل عائلة منهارة.

«سليمة» لم تكن لديها القوة الكافية لترد على جنون أخيها لا

تزال تتوجع من جذبه لشعرها بوحشية .. بل وحرك كل الأوجاع  
الساكنة في جسدها وروحها .. كانت تتلوى خوفاً وألماً .. لا حول  
لها بعد الآن فهي تعرف أن مصيرها لن يقل سوءاً عن مصير  
زوجها وتعلم بأن أخيها عاشق للدماء وإن صمّم على شيء فعله  
استهجنته بطرفة عَيْنٍ صارمة .. فمصدر هذه القوة هي من ثروة  
والده المغدور الذي يحتمي بها ويستمد قوته وجبروته منها هذه  
السطوة التي اعطته غروراً واغتراف من الشرّ حصة كبرى لتدخله  
عالم الإجرام ...

بوجه بارد وقلب لم يعرف اللين والرحمة أخرج مسدسه - كولت  
براونج - الامريكي من جرابه المعلق تحت إبطه .. بخطوات بطيئة  
ابتعد عنها قبل ان يلوح منه نظرة الوداع .. فتدفقت من نظراته  
رائحة الدماء .. هي من يجب أن تموت قبل يذهب كل ما بناه  
أدراج الرياح .. لم تتفوه هي بشيء لأنها تعلم بأن الموت هو الحاضر  
الآن .. ولا شيء سيبعده عنها إلا بمعجزة .. وهذا شيء مُحال أن  
تدخل معجزة إلهية لتخلصها من قدرها الأسود ..

صوب مسدسه نحوها .. وبهدوء أعصاب ضغط علي الزناد  
ليطلق رصاصة باردة في منتصف جبينها ويرديها قتيلة تضرجت  
بدماءها على الفور .. تناثرت دماؤها على الحائط كالنيذ الصيفي  
فأخذ يتشربه بنهم .. قبل أن يدخل الحارس ويجري بسرعة البرق  
إلى الاسفل كان ينتظر أوامر من سيده بتنظيف وإخلاء المكان من  
جثتها .. كما يفعل دائماً عندما يتخلص سيده من خصومه واجب  
دوري عليه ألا يتأخر بذلك وإلا فسَيده لا يعرف الرحمة .

تأملها من باب التسلية .. لقد أتقن التصويب .. تمهّل في فحص  
ملاحمها تحت الضوء الشحيح كالرحمة بين هذه الجدران العارية إلا  
من خربشات الخطوط والحروف المهزومة المنقوشة تواجه النسيان

كتبته أيادي مجهولة اندثروا مع الزمن.  
نظر إلى حارسه فأمره بإيلاء من رأسه بأن يُنظف المكان .

## الفصل الثالث

«أشرفت»

ليست كل امرأة قادرة على أن تلعب دور الأنتى المارقة وتكون قادرة على أن تغوي الرجال .. فالغواية مهارة تتطلب شطارة وفن وإتقان وبراعة وجمال خيالي وهذه أهم أدوات الغواية والتنكيل بأعنى الرجال، الذين يتناسون رجولتهم وقسوتهم وعنترتهم أمام الصدر العالي وتناسق الجسم والبضيرين وانسيابية الجسد فبذلك تستطيع الفاتنة على أسر الرجل بإضافة مسحة من الجنون عليه .. فكل هذه الشروط لا تستطيع اي امرأة ان تقوم بها لتصل إلى قمة المجد في حياتها وتشر الرجال نثرًا كما تشر الفرس وابلًا من الثلج بحوافرها.

كانت تقود سيارتها كالمجنونة تقصد قصر «عمران بيك» عندما علمت بعد شهرين من صحة مقتل أخته .. الخبر أفقدها صبرها وكأنها جاءت لتنتقم من شخص نغص عليها يومها أخبروها بوفاة أخته ولكنها لم تصدق ذلك وتأكدت من أنه قد تمّ قتلها .. أنكرت كل كلام الصحف التي نشرت النعي بوفاتها وزوجها في حادثة قطار وقررت أن تواجهه .. أنه اليد الذي دبر كل شئ .. تعرفه جيدا .. درست أدق تفاصيله .. مجرم لا يرحم أحدًا.

وقفت فجأة بسيارتها الفاخرة أمام قصر «عمران بيك» لتشير التراب الساكن من على الأرض ويغطي المكان من شدة الفرملة تنتظر بفارغ الصبر أن يُفتح لها بوابة القصر الضخمة .. وما إن فُتحت البوابة حتى أندفعت بسيارتها إلى الداخل بسرعة كبيرة لأتباي إن ستدهس أحدًا وترسله وابلًا تردد منها كل من يقف في طريقها إلى قعر الجحيم.

وصلت القصر ثم نزلت من سيارتها تلهث من شدة الغضب نار العتاب وعدم الرضا يحرق صدرها .. امرأة هتكت برجولة أعتى الرجال فهي هيفاء فارعة الطول .. وجهها أبيض ناعم وثمة بريق غضب مدهش اطلّ من مقلتيها الزرقاوين .. ترتدي فستاناً أبيضاً من الحرير وحذاءً أسوداً ذو كعب عالي شفتين صغيرتين والذقن الرقيقة المزدوجة لون البشرة الأبيض المشرب بقليل من الحمرة التي اكتسبتها من الشمس .. يداها ناعمتان نحيلتان تكتمل رقتهما بالعلاقة التي صنعتها مع رسخها الدقيق الأقرب الى النحافة.

كانت وحتى وهي غاضبة جميلة تسلب قلب كل من يراها صعدت عبر السلالم العاجية التي تقود إلى مدخل القصر وقفت أمام الباب الكبير العالي الذي تزيّنه النقوش العربية طرقت بشدة حتى فُتح لها الباب .. كانت من فتحته خادمة صغيرة جميلة استقبلتها بابتسامة واسعة .. فسحت الطريق للحسنة الغاضبة لتدخل .. دخلت تسأل عنه بلهفة وغضب بل ولربما هو اشتياق لذيذ ممزوج بالغضب .. أمرت الخادمة بأن تُبلغ سيدها بأنها تنتظره في الأسفل وعليه أن ينزل بسرعة والأخير لأهمية الأمر .. اتجهت مضطربة نحو البار لتصبّ لنفسها قرح ويسكي ارتشفتها على الفور قبل أن تتجه إلى صالة الضيوف الواسعة وتلقي بوزنها الخفيف على إحدى الأرائك الفاخرة وتغرق في التأمل مغمضة عينيها الزرقاوين .. أخذت نفساً عميقاً - ترخي أعصابها من فاجعة الخبر التي سمعته - فالنعي أكد بأن أخته وزوجها لقيا نحبها في حادثة قطار في اسطنبول وهذا مؤكد خبر كاذب .. لديها مصادر قوية وتثق بهم بدرجة عالية أكدوا لها أن ثمة شبهة كبيرة تغلف الموضوع وقد تم التكتّم عليه خوفاً من عمليات القتل التي طالت كل من حاول معرفة الحقيقة وتعرف في نفس الوقت من هو «عمران بيك» ولو علم احدٌ بالوليد الجديد لانهارت عائلة

-بيت القاضي- وإلى الأبد .. ولكن لا أحد يعلم بالصغير بعد .. وستكون بمثابة صعقة وفرصة للأعداء المتربصين لهم منذ سنوات للاقتصاص من سمعة عشيقها .. وهذا سيكون بداية الانهيار .

أشرفت تكون كالطفلة الوليدة حينما يدعوها «عمران» لحفلة عشاء تولدت علاقتها به في إحدى الحفلات الخيرية التي تُقام برعاية من الشركات والمؤسسات التجارية والتي يحضرها كبار رجال الأعمال والسياسة .. انتبه لها فارتضى لعينيها فارتخت لرجولته وشخصيته الجذابة وظهوره الطاغى في حياتها كانت مجرد دوامات عميقة من الإحساس تنزل أعمق وأعمق من خلال مشاعرها ونسيجها ووعيتها تراخت له .. فتولدت بينهما علاقة من نوع خاص علاقة جديدة رغم انها تعلم بزواجه من سيدة مرموقة في المجتمع علاقة لامصالح ضيقة أو كتلك العلاقة المزيفة التي تنشأ بين رجل وامرأة .. لا فذلكة او ادعاء .. هناك غيرة وبعض الأنانية حينما تراه يراقص زوجته وابتسامة الرضا تزهو في وجهي كليهما كزوجين .. بل يشع بينهما تبادل حقيقي لمشاعر حب وإلهام .. ففي قلبه مكان لحب امرأتين في وقت واحد .

كانت غارقة في قراءة كتاب أخرجته من حقيبتها لتقتل قلقها فهي دائما تحتفظ بكتاب معها تستعين به وتقرأه ليمتص أرقها .. سواء كانت في النادي أو في البيت أو في أوقات الانتظار المملة في أي مكان .. نزل «عمران بيك» في أبهى قيافته وعطره الزكي يتخلل في الأنوف .. فلما رآها تقرأ قرر أن يفاجأها بصوته الذي يلوعها بنبراته الذكورية :

- ماذا تقرأين ؟

- رواية .. «قالت وقد فرغت من المباحثة» ...



أغلقت الكتاب ووضعتة عمودياً على فخذيها تنقر بأصابعها على الغلاف تتأمله بنظرة عتاب .. قبل أن تهمس :

- هل هي فوق ؟

- خرجت مع السائق في زيارة لوالدها .. ولكن كان من المفترض أن تتصلي بها قبل الزيارة.

- هي صديقتي وانت صديقي فأين باب الإشكال من ذلك ؟ ام تخاف منها؟؟

قاطعها بحدّة :

- تعرفين أن لا شيء يخيفني حتى والدها يعرف من أنا.

- «عمران بيك» طبعاً .. -همست بنعومة-

كاد أن يقفز عليها من شدّة اللوعة لولا انه كان في قصره فتمالك نفسه قائلاً :

- ها أنتِ قلتها.

ثم أعادت ذكر اسمه للمرة الثانية ولكن هذه المرة بحدّة فأظهرت خشونة ناعمة في ردة فعلها من خلال عينيها الجميلتين فأضافت

- «عمران بيك» لماذا «سليمة» بالذات ؟

وقع ذكر الاسم على «عمران» كمفاجأة من العيار الثقيل لم يكن ينتظرها .. كان كافيًا في أن يتغير هدوءه في ثانية .. أدار لها ظهره فنهضت وتقدمت نحوه حتى أصبحت تواجهه وجهاً لوجه فقالت له بشجاعة وحدّة :

- تقتلها؟ كيف تجرؤ على قتلها .. أعلم أنك قتلتها ولا تنكر

ذلك .. «عمران» تعرفني جيداً مَنْ أنا .. وأنا الوحيدة التي  
أعرف بخبر ولادة الطفل .. طبعاً الدكتور الذي سجّل الطفل  
باسمك تم قتله لكي يموت السر معه.

كانت صعقة قوية دَوَّتْ في أَسَاعِهِ .. حتى توتر قليلاً .. فكاد  
التوتر ييقر معدته ولكنه لم يُظهر بأن المفاجأة قد أثرت عليه ربما  
لسبب ما ولكنه حاول ان يبرر موقفه منها .. كونها أقرب الناس  
إليه وعشيقته التي تحاول معرفة كل شئ .. لتحميه من أي مؤامرة  
ضده .. لا أن تتآمر عليه :

- كان لها الدور في خراب سمعتنا.

صاحت بضيق :

- وماذا فعلت هي ؟ زنت ؟ تزوجت المسكينة .. وهروها كان  
بسبب جبروتك .. وطفغان افكارك السادية التي ستؤول بنا  
إلى الخراب.

- اخفضي صوتك .

قالت متحدية وبنبرة سخرية طغت على صوتها وحر كاتها :

- وإن لم أفعل ماتقول .. ماذا تستطيع فعله ؟ تقتلني مثلها .. او  
مثل من قتلتهم وتقتلهم في كل فرصة سانحة .. لكي تنال  
الولاء من كبارنا وتكون كبير - بيت القاضي - .. والسيد  
الأمير والناهي فينا .. ونحن علينا طاعتك والرجوع إليك في  
كل صغيرة وكبيرة.

ساد صمت الكهوف بينهما قبل ان يشعر بالم حاد يشطر امعاءه  
لحظتها فالعرق بدأ يزحف على جبينه .. ثم أردف بهدوء متهاكاً  
اعصابه رُغماً عنه :

- قضاءها وقَدَرُها ؟

- لم يكن قضاءً وقَدَرًا.. أنت تعرف من أنا «سيد عمران» .. انا أعرف كل شئ يجري على ارضنا .. لا تعتقد بأنك سوف تقنعني بأنك فعلت ذلك من اجل مصلحة العائلة .. انت كنت تخطط في السيطرة على ممتلكات زوجها ودمج شركاته معك ومن ثم تقتله .. ثم وجدتها فرصة عظيمة لتستولي بها على أملاكه بالكامل وفق عقد بيع وهمي تحت تهديد السلاح وقد ملكت الآن أضعاف أضعاف ما وَرَثْتُهُ عن والدك .. كان بإمكانك أن تحتوي المشكلة ولكن الطمع يعمي البصيرة.

-.....؟

- «كيف تعرفين بكل هذه الامور» .. كان يرددها في نفسه .. لو لم تكوني «أشرفت» التي تغتالني دومًا .. لدفتك منذ زمن بعيد .

- قبل اسبوعين من عودتي عندما كنت في لندن قرأت إحدى صحفنا المحلية التي وصلتني هناك خبر النعي .. فلم أصدّق .. القصة تقول أنها وزوجها لقيتا حتفهما اثناء خروج القطار عن مسار السكة الحديدية في اسطنبول .. وطبعاً هذا كذب في كذب ولا احد يعلم بالطفل لأنه لم يُسجّل حينها وأنت بحُكم علاقاتك زورت شهادة الوفاة مع مدير المستشفى وكالعادة رشيتهم ومن ثم قتلتهم .. والمشكلة أن الناس يخافونك وبالتالي لا أحد يتجرأ على نطق الحقيقة حتى وإن علموا الحقيقة ولكن هذه الحادثة فعلاً لم تُثَرَّ جدلاً واسعاً لان الجميع قد صدّق كل ما حدث والذي لم يصدق اضطر إلى السكوت أو تمت تصفيته بطريقتك الخاصة .. إلا عائلة زوجها .. كانوا خائفين ولم يتجرأوا على مقاضاتك أو حتى أن يفكروا بالانتقام منك وفوق ذلك

قتلت منهم الكثير بوحشيتك «عمران» يجب أن تقلل من بحر الدم الذي تسعى إليه وإلا فلن يحميك رجال السلطة كثيرًا .. هؤلاء قوادون يبيعون ذمهم إلى من يدفع أكثر .. لا تستعمل أسلوب التصفية إلا وقت الضرورة عندما تصل إلى نهاية الطريق بالتفاوض مع الخصم حينها تخلص منه ولا ترحمه أبدًا.

- لقد قُضِيَ الأمر يا أشرقت .. لن نحاسبيني على تصرفاتي ابداً مفهوم .. أنا لذي مشاريعي ولا أريد أي أحد أن يؤثر على ما أخطط له .. ولا حتى أنت.

- تهديد؟ أم تحذير.

- لا تكوني حمقاء .. بالرغم من أني أحبك و ...

كاد أن يذفن أصابعه في شعرها برقة لولا أنها منعته ثم رفعت حاجبها الأيسر بغضب فازدادت إغراءً وأنوثةً وهي تقول :

- بدأت لا أثق بك .. لقد انفض السامر ونفرق الشامل.

حملت حقيبتها ثم خرجت مسرعة من القصر تاركة «عمران» في ذهول عميق يتأمل خروجها بصمت كبير .. وهو يتساءل ماذا تتقصد بجملتها الأخيرة؟

\*\*\*\*\*

«أشرقت» الأنثى التي تتكلم بمواء القطعة الأنثى الطازجة ونكداء أو هكذا يعتبرها أحيانا عندما تتدخل في أموره ولكن عندما تقترب منه لصقا بأنفاس لاهثة وأصابع مرتعشة تمس شعره فينسى قسوته .. التي تعيش بداخله فتقلص كل ملامحه وأعضائه إلا الذي دفعها للتأمل الشبق فتعريه وبعد دقائق من غيامه يكشف انها ليست كأي أنثى عادية .. تلفظه وتحوله من سجانها إلى سجينها تُعفره

بالحب من رأسه الى أخمص قدميه يسمع حفيف أطرافه وخبط أقدامه داخله وهو يجري ورائها يطلب عفوها ورضائها القاعدة الركنية في هذه الحالة هي انها حالة خاصة لم يصادفها من قبل كأن فيها سحر ومسّ ويحس أحيانا بأنه مضروب بالعار .. خوفاً من أن يكشفه أعدائه بأنه يحتفظ بعشيقته سرّية يعيش في ازدواجية الجبار والعاشق ولكنه في النهاية إنسان وعاشق متمرد على واقعه تلكزه تلك المتهيجة وتمس له :

- لا يهم إن تزوجتني أم لا المهم انت بجانبني .. اشعر بك وتشعري.

يسمع تنفسها المنتظم يصدر صفارات مكتومة من أنفها المدفوس في الوسادة تنام كمراهقة مرهقة .. تضع في ملامحها كل ماتقدر عليه من كحل ولون شفاه وبودرة ورسم للحواجب .. لكن كل هذا يتبدد بنومتها السارحة التي أربكته .. وتشيره .. تشد شهوته الراقدة على الرغم من قلة نومه وعصبيته .. ولكن جاذبية العيون التي تقاوم النعاس وهي تستيقظ من نومها تنعش روحه فيستعيد وجهه بها .. خاصةً عندما تضحك فتتورط هي في الإعلان عن أنوثتها ..

فكيف يواجه الواقع .. زوجته .. ثم كان هذا الوجود اليومي اللزج لوالدها الذي يراقبه كمحاولة منه أن يتعرف على كل نشاطات صهره كل التفاصيل الصغيرة والكبيرة لكي يمسكه من خصيئته ويمنعه من الحراك ثم إضعافه والقضاء عليه «جاهد بيك» خطير رغم ضعفه .. له تاريخ اجرامي واسع ولايستهان به ومع تقدم عُمره تبقى لسعته قاتلة.

فهذه الحياة تأتي إلينا بمواتيرها المزعجة لكي توظف فينا غريزة الشر التي نلجأ إليها للوصول إلى غاية معينة ...

ولكن مهما يحصل فسيفقى هو سیدًا على عرشه .. وعلى «بيت  
القاضي».

## الفصل الرابع

في مكتب والدها الفاخر والكبير .. الذي يضيف روح الفخامة والترف من اختياره النظام الكلاسيكي للديكور والذي يعشقه «جاهد بيك» .. كانا يتحدثان بجدية تامة أضفت إلى جو الحديث والجلسة رهبة كبيرة .. كان «جاهد بيك» قد بلغ آل بيته والخدم بعدم الدخول عليها وذلك بسبب نقاش مهم يدور بينه وبين ابنته .. كائن من كان ممنوع أن يدخل .. حتى زوجته التي تتمتع بقوة شخصية طاغية لم تُعارض فكرته .. بل استحسنت فكرته من أن يختلي مع ابنته قليلاً في مكتبه لحل بعض المشاكل العالقة والتي باتت تهدد مصير العائلة كانت محاولة منه للتدخل في أمور ابنته التي تعقدت والسعي الجاد إلى حلها بأحسن الطرق المتاحة في الوقت الراهن .. وكذلك فهي فرصة ومحاولة تنقية العلاقة التي تدهورت بينها وبين زوجها التي اخذت طابعاً آخرًا بسبب استهتار «عمران بيك» بكل شيء والذي باتت تصرفاته قَدْرًا أسودًا يهدد مصير العائلة وهيبتها بدت ابنته قلقة بشأن زوجها وعلاقتها به .. الذي سيكون حتماً على قاب قوسين أو أدنى.

كان جالساً مع ابنته الوحيدة الشاردة الحزينة .. التي تزوجت من «عمران» قبل سنين طويلة .. عندما كان مجرد شاب برئ لم تختلط يدها بدماء الناس بعد .. كان والدها قد استدعاها على عَجَلٍ لكي يبحثا عن حلول جذرية للخروج من مأزق وتحمدي كبيرين وهو تمرد زوج ابنته على التُّجَّار فجأة .. وظهور حوت جديد في السوق التجارية وهو بيت «الجلبي» .. الذي ظهر كالشبح الغاضب يضرب بمصالح التُّجَّار الكبار باستهتار .. مما هدد بذلك مصير بيت القاضي - والتنكيس من هيبتهم بين الطبقات الراقية.

كان صوت والدها جهورياً فخماً رخيماً واضحاً .. له إيقاعٌ خاص يناسب في إلقاء القصائد أو الخطب بقميصه الأبيض مفتوح الصدر يتدلى على صدره المشعر سلسلة غليظة من الذهب كانت ملامحه نائمة .. وغاضبة وبوجه ملتح متجهم لا يخفي عينيه الذكيتين فيما تدور في مآتيها من القلق والذهول .. فقال بقلق كبير :

- عائدة .. زوجك سوف يوصلنا بدكتاتوريته إلى مستوى القاع سوف يهدم ما بنيناه .. أنه مجنون .. وستكون نهاية لتاريخ عائلتنا العريقة وبلا أدنى شك .. يجب أن نوقفه ولو بالقوة.

- أعرف ذلك .. أنا اكاد أرى هذا السقوط .. وإن سقط فلن تقوم له قيامة بعد ذلك .. لقد خلق لنفسه أعداءً لن يستطيع مجابتهم في المستقبل إذا اتحدوا عليه وحاولوا النيل منه العوائل الكبيرة تتطلع إلى سقوطنا في أية لحظة وحين وهذا ينذر بنهاية مخيفة له ولنا.

- وكيف لا وقد قتل والده واخته .. وقتل تجاراً كباراً كانوا من خيرة شخصيات -بيت القاضي- .. ولولا رجالنا المخلصين وعلاقاتهم مع رجال الدولة لكنا الآن من الهالكين .. ولننذرنا مشتتين مهملين .. يجب حماية اسم عائلتنا وهيبتها -بيت القاضي- يجب أن يكون أقوى من السابق نحيمه من كل شخص يحاول المساس بنا .. ولكن نحمد الله على كل شيء رغم كل شيء.

كانت «عائدة» شاردة .. بعيداً .. بعيداً جداً إلى حد أنها فقدت السمع حتى نكزها والدها في يدها ليعيدها إلى وعيها .. شرودها المفاجئ كان بسبب أخلاق زوجها الغير مناسب .. جفلت من النكزة فابتسمت بهدوء يشي عن اعتذارها من الشرود المفاجئ الذي غلفها رُغماً عنها وهي جالسة في حضرة مقام والدها البيك.



- لماذا هذا الوجوم حبيبتى ؟

- ما زال معها .. «أشرفت» .. لم أكن أتصور يوماً بأن هذه المرأة المتكبرة ستدخل حياتنا فجأة و...

سكتت كاتمةً حزناً عظيماً فلم تستطع أن تكمل جملتها .. زمت على شفيتها بقوة مغمضة العينين متألّمة فالاسم كان كالمنشار الذي استقر في منتصف الجذع ولا يقطعه .. بل يزيده ألماً كالخنجر الضارب في الخصر .. اخترق كل أحشائها ومزقها شر تمزيق .. «أشرفت» تلك الأفعى الصفراء .. لا تقبل شراسة عن «عمران» ولكنها تضرب على الوتر الناعم فتبتره «أسلوب نسائي ناعم» ولكنه فتاك .. تغلغت في ربوع الأسرة كشبح اخترق جداراً منيعاً بلا استئذان.

لوح الأب بيده اليسرى .. ثم قال محاولاً من تقليل أهمية «أشرفت»

- «أشرفت» فراشة ناعمة أسحقها بإصبعي الصغير ولكن «ياسين الجلبى» كيف سنسحقه ؟ انه حوت .. بل أكبر من ذلك أصبح له أصدقاء في الوزارات ونفوذه الاقتصادي امتد في زمن قصير جداً منذ ولوجه إلى عالم التجارة الحرّة .. كيف اتصرّف الآن وأنقذ ما تبقى من مصالحننا و«عمران» لا يعطني الضوء الأخضر !

- الضوء الاخضر ؟ هل نسيت من انت ...

قاطعها بحدة حتى برز عرق أزرق نافر في رقبتة :

- ميناء أم قصر صارت ملكه .. بضاعئه في السفن الراسية هناك طغت وغطت الميناء وقريباً جداً سوف يكتسح السوق ويدمرنا وأنا لا أعرف لماذا «عمران» ساكت على هذا المخلوق لا تنس زوجك ونفوذه فإنه يستطيع التخلص مني إذا شاء ..

ثم واصل بوجوم بعد صمت قصير :

- آل «الجلبي» يستوردون ويصدرون بضائع بأسعار زهيدة لا تتفق مع أسعارنا .. أدخل هذه المرة بضائع أجنبية بالاتفاق مع التجار البريطانيين وبالتالي أصبحنا تحت رحمة الرب لو يستمر الوضع كذلك سنكون قد وصلنا بذلك الى خطوة الاحتضار والإفلاس في خسارة وتيهٍ لا نهاية لهما .. زوجك يحسر أموالاً طائلة عن طريق دفعه للقتلة أموالاً طائلة لتنفيذ العمليات الإجرامية بحق منافسيه الذين يمتنعون عن طاعته لأوامره .. وأغلب الأحيان يستعين بنا لتمويل القتل .. وهذا ضرره كبير جداً علينا .. نحن نتكاتف في أمور الربح والخسارة لا ان يهدر دم الناس على كل كبيرة وصغيرة هناك أسلوب الكلام والمنطق يجب عليه اتباعه واحترام الآخرين مهما كانوا من معارضين.

- وماذا عن سوق السلاح الذي نسيطر عليه ألا يعوّضه عن خسارته ؟ ورجالنا ألا يُجركون ساكناً ليحموا مصالحهم ؟

- الظاهر ابتعادك عن التجارة منذ أن تفرغت لتربية «محمود» أنسك لعبة السوق .. كل شئ يتغير في طرفة عين التجارة أضحت كالسياسة .. يوم لك ويوم عليك.

- لم أنس ولكنك تعرف أنني تفرغت لتربية الصغير بعد مقتل والدته لا أكثر .. ولكنني مازلت أتابع الأخبار.

- الحكومة كما تعلمين ضعيفة وفاشلة جداً .. بل وتحتضر ورجالنا هم الذين يسيطرون على سوق السلاح في كل الاوقات ولايبالون بالقوانين والبقاء هو للقوي .. ولكن لا استبعد ان يتغلغل «ياسين الكلب» في هذه التجارة ويدس انفه

في منافستنا أيضاً ثم وبمساعدة أقربائه سوف يسيطر على كل شيء .. إنه أخطبوط يا صغيرتي.

- سنلاقي اسوأ نهاية على الإطلاق لو لم نتحرّك .. حسبنا ما لقيناه سابقاً من بيت «الجرخجي» من منافسات قاتلة وقوية بل وخسرنا كثيراً من الرجال والأموال لكي نزيحهم من عالم التجارة فنحن نواجه اصعب المراحل الآن قسوة والتي لا تليق بأسرة -بيت القاضي- .. علينا أن نحفظ مصالحنا من اطماع هؤلاء وإلا فسنخسر كل شيء .. أنا أثق في قراراتك وأنا معك بكل شيء تخطط له .. املاً في إيجاد مخرج كامل من هذه الأزمة.

أطرق والدها خافض الرأس .. لا يريد ان يتلهوج بقرار ومن ثم يندم عليه وقد رنق الكرى جفنيه :

- نريد ان نقرر في مصيره أزاحته واجب .. ولكن إن حاولنا بشكل سلمي وهذا مستحيل بالطبع لذا يجب عليه أن يدرك بأن عليه تغيير مساره في علاقاته مع التجار وأصحاب النفوذ في الخارج والداخل وإلا نهايته ستكون وشيكة .. فقبضة الحديد القاسية تضرّ ول اتنفع في مثل هذه المواقف التصنيفات الجسدية هي من أشدّ نقاط الضعف الذي يقدمها زوجك لزوجك سيلاقي مصيراً قاسياً لو استمر على هذا المنوال.

طاف بها الفكر مرة ثانية .. حتى كادت ان تنسى ما حولها ارتشفت فنجان قهوتها لكي يعود لها قليلاً من صفاء ذهنها فالتفكير الكثير كالموت الأسود يزحف على الجسد ويشمله في ثوان .. فانقلبت إلى حيرة خرساء وبداء في وجهها القلق .. وكأنها تتردّى في هاوية لا قرار لها.

كان والدها يراقبها .. حزين عليها بل كان ينظر إلى وجهها ويعتبر ابنته أنفوس عنده من الدنيا وأنعمها .. هو لديه حل واحد ورغبة الإفصاح عنه مستحيل .. والقلق يعتلج في نفسه وهو يراها ساهمة الطرف ثم قال مبتسماً :

- أعدك بأن أحلّ الموضوع بنفسني .. ثقني بي حبيبتني .. لن أتركك في هذه المحنة .. ولن اسمح أبداً بأن يذبل هذا الوجه المشرق .. ثقني بي .. تمتعتي بالسعادة زمناً رغداً فلا تفوتني على نفسك فرصة أن تعيشي شبابك وتستمعي به .. هذا الغر الجاهل هو أعمى القلب فهل تعتقدين أنه سيحجني من بعدك إلا حسرة مضاعفة وهماً مقياً .

ثم واصل وكان الأمل نزل عليه كالوحي فجأة :

- ابنتي الوحيدة .. مهمتي الحفاظ عليك مهما كلفني الثمن نحن على مشارف صراع كبير سيجتاحنا قريباً .. إن لن يتوقف زوجك عن غطرسته فسوف ننال الويل من قبيل بقية العائلات التي تريد نهايتها .. أعدائنا يتزايدون ويتكالبون علينا ويوماً ما سيغتالونه .. صدقيني لن يتوانى أحد عن فعل ذلك فقط ثقني بي ودعيني أتصرف كما ينبغي لأوقف حمامات الدم التي حلت علينا من جرّاء أفعال زوجك .. البلد كما ترين أسيرٌ وضعيف وينحني بإجلال للأقوياء .. لا يهم سواء كان حاكماً أو سياسياً أو تاجراً .. ينحنون أمام كل شخص سواء كان ابن البلد أو الغريب الغازي .. المهم من لديه سلطة المال والشدة والقوة هو من سيحكمنا حتى ولو كان أجنبياً إننا في عصر الخوازيق التي تطيح بنا .. الغدر يلعب دوره ونحن لا نحرك ساكناً دعيني أتصرف كما ينبغي وانتبهي أنت للصغير .. الابن الذي حُرمت منه .. اعنتني به جيداً لعلّه

يكون خيراً وِعَوْنًا لنا .. فهو هدية الله إليك.

## الفصل الخامس

«ياسين»

كانت النار مُستعرة في رأسه وجوفه من شرب الخمرة .. فهشّ  
لفكرة غسل رأسه بالماء البارد من الحنفية .. دسّ رأسه تحت حنفية  
الماء فانبسّط أساريه .. ثم دخل العمارة وسحب فراشه من  
تحت السُّلم الرطب والمظلم وفرشه بهدوء ليأخذ نصيبه من النوم  
في هذه الليلة .. قبل أن يتهالك على الفراش .. ويرمي بثقل الجسد  
المرهق عليه فأخذ يتخلص من حذائه وجواربيه ثم تدّثر ببطانيته  
التي لا يملك أعلى منها بل وحتى يعتبرها أدفاً من حضن النساء  
مهما بلغن من الحنان من درجات .. ثنى ساعديه شابكاً راحتيه  
تحت رأسه بهدوء وأخذ يستجيب لنداء التفكير في آخر الليل كما  
هو شائع .. دفى الفراش أعظم من دفى وحنان النساء الفرق بين  
الفراش والنساء هو : أن المرأة تطلب المقابل وشعارها المال فوق  
كل شيء ولكن الفراش يأوي الغني والفقير تحت دثاره وبدون أن  
يتقرز من أي شيء .. وبدون أي مقابل كان كالشبح غير مرئي في  
جوف الظلام تميز وجوده من خلال إصداره اصواتاً خافتة كما  
تصدرها الفأرة المختبئة بين أكوام القمامة وهي تقرض الأشياء  
كان يتهايلينام قليلاً .. ثم يستعد لاستقبال صباح آخر لا يحمل  
سوى الشؤم .. ولا يعلم ما تحبؤه له الأيام من مفاجآت .

أكله القلق فبدأ يشتم ويلعن بعباد الله دون سبب .. بصوت  
مبحوح .. وهو يتقلب ناخرًا في الفراش .. فتمر الوجوه الغابرة على  
مخيلته وقت الرقود فيبدأ بإطلاق السباب مع نفسه دون ان يميز بين  
الطيب والخبيث .. فقد حقد من ضنك العيش على الجميع .

«ياسين» ذلك الشاب الأسمر القصير .. لم يبق من بدنه غير العظام التي برزت في وجهه وباقي أجزاء جسده .. ولو تعرّى بشكل كامل .. فإن العيان لا يرى فيه سوى هيكل عظمي معقد التركيب .. جسد وكأنه مُحَنِّطٌ من قبل آلاف السنين .. بل ليس هناك ما يدل بأنه جسد إنسان عادي .. كان نحيلًا كالمومياء شاحب اللون .. وهيئته بعد الجراحة المعقدة في الفكّين الأعلى والأسفل والذقن والجبهة أفقدت كل شئ جميل في داخله .. لم يكن قبل ذلك القبح طابعه .. ولكنه فقد مذاق الحياة بأكمله كان ثمة تجويف صغير في جانب الجبهة بالإضافة إلى الاعوجاج في الفكّين أضفى عليه حقدًا من غير معدنه وانحدارًا تامًا في الذقن إلى الخلف .. حتى امتلأت عيناه بالضباب.

كان مشوّه الفكّين ولا سيّما فكّه الأعلى التي انكسرت الأسنان فيه إلى حد فظيع كأنه تلقى ضربة ملاكم أو أحدهم ضربه بعصا غليظة فكسر كل شئ في ملامحه .. ولكن في الواقع أن الضربة كانت نتيجة سقوط حُر من أعلى الأبنية قبل خمس سنوات ولكن بالطبع كان السقوط خارج عن إرادته.

إنه أحد الشخصيات المنسية .. نساها الزمن بلا رحمة .. طوى عليه النسيان واصبح من ضمن ملفات الارشيف التي تُنسى بعد زمن طويل .. كالصفحة الصفراء القديمة المهترئة بين طياتها الارشيف الذي لا يُفتح ولا يُقرأ في هذا الزمان .. الا نادرا.

فلم يكن همه سوى أن يقتات عيشه من أصحاب المطاعم في منطقة الباب الشرقي .. يتصدّقون عليه ثم بعد أن يشبع ! يبدأ بالسباب وقذف الشتائم فتكون النتيجة طبعًا أن يُطرد من المطعم ويهان كالعادة .. فيعود إليهم في اليوم الثاني فتُعاد حادثة كل يوم بزيادة ولا نقصان.

كان ناظم على الأغنياء والقسمة التي يعتبرها غير عادلة «كما يصفها» التي قسمها الله له .. وطبعاً «حاشا لرب الكون من ان يكون كذلك فهو ملك الملوك ورب السموات والأرض» ومقسّم الأرزاق بالعدل.

«ياسين» لا يستكين له لسان .. وذو الصوت المبحوح الذي يُعقّب على الحوادث اليومية بلا ملل أو ضجر .. والشاب المكسور الذي يتصيّد بخته من المازّة وبالرغم من أن دنيا الأصدقاء على رحابتها تقتضي بأن يكون لكل شخص صديق .. إلا أن ياسين لم يكن له أحداً يُحبّه .. حتى إخوته طردوه من المنزل لأنه شوهد ذات يوم وهو يراقب من شباك الغرفة يتجسس على جارتهم .. عينيها الواسعتين .. زرقاوان موجة الشعر .. نفيض بشراً تلاً حول جيدها قلادة ذهبية .. تتوسط بين ثديين نافرين كانت تستحم وقد تركت شباك الحمام الصغير مفتوحاً لغرض التهوية ولم يكن في حسابها أن جازاً كـ «ياسين» سوف يكشف منحنيات جسدها وكيونتها من خلال خطأ لم تتقصده هي انحلال شعرها الاشقر وتدّل الى ركبتيها وستر مابان من سواتها كانت شرايين رقبة «ياسين» تبرز وتنتفخ ويشعر بالدم يتصاعد حاراً ملتهباً إلى رأسه .. صدغاه يختلجان في عنف .. وفجأة خائته نفسه وبدأ صوته يعلو بدون أن يدرك من فعل النشوة الفاجرة.

رأته عندما كان يستمني على وضعها المغربي ففضحه صوته والذي بدأ يتصاعد من أثر النشوة التي كشفت وفضحت أمره في الحال .. ولم يشفع له أهله أيضاً مما اقترفه من ذنب وكأنهم كانوا ينتظرون أن يزلّ بفعله .. ليطردوه إلى غير رجعة كما طرد الله إبليس من الجنة.



لم يكن بعد يُعاني من لين في يده بسبب تشوّه العظام في أطراف اليد نتيجة الكسر والسقوط الذي تعرض له قبل سنين .. فقد كان شاباً يتمتع بصحة جيدة .. قبل أن يتعرض لحادثة مريعة أطفأت فيه كل أمل له في العيش .

فقبل خمس سنوات مرّت عربة يجرها حصان من إحدى الأزقة في منطقة الفضل ببغداد .. فانسلت من تحت عجلة العربة حجارة اندفعت مقذوفة باتجاه إحدى زجاجات السيارة الواقفه فكسرت زجاجة النافذة الجانبية .. مما أثار حفيظة صاحبها وأمر حراسه بالبحث عن الجاني .. فما كان من الأهالي إلا وأن يوجهوا أصابع الاتهام خوفاً من غضب «البيك» إلى «ياسين» .

دارت الهمهمات والأصوات مُعلنة عن غضب صارخ سينفجر بعد قليل .. فسيارة البيك انكسرت .. ولن يرحموا أو يتساهلوا مع ذلك المعتوه «ياسين» الناقم دائها على الأغنياء .

كان «ياسين» نائماً تحت السُّلم كعادته قبل أن يتعرض لهجوم مباغت من قبل رجال البيك .. فهذا المكان سكنه منذ أن تم طرده من البيت وصار بيته منذ ذلك الحين ..

أيقظه أحدهم لكي يحذره من خطر الغضبة القادمة من قبل رجال البيك .. ولكنه لم يستطع النجاة على الرغم أنه حاول الهروب عبر سطوح المنازل ولأن التحذير جاء متأخراً .. حيث كان ثلاثة من رجال البيك يلاحقونه وقد أوشكوا على اللحاق به كانوا عمالقة وأقوياء وغاية في السرعة عند الركض .. وفي عجلة وهوجة أفلت منهم مؤقتاً .. بعدما حوَصر كالفأر في إحدى زوايا الأبنية ولكنهم تعقبوه حتى أمسكوا به .

في البداية كان «ياسين» يقفز من فوق حواجز السطوح المنخفضة

بمهارة .. قبل أن تخونه لياقته ويلهث من التعب .. فلبد يختبئ في إحدى الغرف المبنية في السطوح علّه ينجو منهم ولكنهم اصطادوه كما تصطاد القطة الفأرة بعد حصارها وبدون أدنى رحمة .. كان يرتعش خوفاً وهلعاً وظنّ أنه اليوم الأخير من حياته .

ضربوه ضرباً مبرحاً حتى غطت الدماء وجهه .. كان يتنقل بينهم كالكرة من قدم إلى قدم .. يضربه الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم يرجع ليسقط بين يدي الرجل الأول .. حتى جاء وقت التخلص الحاسم منه برميّه من أعلى السطح .. لينهوا حياته من شاب كامل إلى شخص لا يحمل في جسده سوى عظاماً مكسورة ولحمًا طرياً .. وروحاً لا حياة فيها .. والتي فُشِلَتْ يوماً في أن تحمل الخير لصاحبها .

أسعفه بعض الغرباء اللذين هم ليسوا من أهل المنطقة أصلاً فأهل المنطقة خافوا من غضب البيك الذي هدّدهم بالتنكيل لو حرّكوا ساكناً لإنقاذه .. كان غارقاً بدماءه يلهث .. ويستنجد نفحة من الهواء يَحْتَنق .. يرفس كالطير المذبوح من الألم .. ولكن بلا فائدة .. خاتمه الظروف .. بعدما خذله الأشخاص .

ولهذا قرّر بعد هذا اليوم ألا يرحم أحداً لأنه لم يتلق الرحمة والإحسان من أحد .. بينما كان على وشك الاحتضار .. حتى اللذين انقذوه في اللحظة الأخيرة اعتبرهم جزءاً من القتلّة لأنهم انقذوه من الموت ليعيش حياة المعاقين .. فياليتهم تركوه يموت .

ترن الكلمة في أذنه كالصدى الذي يزيده عذاباً على عذاب :

- مُعاق .. مُعاق .. مُعاق .

## الفصل السادس

«رحاب»

تلك المرأة منذ أن حلّت كساكنة جديدة في منطقة البتاوين وبالتحديد في إحدى أزقتها التي اختارتها هي لتكون لها كمسكن آمن بعيدا عن كل الشبهات فأشترى لها زوجها السري بيتا واسعا في إحدى العمارات لكي تكون مركز استراحته معها والتي يلوذ بها بعد يوم متعب .. فبدأت «رحاب» حياتها كعادة الذئبة الماكرة التي تشتتني فريستها ثم تطبق عليه بفكيها ومن ثم تهلكه كانت تشعل إحساس الرجال بوجهها المستدير الذي تتوسط صفحته العاجية بعينان سوداوان .. ومرونة خصر لا يرحم وسعة صدرها الواسع العالي وكأنه تلّ صلب يردع كل من يحاول صعوده .. فيفلت زمام الأمور ويسقط متفتتا على مرتفعاته الشاهقة .. وبضربين وأرداف أنثى متمرّدة يعجز المرء عن وصفها .. «رحاب» !

كانت حلم الرجال الذين كانوا يراقبونها لدواعي الأحلام وأنوثتها الطاغية ويستجيبون لكل شيء تأمرهم به من أفعال شاذة تريحتها طبعاً هذا قبل زواجها السري من «جاهد بيك» .. فكانوا يستسلمون لها كما هو مفروض في قاموس الإغراء لمُخدرٍ ألد وأقوى من تخدير النوم.

فجاش صدر الرجال بحبها وعشقها ولكنها لم تختبر بعد رجلاً يمنحها ما تريد من لذة في الفراش خوفاً من ذبوع فضيحة ستكلفها ثمناً باهظاً خاصة بعدما تزوجت سراً من فارس الأحلام الهرم .. كانت دائماً تراقب المازة من أعلى السطح وهي جالسة وقت الغروب تحتسي الشاي مع خادمتها السمراء .. حتى التقت

عينها سهوَةً بـ «ياسين» وهو جالس على الأرض يأكلِ بِنَهَمٍ وجبة الطعام تصدَّق بها أحدهم عليه.

فمضت إلى طيِّتها متفكرة هائجة ثم فجأة أمرت خادمتها بأن تجلبه لها إلى بيتها وبسرعة.

استغربت الخادمة واستنكرت الفكرة بشدَّة .. فأصرت سديتها بأن تحضر ذلك الصعلوك فإنها ستستلذ به أكثر من أي شخص آخر لأنه صعلوك وسيفعل ما ستأمره به .. فاشتعلت عينها بنيرانٍ حمراء في نور الغروب كاللبؤة لا تلوي على شيء.

أخبرتها الخادمة بسوء العواقب لو علم «جاهد بيك» بذلك وسيقطع عنها المعونات بل حتى أنفاسها .. ضحكت «رحاب» باستهتار قائلة :

- طظ أنام مع من سيريجني أكثر .. واحذري من هذا الكلام مرة أخرى .. تذكرني أين كنت حيث لا مكان ولا مأوى تلبدين إليه من شر الناس .. انتشلتك من الضياع الذي كاد أن يفتك بك.

استغربت الخادمة لردة الفعل .. فأكملت «رحاب» :

- حسنًا سوف أقول لك شيئاً رجالنا الشرقيون لا يفعلون ما نطلبه منهم .. لا يريجوننا أبداً نحن بالنسبة لهم مجرد نزوة يهتمون بشهواتهم فحسب .. أما نحن النساء فلنا الله الرجال يتقززون من أفعال قد تريح النساء بل نعشقها بنهم قاطع .. وهذا الصعلوك الذي يأكل ككلب سائب في الشوارع هو من سيكون خير مُريح لي .. فقط يحتاج إلى حمام ساخن وملابس نظيفة .. أجلبه آخر الليل إلى فراشي .. وبعد إنهاء واجبه أركله بعيداً .. انزلي ولا تصعدي إلا به.

قالتها بلهجة أمّرة وبغنج وبصرامة لا رجوع منه .. فبعلمها يزورها آخر النهار وفي نهاية الأسبوع بالتحديد .. مبسملاً محوقلاً أنيقاً يفوح منه عطر المسك .. قد يكون في زيارته خرطوش فاعل أو خائب ولكن على الأغلب خائب .. والفاعل يأتي صدفة ولربما لا يأتي ولا مرة في العام .. حتى جعلها تنفر منه بعد أن تتلظى هي في سعي الانتظار لكي يغدق عليها بمجهود قصير الأمد لا يكفي حتى ليشير شبقها.

فكم ودّ الرجال أن يرونها عارية عندما كانت في سن المراهقة وحتى بعد زواجها .. قبل أن تعمل سرّاً في إحدى بيوت الدعارة ويرخص لحمها .. قبل أن ينقذها رجل ثري ويتزوجها .. تستلقي هي بأنوثة فاجرة على السرير بجسمها البضّ الذي لا يرحم تنتظره يأتي كل أسبوع مرّة ويقضي معها أمتع الأوقات ويمضي في اليوم التالي إلى زوجته الأولى متعللاً غيابه بالعمل والسفر وكأنها عشيقة لا زوجة .. اللعنة عليه.

كانت قبل زواجها المركز المنعش للخيانة الزوجية للرجال فكانت تذكر أحياناً كيف كانت تغوي الأزواج الذين يفضلونها على زوجاتهم بأنوثتها وبكيدها وشيطنتها .. وتزداد هي غروراً وبهاءً بسبب هذا التفضيل الكبير تتجلى في العين الساجية التي تلقي إليهم بنظرتها من على لمعة الوجد والحنان منظر يضيء العقل بقبس من الحقيقة المقدسة ثم يفتك بالقلب فتكا بهذا تستباح لعنة العشق الأبديّة روحها يتملّم كطائر سجين يودّ أن ينطلق فعلمها ما زال ملتقى خرابات يستعذب عنه الرحيل عن الماضي .. فشفتها إذا صح الوصف عندما تتلاقى في قبلة وردية فلن تعدم في دوامة الجنون لذّة الخيانة أو كما تسميها هي الحرّية المطلقة .. « كم اشتاقت روحها للخيانة » ...

فانحنت أخيراً مبتسمةً بمكر على فراشها واحتضنت الوسادة  
بصدرها العاري دون أن تنبَسَ بنت شفةٍ.

## الفصل السابع

ارتسم على وجه «عمران بيك» صورة غير عادية حيث انغرست في أساريه غضبة كالحة فولاذية انداحت على وجهه الذي غطى عليه الفتور التام .. فأخبار «ياسين الجلبى» لم تكن تسره إطلاقاً والأخطر من ذلك انضمام «بيت الوردى وبيت الحبوبى وبيت النقيب» إلى بيت «الجلبى» .. واتفقوا معا على تغيير مسار خططهم الاقتصادية .. متناسين كل خلافاتهم التي فرقتهم وأضعفتهم أمام قوة وجبروت «بيت القاضى» .. إنه شيء عظيم أن تُنبذ الخلافات وإقامة علاقات تُبنى على المصالح المشتركة ولكن ليس على حساب -الكنج- وسيبقى كنج حتى آخر يوم في حياته سواءً رضوا أم لا فكل شئ يُبنى بالشر .. وعليه أيضاً أن يتحالف ولكن مع من؟

\*\*\*\*\*

التغيرات المفاجئة التي طرأت على وضع العراق قد أثرت على الموازين كلها .. فبعد تأسيس الدولة العراقية <١٩٢١> وتعيين الملك «فيصل» ملكاً على العراق بعد استفتاء شعبي كانت نسبة ٩٦٪ من الأصوات تأييداً للملك «فيصل»، وتحت هيمنة أغلب رجال السياسة على اقتصاد البلد .. كانت صدمة كبيرة لـ «عمران بيك» حينما بدأت تلك الشخصيات السياسية بعد إعلان الدولة العراقية بالتخلي عنه .. فكل شئ في العراق بدأ يتغير ويتطور ضد مصالحه التي طالما بات يستقتل من أجل حمايتها فتيار النخبة الوطنية الذي عمل على استقلال العراق عن السياسة البريطانية قد هيمنت على المصالح الاقتصادية، وبدأت بتقريب التجار منهم ومد يد العون للأغنياء لكي تسنح لهم فرصة استغلال الأوضاع الحالية لصالحهم.

وكان «عبدالرحمن النقيب» الذي أصبح أول رئيس وزراء العراق قد قرّب إليه وجهاء وكبار «بيت النقيب» لكي يعينوه في كل شئ ويكونوا قريباً منه .. مما أتاح لهم فرصة الهيمنة التامة على التجارة في العراق .. وسد أغلب الطرق على بقية كبار التجار للسيطرة على الوضع الاقتصادي وبشكل مفاجئ لم يتوقعه أي شخص .

كان جالساً في مكتبه يلهث والغضب يرتعش في شفثيه ويدلهم في عينيه بينما يجلس أمامه في المكتب شخص في عقده الثالث بعينه العسليتين كان وسيماً ورغم ما بأنفه من فطس خفيف وما في شفثيه من دسامة وما في بنيانه من متانة حيث كان يلتهم كل شئ بحواسه إنه «قدري النقيب» .. القاتل المحترف الذي اغتال الجبابرة من رجال التجارة والسياسة من خلال طرقه الإجرامية المحترفة فتخلص منهم لقاء أجور ضخمة ولهذا السبب اختاره سيده ليكون اليد اليمنى له بالرغم من عدم ثقته بأحد .. كان يستعين به دائماً للتخلص من خصومه سواء من التجار أو من السياسيين الذين يهددون مصالحه بشكل عام .

فعندما تغلق كل الحلول السلمية أمام «عمران بيك» بالرغم من أنه لم يكن يسعى قط في حياته إلى السلم إلا نادراً إلا أن بعد قيام الدولة العراقية وتعيين ملك على العراق صار لزاماً عليه الآن أن يتحرك بحكمة .. فزمن الرشاوي للعثمانيين قد ولى إلى غير رجعة بالإضافة إلى أن الاحتلال البريطاني خلف ملكاً شاباً يافعاً يريد أن يخدم العراق بكل إخلاص .. حيث كان يهتم ببناء البنية التحتية للبلد وتميز بنزعتة الوطنية وطموحه لبناء دولة تستضيف عاصمة الخلافة بعد سقوطها في تركيا تُنافس مع الأسرة العلوية في مصر والسعودية في الحجاز .. وأهداف الملك ليست نزوة .. بل إنه يريد فعلاً جمع الولايات العربية المنحلة عن الدولة العثمانية التي



تشكلت منها حديثة وناقصة الاستقلال ولا سيّما بأن الملك فيصل الأول عُرف برجاجة عقله ودبلوماسيته وابتعاده من المواقف الحادّة في سياسته الداخلية والخارجية ولا سيّما مع الانجليز.

قال «عمران بيك» بوجوم غير معهود :

- أشكرك يا قدري على وفاءك معي طوال الأعوام الماضية والتفاني في خدمتي .. من المؤلم أن «عبدالرحمن النقيب» قد قرّب إليه أغلب رجال من -بيت النقيب- .. وهذه خطوة يفعلها كل حاكم او مسؤول كبير في الدولة في كل مكان من عالمنا بالرغم من أن هناك عوائل قد برزت على الساحة مؤخراً .. إلا أنه لا يعني أن نقف مكتوفي الأيدي ولا نُحرك ساكنًا تجاه ما يحصل من مؤامرات قد تغير موازين سير الأمور على مسار التجارة في البلد .

أوماً «قدري النقيب» برأسه كعلامة تدل على رضاه وتأييده على مايقوله «عمران بيك» وانتظر أن يُكمل الأخير كلامه :

- ولهذا السبب علينا أن ننهي بعض الشخصيات التي برزت قبل أن تُضرب مصالحنا .. علينا أن نبقي نحن من نحكم ونسيطر على تجارة البلد .. نحن «بيت القاضي» أوّل بل نستحق ان نستحوذ على المؤسسات المهمة التي تحكم هذا البلد الغني ولآء بيت القاضي يجب أن يكون لي .. ولكي اكون سيّدا عليهم عليّ بدوري أن اقضي على كل شخص يهدد مصالحنا .. فكما ترى الأوضاع السياسية في العراق تتغير سنة بعد سنة إلى الأسوأ ونحن نطفئ فتنة لثتعل أخرى .. هذا البلد يا صديقي بلد مجنون لا تعرف ما يريده الشعب بالضبط .

- لقد اخبرت جنابك بخطورة الخطوة منذ أن قام «الجلبي» بمنافستك في السوق من أول لحظة ولحد الآن ولكن على جنابك أن يعلم من هو العدو الاول لـ «بيت القاضي» وهو من داخل عائلتكم وليس غريبا .. حضرتك غفلت عنه بينما كنت تقضي على خصومك .. ولكنه يتحرك ويخطط وسيجح لأنه يقدم تنازلات لا يقدمها خادم لسيدة.

هنا جحظت عينا «عمران بيك» فقام من خلف مكتبه ثم دار نصف دورة ليأخذ مجلسه أمام «قدري النقيب» فقال هامسا :

- من ؟

- عجبًا .. فبالرغم من كل ما تملك من العصافير والعيون التي تتواجد في مناطق حدود تجارتك بل وحتى في الوزارات نفسها ولم تعلم بعد بأن «جاهد بيك» يسعى للإطاحة بك.

رفع حاجبه الأيسر ولم ينبس بشيء .. بل أعطى فرصة لـ «النقيب» بأن يتكلم :

- هو من كان يمد «الجلبي» يد العون حتى جعله قويًا قبل أن يشتكي منه .. هو من أدخل عدوك في سوق تجارة السلاح حتى بات ينافسك والآن هو ممول أيضًا من شخصيات كبيرة في الوزارة .. ولا يحسب حسابًا لأحد الآن .. هو من يجب أن يُقتل .. وبذلك ستقتذ كل شيء وتقتل القلق .. ولكن ....

ترامت إلى «عمران بيك» حركة من خلف الباب .. فقام بهدوء وهو يشير إلى «النقيب» بالاستمرار بالكلام ويحفزه على عدم السكوت .. وقام يمشي ببطء إلى ناحية باب المكتب .. مديده إلى أكرة الباب ثم فتح الباب بغتة .. لاحت نظرة فضول من قدري وسكت فجأة عن الكلام .. حتى ساد صمت قصير ..

- لا أحد .. أعتقد أحد الخدم كان يقوم بعمله قريباً من الباب أكمل .. «قالها عمران بيك براحة».

أغلق الباب بهدوء ورجع ليتخذ مجلسه أمام النقيب الذي واصل حديثه :

- كان «جاهد بيك» يمد رجال «الجلبي» بالمعونات المادية لضرب تجارتك إنه يريد أن يقصم ظهرك .. وخطأك أنك تركته يعبث كما يريد بالمصالح التجارية في السوق.

- أعلم أنه خائن لولا أنه والد زوجتي لكان حسابه معي عسيراً.

شعر بخيبة أمل شديدة عندما نطق جملته الأخيرة .. ثم قام بأتجاه النافذة ليستنشق الهواء الطلق .. فشد شروده الغريب بصر النقيب إليه الذي قلق بدوره من الوجوم المفاجئ الذي أصيب به «عمران بيك» .. إنه نحور الرُحَى الذي يطحن مجموعة من البشر «العراب» فثمة شر سيسحق بالجميع .. هذا الرجل ليس بسهل ولكن عنيد جداً ولربما سيكون نهايته في عناده وبلا شك .

تأرجح المكان بـ «عمران بيك» وأحسّ بأنه سيغوص باطن الارض ويقينا منه بأنه بدأ يخسر جبروته وقوته .. وقد طاراً منه في الهواء على أجنحة الزبانية نظرتة الغاضبة تزداد قتامة هاهو بدأ يقطب واجتاحت وجهه موجة سوداء .. الثروة والسلطة يجب ان يحافظ عليهما مهما يحدث من مجريات .. إنه مستعد أن يقتلع عيون خصومه بل وحتى عيون أطفالهم وزوجاتهم ليرغمهم على الخضوع .

إنه عاجز الآن ولكن ستنجلي كل هذه المخاوف لو أحسن التصرف .. سيسعيد قواه وينقض على أعدائه لو أنه تصرف بحكمة .. رآه «النقيب» كيف أنه يرجع برأسه إلى الوراء وكأنه

تلقي لكمة قاتلة وثقيلة من خصمه .. أسبل «عمران بيك» أصابعه فأرعى يديه .. ثم فجأة كوّر يده وقدحت عيناه شرراً .. ها هو يعود إلى وعيه كتنين عتيد .. ندت عنه آهة ذبيحة محشرجة ترنح كالثمل قليلاً وعاد جالساً خلف مكتبه بهدوء ولكن الإعياء كان واضحاً عليه رغم تماسكه العجيب .. لم يعد يُركز في لغة جسده الذي بدأ يفقد تركيزه فقال :

- أريد «الجلبي» ميتاً.

لم يُفاجأ «النقيب» بالطلب .. كقاتل يوكل إليه مهمة قتل شخصية كبيرة يعتبرها بحد ذاته شرفاً وانتقاماً في نفس الوقت محترف وقوي وذكي جداً .. يقتل ولا يترك أثراً بعد الجريمة ولو أراد الوصول إلى مخدع الملك لوصل عن طريق رجال حاشيته.

- ثم سيأتي دور «جاهد بيك» بعد ذلك ولا يهمني نسبة قرابته من سيدي.

ابتسم «النقيب» ابتسامته الماكرة التي رُسمت على شفثيه قائلاً :

- ليكن ما تريد .. خبر مقتل «الجلبي» ستلقاه قريباً .. والآخر - سكت برهة ثم واصل - قريباً هو «جاهد بيك» .. فقط لا تثقل رأسك بهموم .. يكفيك مشاغل التجارة سيدي.

كان الوقت قد أشار بأن المقابلة بينهما قد انتهت فقام «النقيب» منسحباً قبل أن يمد يده لمصاحفة «عمران بيك» تاركاً إياه في دوامة القلق .. غادر القصر والانتصار يلوح من بين عينيه ..

سار بسيارته حوالي ألف متر ثم انعطف فجأة في زقاق يكتظ بالناس وتوقف لمدة يسيرة لتصعد معه امرأه كانت منقبة .. سار بها النقيب الى مكان بعيد وعندما أحسّت بالأمان رفعت نقابها  
قائلة :

- أرى في وجهك السرور.

ساد بينهما السكوت ثم قال :

- كل شيء يسير حسب ما خططنا له .. «اشرقت» .

## الفصل الثامن

لقد أسكرته العاطفة .. فأزداد جنونه لم يكن يمر على باله أو حتى أن يلحم يوماً أنه سيتحول من -صعلوك- إلى فارس تُغرم به فائنة .. وبقي في غيبوبته حتى مال رأسها نحوه وغاص فمها في فمه شفيتها الرايتين أشعلته نارًا، ثم حولت رأسها عنه وأمرته بأن يفعل ما ستأمره به .. بعد أن أحاط خاصرتها بيديه وانها على جسدها تقيبلاً .. كانت تغمغم :

- إن لم ترضني فسأقتلك .

ثنت ساقها اليمنى تحت فخذا اليسرى فصارا وجهها لوجه على السرير الفاخر الواسع .. فأنبى له صدرها العالي غير مصدق مال بوجهه تحت خصرها فتوسدها بحنان وذهول .. فأسكرته رائحة جسدها كالمسك .. جسم آدمي أشهى من العرف الذكي كانت يدها تعبت في شعر رأسه كانت هي المرشد الذي كان يبحث عنها في حياته المحطمة .. قضى حياته كلها من غير أن يلمس امرأة فكيف وهو الآن يتمرغ على يد أنثى .

أنثى من نوع خاص أذابت الدنيا بنشوة جنونية ليفتر ثغر الصعلوك عن ابتسامة ظفر ونشوة كانت تضرب مؤخرته بأنملتها وتحته على أداء الواجب على أكمل وجه .. كانت كلما رضت عنه تعامله بالهوادة والرفق وإذا وصلت حد الشبق كانت تستلذ بصفعه وضربه وكان هو الآخر يستلذ بضرها وغارقًا في نشوة النهش .

كانت لحمًا طريًا يتطير منها عرف طيب ساحر .. كان يلبث هنية مُتملئًا مَسَّهُ اللذيذ وجوارحه تنتفض .. كان يعتلج في صدر الاثنين عاطفة شهوانية جهنمية .

أخذت الروب من الخوان الذي بجانب السرير ولبسته .. لاحت منها نظرة على الجثة الملقاة على الفراش كالميت .. كان ممددا بجانبها ولم تكثرث بادئ الأمر .. حتى نهضت الفاتنة قائمة وهي تتمطى فأفخرج الروب عن صدرها الريان منفتح يكاد يتهتك من ضغطه الروب الأسود الشفاف .

مشطت شعرها أمام المرأة وصففتها بسرعة ثم تنبهت بان الوقت قد اقترب لمجئ زوجها في زيارته الاسبوعية .. فالتفتت بسرعة الى الصعلوك الغارق في النوم فصاحت به غاضبة .. فانتفض من مكانه وهي تصيح به وتلعن :

- قم يا صعلوك الله يلعنك سيقتلنا رجال زوجي لو وجدك على سرير الان .

قفز الصعلوك فزعاً وكأن صعقة كهربائية صعقته .. وأخذ يبحث عن ملابسه المتناثرة على الارض يللمها بخوف فلبس البنطال ثم القميص قبل أن يخرج كالبرق إلى الخارج تصاحبه لعنات «رحاب» .

نزل بخطوات سريعة كالغزال عبر السلام والرعب ينهش بصدره ووصل إلى الطابق الأرضي .. ثم لبدت تحت السلام ومدّ فراشه وأنفاسه المضطربة تنزل وتصعد في صدره .. وألقى برأسه على الوسادة ليرتاح من التعب .

\*\*\*\*\*

كان الوقت بعد منتصف الليل .. حيث يسيطر السكون على الحي بأكلمه .. سوى القهوة التي كانت تستضيف روادها من عشاق السهر والأرجيلة .. كان شاردًا في خيالات ليلته الحمراء كيف تمت وانقضت بسرعة كالحلم لماذا يا ترى الأوقات العسيرة دقائقها تكون كسنين عجاف ؟ أما لحظات الانتعاش والفرح لا يدومان

طويلاً؟ ظل شاردًا حتى ترامى إلى أذنيه صوت محرك السيارة استقرت أمام العمارة و قطعت عليه سكون خلوته، نزل منها ثلاثة رجال أما السائق فبقى في الداخل يستمتع بتدخين سيجارته الكوبي الفاخرة التي يعشقها كان جالسًا في هدوء وراحة يراقب الشارع الخالي الذي طواه الظلام أما الثلاثة فكان أحدهم «جاهد بيك» الذي كان يوصي الحارسان بالرجوع إليه قبل الساعة صباحًا وشدد عليهما بالألا يتأخرا عليه.

قام ياسين ببطء وحذر لكي لا يثير أي صوت قد يثير غضب الغرباء .. فظلام العمارة النسبي يساعده على البقاء مختبئًا بسلام من دون أن يتعرض لأي أذى .. كان طبيعيًا حتى شدّه شئ وكأنه لدغ من ثعبان .. ركز جيدًا غير مصدق عينيه من سخرية القدر يكاد شيئًا فشيئًا .. رويدًا .. رويدًا يتذكر هذا الوجه ! .. هذا الوجه أين رآه قبل ذلك ؟

وأخيرا ساعدته الذاكرة اللعينة بأن يتعرف على «جاهد بيك» اللعين القوَّاد .. إنه من أمر الحارسين بل كانوا ثلاثة وقتها بأن يقذفوه من أعلى البناية إلى الأسفل .. بناية عالية كانت كفيلة بأن تحطم جسده ووجهه .. بل طُحنت كل عظامه من أثر السقطة ألقى نظرة حزينة على يديه .. فلا شئ سليم فيهما سوى أصابع معدودة .. ولكن أين الحارس الثالث هل ما زال في الخدمة ؟ حتى وإن وجدته فلا حول له ولا قوة لينتقم منه أو منهم.

لم يبدر منه أي ردّة فعل سوى أن تسمّر بمكانه تعلقوا أنفاسه من الخوف وقد امتقع لونه .. يتفصد عرقًا غزيرًا .. والرعب يأكله ماذا لو عرف البيك الكبير ما كان يدور قبل سويغات من مجيئه على سريره الخاص .. كان فيه عاجزًا عن الكلام أو حتى السب وإن كان ذلك أضعف الإيمان كما يُقال .. خذلته قواه فأحتواه العجز



كما كل مرة عندما يُهان من قبل الناس فلا يجروء على الرد .. وإن رد  
فمن سيسمع صوته المبحوح الذي يتلاشى بين أصوات السيارات  
والمارة.

كان المشهد الوحيد الحاضر في رأس «ياسين» كيف ينتقم ؟  
وهذه الفكرة معناها أن تجود بعنقك لحبل المشنقة.

## الفصل التاسع

هذه الأسرُ خلقها الله أعجوبة للبشر تقتل بعضها البعض ثم يتجالسون ويتسامرون وعندما تشتد بهم الأمور وتتقاطع المصالح يتقاتلون كالكلاب .. لم تمر هذه السنة بدون اغتيالات .. فقد تم اغتيال أحد كبار الشخصيات من بيت «النقيب» عندما اقتحم أشخاصٌ مجهولوا الهوية مسكنه وباغتوه بالضربات القاضية وقطعوا عليه كل سبل المقاومة والدفاع عن نفسه .. جميعهم كانوا يلبسون بدل سوداء وأربطة عنق سوداء وقفازات بيض طولهم كبنيان مرصوص بضخامتهم وقوتهم العجيبة التي يمتلكونها كانت كافية لبذر الرعب في قلب الضحية .. كانت قيافتهم رائحة .. وحركاتهم سريعة عند الاقتحام والضرب .. تدل على أنهم قد دُربوا بشكل جيد .. وكانت شجاعتهم الغير عادية في الاقتحامات لا غبار عليه إطلاقاً .. كانوا حتى أشد وحشية من غيرهم من المافيات في القسوة والتكيل بالهدف ..

كان «الجلبي» الرجل الأكثر شخصية رهبة بعد «عمران بيك» برز في مدة وجيزة واستطاع أن يصنع شبكة من العلاقات الدولية تؤهله أن يكون من أحد كبار رجال المافيا في العالم العربي ..

كان في الستين من عمره ربعة بدينًا وإن بدا في بذلته الرمادية والقميص الأبيض أبيض البشرة محمر الوجه والعنق متفخ الأوداج محتقن الوجه بالدم أما قسما وجهه فكبيرة واضحة في غير تنافر أصلع الرأس عيناه سوداوان .. وقد جحظت مقلته وتشابكت بهما خطوط مُحمر دقيقة كالشعيرات ونظراته الزائغة والشاردة خاملة بددت ما كانت ضخامته خليقة بأن تبعث في النفس من رهبة.

كان جالسًا خلف طاولة الاجتماع المستطيلة في ركن أنيق وخاص في مكتبه مع أربعة من كبار رؤوس التجار في بغداد.

كانوا يخططون وقتها في كيفية ضرب مصالح «بيت القاضي» وإنهاءهم بشكل تام وإطاحتهم من قائمة الأثرياء .. والقضاء الفعلي على «عمران بيك»، أما بخصوص «جاهد بيك» فسيكسبونه كحليف وإن كان ضعيفًا .. فالرجل لا يهمله سوى مصالحه الشخصية ولا يمانع بأن يكون تابعًا لجهة معينة، المهم أن تكون تجارته وأمواله بخير .. وهذا شيء جيد بحد ذاته شخص يؤدي الغرض فكلمته بالرغم من شخصيته مسموعة ولها اعتبار بين الكبار .. بسبب سياسته المرنة مع الجميع.

فمن خلاله سيتم تصفية بقية الشخصيات من «بيت القاضي» واحتواء كل صغيرة وكبيرة وبذلك لن يهدد مصالح «الجلبي» أحد استمر الاجتماع خمس ساعات كاملة ومتواصلة .. درسوا كل الخطط والاحتمالات التي ستنفذ قريبًا وفق جدول سيحددونه بعد يومين بالتحديد .. وقد تم إعداد لائحة بتصفية عدد من الشخصيات التجارية وسياسية من «بيت القاضي» وعلى رأس القائمة كان اسم «عمران القاضي» .

وبينما كان الاجتماع قائمًا على قدم وساق .. كان في الخارج رجل ينتظر دوره في مقابلة مهمة ومصيرية .. يلبس بذلة سوداء أنيقة باسم الوجه .. ينتظر أن يدخل وينتهي كل شيء في لحظات .. حيث لن تقوم بعدها قائمة لـ «الجلبي» .. هذا الرجل المتكرر هو «قدري النقيب» .. تنكر في شخصية مزيفة واسم مستعار لأحد كبار رجال الأعمال العرب.

## الفصل العاشر

نزلت من سيارتها بفستانها الرصاصي المنمّم .. بطولها الفارع الرشيق ومشيتها اللطيفة المهذبة وباحتشامها المعهود ووقارها المحبوب وبصوتها الفاتن الرّنان سألت عن اسم شخص معين فدّلهَا البواب وأخبرها بأدب بأنّ الشخص المطلوب موجود في مكتبه الآن .. في الطابق الثاني للبناية .. حَقَّتْ عنه ودخلت بسرعة كأنها يَخت ملكي ناشر شرّاعه يمخر عباب البحر بأقصى سرعته .

كان «محمود الصغير» نائم في حضنها غارق في دفاء وحنان مَنْ تَبَنَّتْه وجعلته أغلى من كل شيء على الإطلاق .. كانت تُفَضِّل في أكثر الأوقات أن يكون معها وفي حضنها .. ولا تُفَضِّل أن يكون برعاية مربيته إلا في أوقات معينة تفرّضها الظروف .. عليها أن تبقيه معها لأنه أكثر أمانًا وأكثر راحة لنفسها .. فهي تحس بأن علاقتها به تزداد قوة عندما تغدقه من حنان الأم الذي حُرِم منه .. وكانت هي كأنها تروم بعثًا جديدًا حقًا .. هي أمه ولا أحد يستطيع أن يمسّه بسوء .

وصلت الطابق الثاني وقد بأن التعب عليها ولكنها تحاملت على نفسها واستطاعت بعزمها القوي أن تتجاهل التعب .. حتى وصلت إلى مكتب المحامي «توفيق الدوري» .. وهو شاب مزهو بشبابه وثرائه ذات وسامة لا بأس به بالرغم من ميله للقصر وكان مهذبًا رقيق الحاشية ذو شارب مربع جميل .. ولم يخل من ميل للفخر والمباهاة على تجاوزه الثلاثين .

لم يكن ذلك لقاء عمل أكثر مما تحويه من أسرار تمس بحياة الصغير الذي تبنته .. بل لم يكن حديثًا عاديًا .. فالموضوع مهم

ولا يحتمل التأجيل بنظرها .. فلولا الضرورة القصوى لما عانت  
وحضرت بمفردها - حتى ومن دون حماية - إلى مكتب المحامي  
الشاب لتطلعه على أمر هام .

جَلَسَتْ بهدوء وكانت حذرة من ألا يستيقظ الطفل فكانت  
تخفض من صوتها وتقلل من حركاتها من أجل ألا تُثْقِلَ راحته  
قالت :

- أنت تعرف مدى ثقتي بك كبيرة .

- وهذا شرف كبير لي سيدتي .

- وتعلم أيضاً أنني لا أضمن لحياتي البقاء طويلاً في ظل هذه  
الصراعات التي امتدت نيرانها لتندرننا بالخطر القادم  
فزوجي أحرق كل شيء بطغيانه .. ومن المؤكد أنه سيحاول  
التخلص مني في أي وقت وبأي زمان .. أنا لم أعد أثق بأحد  
غير الله .

أوما برأسه موافقاً بالرغم من أن علامات القلق كانت مرسومة  
على ملامحه .. وأمارات الأسف قد لاحت عليه .. ولكنه لم ينبس  
بكلمة كانت عيناه تتابعان السيدة وهي تتكلم بهدوء ووقار بالغين  
وكانت عيناه تتنقل بين حين وآخر بينها وبين الملف الذي تمسكه  
بين يديها حتى استقرت عيناه أخيراً على - محمود بيك - الصغير  
الذي بدأ يفيق ببطء وأخذت هي تهدده على الفور كي لا يبكي  
سلمته الملف قائمة وقد شمل المكان الهدوء :

- الخطر سيحيق بنا قريباً - بيت القاضي - سينتهي سلطتهم  
ولربما إلى الأبد بسبب حماقات زوجي .. إن لن نؤمّن لهذا  
الصغير مستقبله ففي هذا الملف جرد كامل بكل أملاكي  
التي ورثتها عن جدي .. أريد منك أن تنقل كل ما أملك إلى

-محمود الصغير- وأريد أن يتم ذلك بسرية تامة، وإن وقع بي أمر الله وهذا حق طبعاً ولا اعتراض عليه فأنا أطلب منك ألا تتنازل عن الدفاع عن حقوق ولدي عندما يحاولون سلبه منه .. وأنا أثق بك كرجل وإنسان رفض أن يكون عبداً لأي أحد يوماً من الأيام.

تنفس بكبرياء وأحسّ بشعور رائع على هذه الثقة العظيمة التي منحتها له .. ولثقتها أيضاً بأنه قادرٌ على كبح الصعاب إذا ما واجهت يوماً أية صعوبة تتعلق بالورث وابنها بالتبني .. ولكن ملاحظه لم تكن تخلو من القلق أيضاً من المجهول لاذ بالصمت وعيناه تلمعان في سحر وقلق ..

ناولته الملف وبدأ يتصفح الأوراق على الفور .. قالت له :

- أريد أن تحتفظ بنسخة من هذا الملف معك أيضاً.

فأردف قائلاً :

- بكل تأكيد سيدي .. وتأكدي بأنني لن أتهاون في الدفاع عن حقوقكم .. لقد وكلتيني أمانة كبيرة في ظل هذه الصراعات الصعبة .. وأعدك بأنني لن أترك أحداً يستولي على حق أحدٍ منكم .. أرجو أن تتأكدي من ذلك.

كانت مطمئنة من أمانته وإخلاصه ولم تخفي راحتها من الحديث معه وكأنه قد صبّ على قلبها الذي يحترق ماءً بارداً بوعده الذي قطعه لها الآن الخوف اللاإرادي كان يشعلها قلقاً على صغيرها .. كانت على يقين بأنها يجب أن تؤمن مستقبله وإلا فان كل شيء سيضيع إن لم تحتط من كل العواقب ولهذا آثرت أن تهب صغيرها كل شيء قبل فوات الأوان .. وأن المحامي الشاب لن يتوانى عن مساعدتها عن طريق الأخذ على عاتقه مسؤولية حماية حقوقها

وأملآكها من الضياع .. فلربما سيكون «العرب القادم» الرجل الذي تنتهي على يديه كل مآسي العائلة .. ويحرق بحر الدماء الذي ينزف سنين طوال.

لن تتوانى عن تربيته حتى يشتد عوده .. تحاول أن تحافظ على مصالحه بالرغم من هذه الظروف الخطيرة التي تحيط بهما وهبته كل ماتملك .. ملكا يلجم به كل شخص يكفي بأن يضمن مستقبله إلى الأبد ولكن عليها مهمة الحفاظ على ما تسعى إليه من الهدف المهم .. يجب قبل كل شيء ألا يعلم زوجها بهذا الأمر وإلا فسيضيع كل شيء أدراج الرياح.

## الفصل الحادي عشر

انتهى الاجتماع وانصرف الرجال متوجسين قلقين من القرارات التي تم إصدارها قبل قليل من قبل سيدهم .. الذي استطاع أن يفرض رأيه على الأغلبية من الحاضرين في الاجتماع من كبار أعوانه .. فقدّم ضمانات ليطمأنهم من أن كل شيء تحت السيطرة وطلب منهم ألا يقلقوا من «عمران بيك» ما دام كل شيء يسير وفق ما يراه صحيحا .. وبأن كل شيء سيكون على ما يرام عن قريب .. وهذا وعد منه لهم، لأنه يتمتع بحماية قوية من قبل رجال الدولة وهذا ما لا يتمتع به خصومه الآخرون.

دخلت السكرتيرة على «الجلبي» الذي كان جالسا منكبا على الملفات يراجع الأوراق المهمة .. فطلبت منه الأذن في إدخال الضيف الجالس في الخارج أشار لها بنعم .. رجعت السكرتيرة إلى الرجل الجالس فأشارت له بالدخول .. ابتسم في تسليم وارتياح فهدفه أسهل مما كان يتوقعه دخول سهل .. بداية موفقة لا حاجة لاستخدام السلاح إذًا .. وأنه أصبح الآن على يقين تام بأن أمهر المؤامرات تدبر في رابعة النهار، وأن حادثة قتل «الجلبي» ستنداح في خضم الحادثات.

دخل بهدوء وثقة .. جال يبصره بسرعة أرجاء المكان .. وكان «الجلبي» جالسا بمفرده خلف مكتبه يوقع تارة بعض الأوراق ويراجع تارة بعضها تجاهل ضيفه بادئ الأمر، العلو والكبرياء كانا يلوحان في ملامحه قبل أن تكون هناك عاصفة عاتية تنذر باجتياح المكان، تقدّم نحو الرجل الجالس خلف مكتبه الفخم ووقف أمامه عاقدا ذراعيه بثبات أمام ذهول «الجلبي» على هذا التصرف الغريب الذي أرعجه وبشدة .. قبل أن يخرج الزائر بكل



برود أعصاب سلگا ربيعاً يخرق لحم الجلد بسهولة كالسكين الحاد لو لفته حول عنقه .. مما جعل «الجلبي» يتمم بكلمات غاضبة تولدت من الخوف .. فأختنقت الكلمات في حنجرته من أثر الهلع.

كان الرعب قد طغى على «الجلبي» وقد أحسَّ بالعجز من طلب النجدة لسبب نفسي خرس .. يعلم أنه لن يستطيع أن يطلب النجدة .. لكمة من القاتل ستطّيه أرضاً .. ماذا لو عرض عليه المال لقاء أن يتركه يعيش ؟

القاتل لم يمنحه هذه الفرصة وفضل إنهاء الأمر بسرعة دون هدر للوقت .. ابتسم ثم سأله :

- مارايك بميتة الخنق ؟ كُنْتَ تقتل ضحاياك بالرصاص ويكونون بعد ذلك في ذمة الله على الفور .. تضع فوهة المسدس على جبين الضحية وتطلق النار عليه .. ولكنك ستذوق على يدي الخنق .. الخنق يا حضرة البيك «الجلبي».

كان يتفوه بالكلمات بجنون ويضحك بهستيرية جنونية مما جعل «الجلبي» يرتعش خوفاً ويجد نفسه عاجزاً عن طلب المساعدة أو حتى أن يفكر في إخراج مسدسه ويقاوم هذا المجنون.

دار نصف دورة حول المكتب حتى أصبح يقف بجانب «الجلبي» أربد وجه الضحية بألوان قاتمة، يود هذه المرة أن يستنجد برجاله ولكن فات الأوان .. يريد أن يكبح انفعالاته ليمرق من هذه المصيبة بارداً صلباً وعينداً ولكن كانت مجرد خيالات لم تتحقق بسبب جدية الموقف .. ففي هذه المواقف الترجي بالقاتل مضيعة للوقت .. وخاصةً إن كان قد جاء عازماً على إنهاء مهمته بإخلاص .. أدرك هذه الحقيقة بعد فوات الأوان.

وما إن ازدادت نظرته قتامة حتى التفت السلك ومن دون سابق

إنذار حول رقبتة فشد القاتل من السلك حول عنق ضحيتة بقوة حتى بدأ السلك يذوب بين جلده كما السكين في شريحة الجبنة بدأت الدماء تنسل من رقبتة نتيجة تحلل السلك طبقات اللحم حاول أن يقاوم ولكن عبثًا .. اليد التي تحاول خنقه أقوى منه فالخنق يتم بطريقة احترافية لا ينسل منه الضحية حيًا .. فاجتاح وجهه موجة سوداء .. فلم تدم العملية سوى بضع دقائق حتى سقط رأسه على صدره متدليًا مخنوقًا بعد أن أرخى القاتل عنه السلك.

هذا الرجل الذي سيطر كالأخطبوط على التجارة والاقتصاد سنيًا طوال الآن قد انتهى وقته .. وانتهت معه خطورته بخنقة بسلك لا يساوي قرشا.

حتى القاتل لم يتصور أنه سينهي مهمة قتل رجل مهم بهذه السهولة دون أن يتعرض لمقاومة منه أو حتى من قبل حراسه سحب الجثة نحو الخزانة .. ودسها في داخلها بمهارة المتمرس الحريّيف .. تأكد من أن كل شيء على مايرام .. ستكون الجثة بمثابة مفاجأة قاتلة لحلفائه .. خاصة رجاله عندما يفتحون باب الخزانة ويجدوا رئيسهم قد قُتل بأسلوب سهل .. وفي مكتبه ووسط ملكوته وامبراطوريته تم اغتياله .. نكهة خاصة في عملية قتل الشخصيات بطرق سهلة بدلًا من البارود .. الأمر كان أسهل حتى من قتل الذبابة .. هذا الرجل الذي أرعب الرجال يموت بهذه الطريقة !

أغلق باب الخزانة بإحكام .. ونزع القفازين من يديه ثم خرج من المكتب بحبور بعد أن أخذ بعض الأوراق المهمة الذي كُلف بمهمة سرقتها .. رأته السكرتيرة وهو يخرج وقد تحول شكله المرّيب جدا الى مسخ مرعب .. فقامت منفعلة من خلف مكتبها وقد اعترها موجة ذهول وشك على طريقة التصرف الغريبة الذي

بدر منه فمظهر الرجل لا يدل على خير أبداً قال لها بصوت  
جَدلان :

- «الجلبي» يطلبك.

أطلق ضحكة حقيرة وعالية أفرغت السكرتيرة بينما أثار  
ضعينة رجلين آخريْن كانا جالسين في غرفة السكرتيرة كانا ينتظران  
دروهما في الدخول .. دفعها تصرفات الرجل المريبة على أن تهرع  
إلى مكتب مديرها راکضة قلقة غير مطمئنة من الوضع تأمل أن  
لا يصل الأمر إلى عواقب لا تُحمد عقباها .. ولكن الغريب خرج  
وذاب بين زحمة الموظفين .. بينما دخلت هي تفتش عن مديرها فلم  
تجده .. لاحت منها نظرة على شريط الدم الذي ينتهي عند باب  
الدولاب فازداد قلقها وارتعبت .. وتهاكت كلياً .. ثم هرعت  
نحو الخزانة لتفتحه .. فاذا بكتلة بشرية تندلق من داخله .. انكفاً  
على وجهه فوق الأرض .. صرخت بشدة وعلى إثرها بفترة يسيرة  
دخل الرجلان ثم تبعهما حارسين وصدّهم منظر رئيسهم وهو  
جثة هامدة على الأرض، أما السكرتيرة فاعتلاها الجنون وترنحت  
من فورها ثم انظرحت أرضاً بجانب القتل وقد أصبحت جثةً  
ترقد بجانب مديرها.

## الفصل الثاني عشر

«دانيال دنغور»

بعد مرور فترة طويلة من الزمن على مقتل «الجلبي» الخصم اللدود لـ «عمران بيك» استطاع الأخير أن يعود مرة ثانية قوياً إلى عالم التجارة .. بعد أن قضى هذه المرة على عدد كبير من خصومه ودحر من دحر من الكبار لكي لا يُعيد زمن «الجلبي» فيقضى عليه .. وأجبر الباقين من الخصوم إما على الفرار إلى خارج العراق مُجَرَّدِينَ من كل شئ .. أو إرضاخ القسم الآخر من التجار تحت سيطرته بعد أن استولى على نسبة هائلة من الأرباح والأموال من خلال عقود العمل التي أضرمها معهم بعد إضعافهم وكسر شوكتهم .. وكان من يعاونه على ذلك هو «دانيال دنغور» .. الذي ساعده في الاستيلاء على ممتلكات كبيرة وبشكل قانوني لتجار تم التخلص منهم بطرق عديدة.

اليهودي العراقي .. الذي يمتلك أكبر شركات استيراد وتصدير في لندن وبغداد وله مؤسسات ضخمة في دول عربية وأروبية لا حصر لها .. مدّ في اللحظة الأخيرة يد المساعدة لـ «عمران بيك» فأنقذه من المشاكل التي كان يعاني منها في الفترات الأخيرة استطاع أن يكسب ثقة الأخير إلى حدّ كبير .. فتعاونوا على إقامة شركة تجارية ضخمة غيرت من حياة «عمران بيك» كثيراً وكانت بداية النهاية.

«دانيال» رجل قصير بدين مصبوب في كتلة قوية كأنه برميل قوي الشخصية ومرح في نفس الوقت غليظ الرأس والوجه والعنق يمشي كمصارع مُحترف له نفوذ قوي سواء داخل العراق أو خارجه .. كأخطبوط انتشرت تجارته وسيطر على عدد من

الشركات والمؤسسات المختلفة بذكائه .. من عينيه تنبعث نظرة جادة وجامدة، أنيق المظهر .. وبالرغم من قصر قامته إلا أنه زير نساء من الدرجة الأولى وبلا منافس.

كان جالسًا في مكتبه الفخم في بغداد حيث يعتلي مبنى شركته لافتة ضخمة كُتب عليها «اكزيلارك» للتجارة العالمية ..

«دانيال» ثعلب السوق .. له خبرة واسعة في أمور التجارة وسيطر على الأسواق التجارية بشكل مباشر علاقاته مع كبار رجال السياسة وضعته في قائمة الرجال المحصنين أمنياً من أية محاولة للغدر به .. ورث الدهاء عن أجداده اليهود والده قُتل في انفجار استهدف إحدى الملاهي الليلية ببغداد ونُسب الحادث إلى مجهول وأغلق التحقيق آنذاك دون أي تقدم في القبض على الفاعل مما أثار في نفسه حفيظة الانتقام.

يُعتبر أمير «اليهود» ويحبه اليهود ويحترمونهم وذلك لما يقدمه من خدمات كبيرة لهم يتباهى بجده «عزرا» كان أحد كبار الخاضعات في العراق، أما زوجة «دانيال» فهي «ايلين خلاصحي» من أكبر العوائل وأشهرها في العراق .. كانت ملكة جمال بغداد .. وكانت ذات جمال خاص يُدرك من أول وهلة نافذ الأثر، ويوجد قدر كبير من التناسب بين قسامتها وأما جاذبيتها طاغية بقدها المشوق في جملة في حدود الرشاقة وجنسي إلى أبعد الحدود.

وكان «دانيال» في منتصف الأربعين واتَّسَمَ غرامه بها بجنون الكهولة ..

استقبل «دانيال» بعد منتصف الظهيرة في مكتبه الفخم صديقه «عمران بيك» فقدّم له كأساً من الويسكي .. وأخذاً يتكلمان في أمور تمس أمن تجارتهم نظر «دانيال» إلى ضيفه وهو يرفع كأسه

بيده إلى فيه ولاحت منه نظرة في نفس الوقت إلى كأس «عمران بيك» الموضوع أمامه كأنها يدعوه إلى الشرب رفع الضيف الكأس وارتشف منه قليلا بينما صبّ «دانيال الكأس في جوفه قائلا :

- ما أتعس هذا البلد .. ولّى العثمانيون وجاء البريطانيون ثم نصّبوا ذبلاً لهم وهو الأقبح منهم جميعا .. ملك من عالم ثان ولوّه علينا ليحبسنا في قوانين صارمة تقضي على مصالحنا.

ابتسم «عمران بيك» وقال مهدوء :

- لديك السياسي الملكي «صفوت باشا العوّا» يقوم بواجبه على أكمل وجه معك، لما القلق إذاً عليك أن تستغل علاقتك به إلى أقصى حد قبل أن يُغيّروه، هغذّي نفوذنا بقوة المال يجب أن نحافظ على ما بيننا من سلطة.

- البعض يعتقد بأن يهود العراق ولائهم كاذب للبلد .. ولكني أقول بأن لا أحد يحب العراق مثلنا ولهذا يا بيك نحتاج الى الوحدة يدك بيدي سنهزم العدو .. ونجعل من إمبراطوريتنا نفوذاً لا حدّ له.

ضحك «عمران بيك» ثم قال مازحاً :

- سنكسر شوكة التجار اللذين يريدون تدميرنا.

رماه «دانيال» بنظرة لائم وقال مصححاً :

- تدميرك أنت يا بيك .. فأنت من خلقت لنفسك أعداء لا عدد ولا حصر لهم .. وأنا أصبحت بحكم الظروف مخلصك منهم القسوة الزائدة ستطيح بك تذكر زماننا قد تغيّر ولم يعد العراق كما كان لتفعل ما تشاء .. ثم تنتظر لتجد الحماية من المحتل يحميك لقاء الرشاوي .. أو الإتاوات إن صحّ التعبير حروبك مع خصومك كاد أن ينهيك .. لقد استنزفت أموالاً

كثيرة لمجرد أنك تحقد على أشخاص وتمقتهم.

لعن «عمران بيك» صاحبه في سرّه ثم قال بوجه ضاحك :

- السوق منافسة وإن لن نسحقهم اليوم سيسحقوننا غدا  
وخصوصا تجارة السلاح لا رحمة فيها .. اطحنهم قبل أن  
يطحنوك.

- عليك أن تُبدي مرونة وذكاء معهم .. لا أن تكون لينا بإفراط  
معهم .. ولا صلبا جدا، يجب أن نكسب كبار شخصيات بقية  
العوائل فلهم نفوذ أيضا وأفكار نستغلها إعطهم فرصة ليثبتوا  
ولاثمهم .. وأن طاشت المصائب تستطيع أن تُقدّم من لا تطيقه  
ككباش فداء للقانون.

ثم استدرك قائلا :

- لقد ذكّرني بحادثة وقعت لي في لندن قبل وقت طويل  
عندما فكرت أن أجمع بني ملّتي المُشَتّين في أوروبا  
فاشترت مركزا لليهود العراقيين في لندن .. وملكية المركز  
كانت تعود لتجار إيرانيين، فعندما علموا بأني يهودي عراقي  
أتعلم ماذا قالوا لي ؟

- أكيد غضبوا.

- قالوا لي صراحة : أنتم من دمرتم الإمبراطورية الفارسية  
لأنكم جئتم بالعرب والمسلمين لاحتلال العراق ومن ثمّ إيران.

ضحك الاثنان ضحكة عالية ثم قال «عمران بيك» :

- لقد علمت مؤخرا بأن قريبك «داوود خلاصجي» قد دعم  
مجموعة تجارية في لندن بعد هيمنة بيت «الخلاصجي» هيمنة  
تامة على زراعة الأرز .. إنه يُصدّر الآن كميات كبيرة من

المحاصيل الزراعية خارج البلد .. ولكنه بعيد كل البعد عن  
تجارة السلاح .. أو حتى أن يُفكر في منافستنا.

- حاولت اقناعه بأن يجرب تجارة السلاح معنا فرفض .. ولكني  
لا أخشى منه شيئاً يضر بنا .. فهو يهودي مثلي ومسالماً  
يحترمه الجميع ولهذا أعامله دائماً باحترام بالغ.  
- ولكن إن ضغطت عليه ..

فقاطعه «دانيال» مثل نبرة محذرة أثارت من حفيظة «عمران  
بيك» :

- إنه يهودي مثلي يا بيك .. نحن بنو إسرائيل لا نقتل بعضنا  
البعض من أجل مصالح تافهة ولا نُضجك العالم علينا  
مساكلنا بيننا نحلها وحب الوطن فوق كل شيء.

قالها محدّجا ضيفه بنظرة تعني أن يكفّ عن الحديث .. وهنا  
أحسّ «عمران بيك» بأن قيمته كرجل ليست على ما يرام  
فلطالما أحسّ بأنه الملك كان يأمر وينهي ولا منافس يستطيع أن  
يواجهه في السوق إلا وقضى عليه ولكن الآن ظهر شخص أقوى  
منه وهذا ما لم يكن في الحسبان .. برز في السوق وسيطر بكائه  
على مراكز مهمة في الدولة من خلال علاقاته يهدده الآن ويقاسمه  
في قوته في التجارة والأرباح عليه أن يضع حدّاً مع هذا اليهودي ..  
أدرك «دانيال» أنه تجاوز حدود اللياقة مع صاحبه فقال «دانيال»  
مُغيّراً مسار الحديث :

- لنركز على تجارتنا القادمة .. فالسلاح جاهز للخروج من  
مصر ورجالنا ينتظرون الإذن بالتصرف السريع واستلام  
البضاعة من قبلنا .. ولكن بسبب العصفير التي أغرقت  
الحدود فإننا سوف نحتاج إلى وقت طويل لكي نستلم



البضاعة تهريبها صعب جداً الآن بسبب تدخّل أطراف خارجية أورورية في مصير البلدان العربية.

- ما زال العائق قائماً من حرس الحدود في سوريا الرابضين على مدار الوقت هناك .. ويقتنصون الفرص لكي يحبطوا محاولات تهريب الأسلحة .. أفكّر أن أذهب بنفسني إلى القاهرة وأحدّد طريقة وموعد تهريب شحنة السلاح بالاتفاق مع رجال معينين ليسوا عرباً .. لقد خطّطت لذلك ودرست الأمر ويجب أن أنفّذ الخطة بنفسني وهي فرصة لكي أخلص قليلاً من الأجواء الخائفة التي تطوّقني هذه الأيام .. شحنة السلاح هذه مكلفة ويلزمنا الإشراف عليها بأنفسنا.

رفع «دانيال» حاجبه الأيسر باهتمام بالغ قائلاً :

- سأجري اتصالاتي مع بعض الرجال هناك ولكن قبل كل شيء يجب الاتصال برفيقنا الرائع الذي وعدنا بالمساعدة .

قَطَبَ «عمران بيك» حاجبيه متسائلاً :

- من ؟

فأجاب «دانيال» والابتسامة الصفراء الماكرة قد قفزت من بين شفثيه :

- «السوركي» .. رجل ابن سوق .. له ناس مهمين في الدولة يقومون على حماية مصالحه إنه رجلي المفضل وكما تعلم أن بضاعتنا في مخازنه .. سيكون جيداً لو أعلمه بخطتك بشأن البضاعة .. وأنت أنت من ستتولى مهمة الإشراف على تهريبها فهو سيُسهل لك كل شيء سواء من الحماية أو تسهيل عمليات الاتفاق والشحن .. اعتمد عليه يا بيك فهذا الرجل هو خير عون ثق به كما تقف بي.

استحسن «البيك» الفكرة ثم تمتم وقد دسّ أصابعه بين لحيته  
يتحسسها :

- «السوركي» ....

## الفصل الثالث عشر

القاهرة \_ ١٩٢٢

«السوركي»

القاهرة تلك المدينة الباهرة والمرصعة بالأضواء .. حيث في طياتها المثيرة تقع أحداثٌ وأحداث .. مدينة جمعت بين أصالة الماضي والجديد .. حيث أبنيتها الهائلة متصلة التكوين وتنشق منها هنا وهناك قباب ومآذن .. والطرق فيها تختفي تماما كما يختفي تفرد الناس وتميزها حيث لا اثر يظهر لهمومها ومشاكلها وأفراحها وأتراحها .. تنشأ فيها علاقات .. وتنفجر فيها خصومات تلك المدينة الكبيرة العريقة بأحداثها اجتمع فيها الجمال والفن .

كان هناك لقاء مهم بين «السوركي» ومطربة الملاهي «عفر حازا» في أحد المقرات السريّة التابعة لـ «السوركي» والتي تقع على حواف القاهرة .. مقر يتمثل في واحدة من مزارعه الكبيرة يلجأ إليها للترفيه وأحيانا يتخذ قراراته ومشاوراته هناك .

«عفر» الفتاة العراقية اليهودية لم تدخل العشرين بعد .. ذات الشعر الأسود الفاحم .. قامتها الطويلة النحيف المعتدل والرشيح كنخلة باسقة .. ذات بشرة قمحية .. بوجهها المستدير الجميل تبعث إلى النفس البهجة عند رؤيتها .

مطربة ذات صوت نسائي جميل .. تغني على المسرح بوجودان وابتسامة صافية .. بدأت مشوار حياتها بداية تعيسة عندما توفي والدها وهي في شهرها الثامن .. فاضطرت والدتها المريضة وبسبب الفقر الشديد أن تتركها أمام أحد دور الأيتام في بغداد وبعدها توفيت بعدة شهور بسبب الكوليرا .

مشوار حياة «عفر» كان رخيصًا وبائسًا .. بعدما بلغت أوج أنوثتها وشبابها جمعت بعض المال وسافرت مبتعدة عن بغداد إلى القاهرة .. ولسوء حظها تلقفتها هناك الأيادي الضالة وعملت في بيوت الدعارة لتكسب قوتها .. ثم جربت الغناء في الملاهي الليلية .. حتى رأها «السوركي» صدفة في جلسة خاصة كان يقيمها سرًا في إحدى مزارعه خارج القاهرة .. وكان قد جلبها أحد رفاق «السوركي» .. فأعجب بها الأخير وحررها من القوادة بثمن باهظ أحبها ثم تزوجها سرًا لتكون زوجته الثانية والعشرون فساعدتها لتنتشر كمطربة يشار إليها بالبنان ولا يجرؤ أحد أن يكلمها أو حتى أن يفكر بلمس طرف ثوبها وهي واقفة تغني بين رواد الملاهي الليلية .. فحراسها كانوا كفيلين ببث الرعب في قلب كل من يحاول أن يكلمها .. تصدح بصوتها كالشحرة بعينين واسعتين وأنفها الدقيق المستقيم تقطران الملاحه فيتمنى الجالس لو يفرش شغافته تحت قدميها ويكاد أن يرتكب شططًا جنونيًا لولا خوفه من الرجل الفولاذي الذي يحميها بقوة السلاح وغطرسة عاشق.

«السوركي» ذاك الإسلامي المتشدد .. بجسمه المكتنز وقد ترهل فاشتد احتقان الدم بالوجه الممتلئ حيث بان الكبر في صفحة وجهه وغضون في الجبين وقد أخذت التجاعيد مساحة واسعة من جسده وبعد صلاة العشاء يختلي بالخمير ليفعم به حتى قمته مطبقا مقولة مشهورة تقول «بعد العشاء .. افعل ماتشاء».

لديه قاعات كبرى للعزائم .. والولائم .. موائد ترتفع عن الأرض عدة سنتيمرات .. وعلى الأرض مساند موزعة بشكل دائري يسيطر على الوليمة بذخ الدسامة وتحتشد بأنواع من الأطعمة المتعددة .. من محاشي ولحوم وكفتة ملفوفة مصفوفة بعضها على بعض ينز منها مرق سمين .. وبعدها تسيطر روائح الحشيش المستحضرة خصيصًا

للضيوف المهمين من أصحاب النفوذ .. يحضرون تمسكًا بعلائق النفوذ وتمسكًا في علاقات السلطة وبإغراءات بذخ «السوركي» الذي يشري ويرشي ويبيع ويشترى بلطف وبطراوة تنزع عن الجرم ذنبه وتمنحه حلال عاديته الأليفة.

بدأ مشواره صبيًا ضائعًا .. فتزوج من امرأة تكبره بسنوات فساعدهت بها أن يدخل سوق التجارة الحرة وتدرج شيئًا فشيئًا في تجارته .. وبدأ مشواره الطويل بشراء «وكالة الإخوان» لبيع الأقمشة ومن ثم بدأ يعمل في مصالح أخرى حتى توفيت زوجته فَوَرثَ أملاكها من العمارات والبيوت وتدرج في نشاطاته المشبوهة التي اتسعت وأصبح كشبكة عنكبوتية يمدّ خيوطه في كل مكان فأطلق لحيته وادّعى التدين وجمع أنصارا لا يُستهان بهم ثم همّ بإعلان عن نيته عن تأسيس حزب إسلامي قريبًا جدًا يهدف إلى الرحمة والمساواة ومحاربة الفقر والفساد ويهدف أيضا الى تنفيذ شرع الله على الارض وترسيخ العدل والإحسان ومساعدة الفقراء أينما كانوا.

وأصبح ينافس كل تجار القاهرة واستشرت توجهاته الإسلامية في كل مكان ولكنه كان يحافظ على سرية نشاطاته الأخرى كاغتيالات عساكر الإنجليز وخطفهم .. وكان ظهور الإخوان المسلمين بعد سنوات وبالتحديد عام (١٩٢٨) دور بارز في تقوية شوكته بين الاسلاميين الذين انضموا الى الحزب الذي كان يدعو إلى ضرورة الإصلاح الاقتصادي والسياسي والاجتماعي .. وقاد عدة مظاهرات وندوات وأصبح له نفوذًا قويًا جنى منها ثروة لا تُحصى.

فكان «السوركي» يجند جماعات تقوم على اغتيال عساكر المحتل بهدف إفشال المعاهدات التي وقَّعت بين الملك «فؤاد الأول» والإنجليز وكثيرًا ما كان حاقدًا على نقطة الانتداب البريطاني على

مصر.

وبالرغم من تقدم سنه ولكنه كان مزوّجاً ومصيبة كبرى حلّ على الجميلات .. فكان كدودة تنهش أكلاً في أوراق الأشجار الخضرة فتتركها بائسة ومشوهة .. كان أكثر الرجال عشقاً للنساء وما أن تصادفه فتاة ذات حُسن وجمال يتزوجها حتى بلغ عدد زوجاته الرسميات «٢١» حورية قبل زواجه من «عفرا» .. بالرغم من نهاية شبابه الريّان وانطفاء الحب الباهر للقاصرات وغير القاصرات وضوّحت آمال وآمال ولكنه شديد الحب للعالميا كثير الخوف من الموت .. وشغوفٌ جداً بالنساء والخمر يشرب سراً في أماكن سهر بعيداً عن ضوضاء القاهرة له مزارع اشترها فقط لإقامة أجواء سرية من المتع والملاذات الشخصية وله رجال أشداء يحمونه بإخلاص ويتكتمون على أسراره لأن بقاء الكبير من بقاءهم .. وخوفاً من أن تضيع مصالحهم التي طالما تكاتفوا لبنائها وأيام الجمعة يحرص على حضور الجماعة ودفع الصدقات في جوامع شيدت من قبل جماعات إسلامية تقام فيها الخطب والصلوات ازدواجية تعودوا عليها وباتت عادة لصيقة بحياتهم لا يتخلون عنها فالدنيا فتحت ذراعها لهم وأهدتهم ما يتمناه كل مرء من جاه ومال وقوّة.

كانا جالسين على أريكة واحدة وراء خوان من الخشب الأسود المطعم بالصدف وضعت عليه قارورة حمراء وكأسين ووعاء صيني ملئ ثلجاً وعلى جانب الوعاء ما لذ وطاب من الفواكه قال لها:

- «عمران» قادم بعد أيام لإكمال شحنة تحويل الأسلحة إلى العراق الكمين الذي نصبناه له قد نجح وأنت طبعاً تعرفين واجبك حيال ذلك .. علينا أن ننفذ الأوامر التي تصلنا وحسب وإلا فسنكون عرضة للمسائلة .. أستطيع رفض كل شيء إلا

أوامر «دانيال» .. أنتِ تعرفين إن خططَّ وإن دبّر فيجب علينا  
ألا نناقش.

أدركت مراده فقبضت بعفوية وهدوء يده لثمت ظاهرها قائلة  
بابتسامة مأكرة :

- أمر مولاي المطاع.

- إنه رجل له مكانة كبيرة في عالم المافيا .. وله أصدقاء قليلون  
وأعداء كثيرون .. لا تثريب على دهائه «دانيال» يريد  
التخلص منه منذ فترة طويلة .. بعد أن كسب ثقة «عمران»  
ولكنه لا يأمن شره .. ولولا «دانيال» لاستكرهت انفرادك  
ب«عمران» و...

- اهدأ .. فهي ليلة واحدة في سبيل بقاء مصالحنا التي هي  
فوق كل شيء.

- سيسلمنا ملفات مهمة طلبها «دانيال» وسنستدرجه ورجاله إلى  
سيناء وهناك سوف نقضي عليهم .. كما نفعل مع غيره  
عندما نصل معه الى طريق مسدود .. فصحراء سيناء لن  
يصلها أي شخص تكون له صلة قربي مع «عمران» وسيتم  
القضاء عليهم وهم في داخل العراق إن حاولوا الانتقام  
و«دانيال» بصدد إضعاف شوكتهم .. هذه الخطة إذا تمت  
بنجاح فصفقة الأسلحة ستكون لي كهديّة يقدمها لي إزاء  
خدماتي له.

- وابنه .. فكما أعلم أن لديه ابناً .. ماذا عنه ؟

- ليس ابنه .. تَبَتَّه زوجته .. إنها قصة طويلة يطول شرحها.

- ... ؟

- الشرح يطول دعينا في المهم .. قبل أن يصرعنا «عمران»  
ستتخلص منه .. ستتعامل مع «جاهد» من الآن وصاعداً  
وسيكون بيننا تعامل طويل ومثمر وسيساعدنا كثيراً في أمورنا  
العالقة مع بعض المسؤولين في العراق .. «دانيال» يريده كآلة  
يُنفذ من خلاله خططه في التجارة وضرب كل شخص يحاول  
التأثير على سير خططه .. اليهود يجب أن يعيشوا كالمملوك  
في العراق لا تهددهم نباح الكلاب .. «مصالحنا» مع مصالح  
الأقوياء .. مهما أبلغ من ذروة السلطة فسأبقى تابعاً لهم .. لا  
تصدقني أن العرب مستقلون في السلطة .. إن فكر «دانيال» في  
القضاء عليّ فتأكدي أنه لن يحتاج وقتاً طويلاً لتنفيذ خطته  
ولهذا إن أرادني قوَّاداً فلا أمانع الركوع للقوي فضيلة وعقلانية  
لأنه لو حاولت الاعتراض .. فإنه سيقض على ما بنيته في  
طرفة عين.

أنكس ذقنه متأثراً بالخمير فغمغم مخموراً بكلام غير مميّز وهي  
تسترق النظر حيث تعلم بأن الرجل العجوز مهما بلغت به الثمالة  
ولكنه ما زال بكامل قواه العقلية .. فهو أسطورة خطيرة في عالم  
الإجرام .. ولكنه كما قال لعبة بيد الأعراب.



## الفصل الرابع عشر

كانت ترتشف قهوتها في جنيئة الفيلا الكبيرة وهي تلقي نظرة دائرية ضجرة على أشجار الليمون المزروعة بنسق جميل يضرب عطرها الأنوف فتتعمش الأنفوس لها .. كانت تتخبط في دياجير الأفكار السوداء وشوارد الأخيلة الجهنمية حتى وثب لذهنها أن تنتقم من زوجة عشيقها ووالدها لتهنأ بـ «عمران بيك» لوحدها فقط يحتاج ضربة لتؤدبه وتجعله يركع لها مدى الحياة ثم تمد له يد العون وتساعده على النهوض مجددًا فتكون هي سيدته وملكته إلى الأبد .. تريد إضعافه فقط .. كانت تحاطبه بأجلى لسان، وكانت تحاول أن تخفي خطتها لئلا يشك ومن ثم يتصرف بجنون فيذهب كل شئ أدراج الرياح، هي تعبده .. وهو يعشقها فقط العبادة لله وحده والنساء لسن للعبادة بل للعشق والخمر فقط .. هكذا يقول لها في حضرتها رغم أنه معروف بإلحاده وإجرامه.

- أهلا.

أجفلها صوته الهادئ وهو يقف أمامها بينما كانت هي شاردة الفكر فقامت ومدّت يدها بلطفٍ بالغ لكي تصافحه.

أشار لها بالجلوس فرتمه بنظرة تفحصية لترى إن كان هناك أمل في الأمر الذي أتت من أجله .. أم لا .. جلست فوضعت رجلًا على رجل جاذبة عينيه قهراً إلى جانب عريض من فخذها اللذين أحدث التقاءهما واشتباكهما طيات بيضاء مثيرة أية هاوية ستنفغر تحت أقدام المتأمرين ؟

كان «توفيق الدوري» يَمَلِّئُ إيثارها فأزدها جملها ولكنه يعلم

أنها ليست كباقي النساء ..

إنها ..... «أشرقت» .. أنثى مختلفة جدا عن الباقيات .

- تعلم أي لا أريد له السوء أريد تأديبه فقط بتضييق الخناق عليه لكي أجعله يركع لي .

- زوجته ستقف بينكما فهي صعبة جداً وقد تتصادمان في أمور أنت في غنى عنها .

- لدي نفوذي ورجالي .. حتى لو استنزفهم في سبيل ما أريد فلن أكثرث لذلك .. المال والرجال يعوضان كل شيء فالمهم لدي «عمران» لا يهمني شيء آخر .. وأنت تعلم من أنا، لقد وصلتني أخبار بأنها سجلت كل ما تملك باسم «محمود» فلا تنكر ذلك .

هنا امتقع وجه الرجل ولكنه كان مواظباً على ألا يُظهر أيًا من معالم القلق تكون مرسومة بشكل فاضح على وجهه .. فكان حذرًا جدًا بالحديث معها .. خصوصاً هي بارعة في قراءة الأفكار وأنها لا تقل إجرأماً عن عشيقها .. وتعيش في عالم المافيا منذ نعومة أظافرها بعد إن فقدت والدها الذي تم قتله في بيته نتيجة هجوم شرس من قبل رجال أحد التجار المنافسين له فأقسمت من يومها بأن تنتقم من كل الرجال .. كل شيء .. في سبيل الانتقام وارد لديها إلا .. «عمران» .

- من قال لك هذا الهراء ؟

رتمه بنظرة حادة كعتاب على سؤاله الذي يشكك في ذكائها فقدّمت جذعها الرشيق والجذاب إلى الأمام ببطء كقطعة ضيقت عينها وهي تهمس بأنوثته كافرة .. والهمس يكاد أن يكون هسيساً من شدة بحة الصوت الخافت :

-العصفورة.

كاذ أن يخنقها .. ولكنه قوي بما فيه الكفاية للسيطرة على أعصابه  
ويصد لكلماتها ويرد عليها بجواب آخر :

- لو كان هذا صحيحا فهي لم تخطئ بشئ ولكن يجب أن  
تعلمي شيئا بأن «عائدة خانم» ليست بالسهولة التي قد  
تتصورينها .. وأنت ذكية وتعرفينها جيدا فلديها نفوذها  
ورجالها ووالدها.

- أمر نقل الأملاك إلى الصغير في حال وفاتها صحيح .. وأنا  
متاكدة بأنك تخطط لنجاح الخطة .. كونك محام موثوق  
منه وهي تثق بقدراتك أكثر من أي شخص .. تريد هي من  
جعل اللقيط ملكا تتوجه لصالحها وقد يكون ذلك ضد  
مصالحنا.

قالتها وهي مصرة على صحة كل كلمة قالتها بشأن صحة أخبار  
نقل الملكية .. فظهرت في نبرة صوتها قليلا من الحدة والعجرفة  
وكانت على وشك أن تفقد صبرها وأدبها معا .. ولكنه استدرك  
الموقف قبل أن يقع ذلك قائلاً :

- «أشرفت» .. لا تنس من أكون .. إذا كنت تريد أن تفتحي  
نيرانك علي .. وفتكي بطفل بري فأنا أحذر من ذلك.

رمته بنظرة مفعمة بأنوثة قاسية فأردت قلبه قتيلاً، فساد صمت  
لذيذ يعلوه نظرات اعين مجهولة المعنى فقالت في غيظ مكثوم :

- أنا مستعدة أن أعلن الحماية على الصبي وأمرر خطتها  
بسلام وألا أعترض طريق الخير وأن أساعدك في  
تحقيق ذلك.

- تساعديني؟ في أي شئ؟ وماذا تعنين أن تتركي الأمور تمر

بسلام؟

- لن أتدخل فيما فعلته هي .. نقل أملاك وأموال طائلة باسم طفل صغير يعني الشيء الكثير وإذا عرف «عمران» ذلك فأنت تعلم ما سيؤول إليه مصير الطفل بل والعائلة .. «عمران» يكره الطفل إلى حد أنه لن يتوانى عن قتله .. هذه الثروة التي هي من حق طفل يُسحق بضغطة إصبع .. ستكون سبباً في كوارث مستقبلية علينا .. معناه أن الأعداء سيتربصون بنا ليفتكوا بأفراد العائلة الواحد تلو الآخر من أجل اضعاف الفرصة على الصغير في استلام مهام ومسؤوليات قد لا يرضى بها الغير .. ولذلك علينا أن نتدارك كل هذه المشاكل من البداية ونحتوي فكرة الغطرسة التي تسيطر على أغلبنا كنزٍ معي وسأساعدك في نيل الكثير من أحلامك عزيزي وأن أعينك في شتى الأمور التي قد تعصى عليك.

أطلق ضحكة سُخرية قائلاً :

- ما هذا الهراء .. تساعدينني على ماذا وتعينيني على من يا تُرى ؟ أعتقد أنك ...

فقاطعته بحدّة بعد نفاذ صبرها منه :

- اسمع .. أستطيع أن أهدم كل اتفاق بينكما .. وأستطيع أن آخذ فلذ كبدها منها ولن تراه أبداً وأرميه في مكان لن يصله إليه أحد .. وأستطيع أيضاً ..

سكتت برهة وغيّبت بأسنانها شففتها السفلى فواصلت ولكن هذه المرّة بإغراء بالغ وكأنها تتلذذ بما ستقول :

- أن اشطب اسمك من الوجود.

حدّجها بنظرة ذا معنى قائلاً بتحدّي وقد شاط به الغضب وقلّ

صبره :

- الظاهر أنك نَمِلَة انتهى الوقت معك .. تفضلي .

- ليس قبل أن تطيعني وأطوبكَ تحت لوائي .. ما جئتك لأجله  
يجب أن تطيعني على فعله أو سأجعلك تندم .. فليس من  
المعقول بعد أن تنكشف لك نواياي أن أدعك تعيش بسلام  
تُحِيل أن قاتليك يتواجدون في كل مكان .. وما أن تلج مكتبك  
حتى ينقض عليك أحدهم ولن ينفعك رجالك .. وأنت تعرفني  
جيدًا.

يعرف أنها امرأة صعبة .. تختلف عن الباقيات ممن يعرفهن  
من نساء الأعمال والقسوة .. وممن تمتهنّ قتل الخصوم ..  
هي مختلفة بل أفسى كثيرا .. بأنوثتها الطاغية وصلت اعلى  
المستويات .. واستطاعت عن طريق مركز والدها أن تلج عالم  
التجارة وأن تشارك «عمران بيك» في أغلب مشاريعه .. فدّمرت  
شخصيات قوية فتلاشوا كالغبار .. «أشرفت» ليست عادية فلديها  
مسحة من الجنون تنفي أعنى الرجال خلف الشمس .

هذا الأمر الجلل التي جاءت من أجله يجب أن يُنْفَذ .. وكما تريد  
هي .. ولا فائدة من الجدال أو العناد الفارغ؛ فهي قادرة على أن  
تختار له مصيرًا تَعَسًا وبلا لأي تردد.

ألقى عليها نظرة شرزاء بعينين مظلمتين أضناهما الجزع من  
حضورها .. وكأنها برمت من الصمت فقالت :

- لا تعتقد أنني لا أعرف شيئًا عن صفقاتك المشبوهة ولا تعتقد  
بأنني عاجزة عن جلب أي ورقة تثبت تورطك في قتل رجال  
مهمين - ثم رفعت حاجبها الأيسر فأضافت إلى أنوثتها إغراء  
كافر - ولن يعتقك من غضبي إن حلّ عليك سوى طلب واحد

ينقذك مما أنت فيه.

أثارت جملتها الأخيرة انتباهه .. وظهرت على وجهه آثار المرونة  
وبعض الراحة وقال وكأنه يستغيث بالطلب ليضمن سلامته :

- وما هو ؟

- أحد الشخصيات المهمة سيكون لديه اجتماع مهم جدا وقريبا  
هنا في العراق .. وسيقام في مكان ما خارج بغداد لتنفيذ  
اتفاقيات مشبوهة .. وهناك رجال سياسة كبار سياركون هذا  
اللقاء .. سيدخل البلد باسم وهمي .. وبحماية وزير الداخلية  
بنفسه .. رجل مهم جداً تعرفه وأعرفه ويعرفه كل من لديه  
علاقة بالإجرام أو التجارة.

كانت صعقة كبيرة له .. فلا أحد يعلم مغزى هذا اللقاء سوى  
أشخاص معدودون في الوزارة لا يتجاوزون أصابع اليد فمن سرّب  
المعلومة ؟ والخوف كل الخوف لو فعلاً يتم تسريب كل خطط  
المؤامرة التي تهدف من التخلص من بعض الشخصيات ولكنه  
آثر السكوت خوفاً على نفسه منها .. أية عصفير تنقل الأخبار  
بدقة .. معناه هناك اختراق بين شبكة التجار وهذا سيكلفهم  
حياتهم .. «أشرفت» لم تأتٍ لكبي تعرض شيئاً وانتهى بل هناك  
شخصية كبيرة يساندها ويحمي ظهرها .. لأن التطرق في هذه الأمور  
لا طريق له إلا الموت الأكيد .. ولولا يدٌ خفية قوية يساندها لما  
تجرأت على هذا الطلب الخطير.

عاجلته بجواب كان يختلج في خاطره .. وكانت إجابة صريحة  
كافية بقتل فضولهِ وتساؤلاته :

- رجالي لا يبخلون بأي معلومة تولد من رُحْم أفكاركم  
تحركات كل واحد تصلني وأنا جالسة في قصري وأستطيع أن

أجزم عن نوع الملفات التي تدخل مكتبك وزبائنك .. وأعرف  
أماكن الملفات المخزونة في أماكن سرية قد شيدتها أنت لهذا  
الغرض .. وأعرف أنك متواطئ مع أغلب الرؤوس الكبار في  
عمليات اغتياالات سرية جرت أحداثها مؤخرًا .. ولكنني  
سأكافئك بشيء وأنت تعرف أنا لست مجبرة على فعل ذلك.

أراد أن يتكلم فقطاعته بصوتها الأنثوي الحاد والناعم :

- سأتركك تعيش كما تشاء ولن أقرب من .. «ولي العهد»  
الجديد وسأدعه يعيش ويكبر وربما أساعده في ولوج عالمنا  
ولم لا وهو من سلالة «بيت القاضي».

أيقن مدى جديتها وأن العناد لا يفيد معها هي تعي ما تقول  
حتى أجبرته على الرضوخ .. فقال باستسلام :

- لك ماتريدين .

فأبت بجمود وثقة :

- لا تقلق لا أحد سيعرف شيئاً عن هذا اللقاء .. أنت ربحت  
حياتك وأنا ربحت كل شيء .. أريد فقط تفاصيل المكان ولا  
داعي بأن أذكرك بالصدق .. الصدق عندي مهم جداً  
عزيزي .

النساء كارثة إن ضربن .. يَكُنَّ كالإعصار يقتلعن كل شيء  
يقتلعن حتى الرجال من أعماقهم .. ويزرعن فيهم الخوف وإن شئنَ  
لهم الأمان فلهم ذلك

«أشرفت» نبتت على السطح ونمت وتشجرت .. هذه المرأة  
كشفت له حجب أساليب المرأة هوائية المزاج .. ورخاوة عشقها  
سعيها للاحتدام .. فالاحترق ثم الانصهار .. هذه المرأة عشقت  
واحداً فقط وفضلته على جميع الرجال .. تحطو خطوةً من الممكن أن

تكلّفها حياتها لو فشلت .. ولكن مهلاً .. مَنْ يا تُرى يدعمها لكي  
تتجرأ وتتحرى عن الرجل المهم الذي سيزور بغداد؟ «عمران»؟  
لا أظن .. فهناك مَنْ هم أقوى منه .. مَنْ؟ مَنْ يا تُرى؟



## الفصل الخامس عشر

### القاهرة

كانت القاهرة كعادتها جميلة وتبهر الأنظار بأبنيتها الفخمة ومشاهدها الرائعة .. فكانت الشمس تعطي كبد السماء وترسل أسلاكاً من نورها الذهبي .. فإذا غمر النبات رف رفيفاً .. وإذا مَسَّ النيل تتلألاً كالسحر .. فتبدو القاهرة بأرقى زيتها وتضحى آي النبل والمجد والجمال .

وصل «عمران بيك» مطار القاهرة .. فنزل مع رجاله الخمسة أرض المطار .. تملئهم الحيوية والنشاط وهم يزورون القاهرة أم الفن والدينيا .. كان البيك مغتبطاً بانتهاء الرحلة الطويلة فاستقبله «السوركي» و«عفر» في المطار وأظهر له بالغ الحب والاحترام بزيارته .. عرف «عمران» من لهجة «عفر» بأنها يهودية من العراق ولم يستبعد بأنها تحفي قصصاً مريبة في سفر حياتها أبدى مرونة كبيرة في التعامل معها .. فأعجب «عمران بيك» بها من أول نظرة وعلى الفور شعر بغريزة العشق يتدفق من بين أضلعه .. ولكنه كان محافظاً على هدوءه وقوة شخصيته المعهودة .. فتلقى ترحيباً مهيباً يليق بمكانته كرجل أعمال له سمعته في التجارة الدولية وعالم المافيا .. مضى يقلب عينيه في جسدها الرشيق .. التي تتألق بنسق غاية في الإثارة وكأنها قطعة عاج ملساء تتألق بعينيها الجميلتين .. صعد الجميع السيارات الفخمة وانطلقوا إلى قصر «السوركي» بينما كلمات الترحيب الرنانة الجميلة لم تنقطع والابتسامات العريضة تعلقو الشفاه.

ثم بلغ موكبهم الصغير ميدان قصر «السوركي»، وكان

ميدانًا فسيحًا مترامي الأركان تقام على جوانبه الحدائق والتماثيل والأشجار .. ويبدو في مكانه الوسيط القصر الجليل يهر الأنظار مشهده الرائع .. كان قصرًا عظيمًا كقصر «عابدين» ف «السوركي» كان رجل غني عن التعريف في مصر .. رجل من كبار الأثرياء في بلده .. له نفوذ قوي لا يُعلى عليه في عالم التجارة وأمّا الكيف وتجارة الرّق فله مزاجه الخاص .. وفيما كان الموكب يقطع أرض الفناء كان «عمران بيك» يسأل نفسه :

- تُرى هل «عفرا» متزوجة ؟ أو لديها عشيق ؟ كيف تركت العراق ؟ يهودية ؟ فاجرة في جماها.

وفي نفس الوقت كانت «عفرا» تسأل نفسها وهي تسير بمحاذاته :

- هل هذا هو «عمران» ؟ فعلا شخصية تستحق الاهتمام أسفة عليه على ما سيلقاه من مصير لا يليق برجل مثله ابن بلدي ولكن للضرورة أحكام.

كانت الردهة المؤدية الى باب البهو مزينة الجانبين بتماثيل ونقوش جميلة .. تماثيل مصرية تدل رموزها على شخصيات فرعونية تاريخية وعريقة .. يعبر عن مدى براعة المعمار المصري في تطوير عالم الفن والتي اشتهرت بها في كل أجيالها المتعاقبة .. وفي أركانها يقف رجال أشداء للحراسة .. فكان في صدر المكان أرائك فاخرة وواسعة للضيوف، فأقْدَموا قاصدين الجلوس ويرتاحون قليلاً من تعب الطريق.

بانّت السعادة على الوجوه واضحة وقد جلسوا يتسامرون ويرحبون ببعضهم وكانت «عفرا» ترمي «عمران بيك» بنظرات أنثى لا ترحم غازية قلبه بلا سابق إنذار، ذا مغزى لا يفهم معناها سواهما وكان «السوركي» يتظاهر بعدم الانتباه .. بينما غرقا الاثنان

في عالم الإعجاب ببعضيهما.

وكلما كان «عمران» بيك يتكلم كانت هي تهيم به .. ويهيم هو بها وكأنه يقصدها بالحديث.

وحين سفور الصبح .. كان «السوركي» قد أجرى عدة اتصالات مع «دانيال دنغور» يزوده بكل جديد .. وكان «دنغور» حريص جدًا على أن تسير خططه على أتم وجه لأن أي خطأ فادح سيتسبب بكارثة كبيرة .. ولا سيَّما أنه يتأمر على شخص له سمعة واسعة وكبيرة بين رجال الأعمال .. وكما أن له أعداءً فله أصدقاءً أيضًا ترتبط مصالحهم بـ «عمران بيك» ارتباطًا وثيقًا فسيهبون لنجدته بأي وقت وفي أي مكان .. لذا الحذر والكتمان مهمين في مثل هذه المسائل الحساسة جدًا.

- اسمع ما أقوله لك .. صحراء سيناء أفضل مكان لإنهاء قصته .. أريد منكم إنجازًا دقيقًا .. إذا أحسَّ بشيء فالنهاية سوف تحيق بنا .. لا تستهين به .. إنه الرأس الكبير لـ «بيت القاضي» .. واعتبر نفسك في عداد الأموات لو أحسَّ بشيء لأنه لا يرحم من يغدر به .. وسينال منك .. إنه قوي، لئيم صحيح .. ولكنه شجاع فوق كل ما تتصور .. اجعله يطمئن إليك ومن نواياك بأية طريقة.

- لا تقلق أنا طاعن في السن ولكني مازلت داهية.

- وما أخبار الحسنة؟

- هي تقول بأنه شخصية تستحق الإعجاب .. ولكنني لا أرى فيه غير ذبابة تتخلص منه ونرتاح للأبد .. فلا ينافسنا أحد في تجارتنا بعد الآن .. ونودّع القلق إلى الأبد لو أمكن.

- القلق موجود في عملنا دائما .. سيكون من باب العقل أن

نتخلص منه بهدوء .. احرصوا على أن تتخلصوا منه قبل أن يُشهر رجاله أسلحتهم عليكم .. لا ترحموا أحدًا فأنتم امام مصير الموت لو أبطأتم في قتلهم سيقتلوكم بلا تردد أو رحمة فهم رجال بارعين في التصويب والدفاع .. لم أصدق أنه سيصطحب خمسة رجال ولكنه وفر علينا الكثير من الوقت والمجهود .. لقد اختار هذه المرة قدره بنفسه.

- لا تقلق سينقض عليهم رجالي قبل أن يحسوا بالأمر .. عدم اصطحابه لرجال أكثر معناه أنه مطمئن بأنه لا عملية غدر ولا قتل ستحصل .. فهو يطمئن إليك بلا شك .. وهذا يصبّ في مصالحنا.

- اطلق عليه «عفرا» ليضاجعها أكثر من مرة .. فليلة من لياليها كافية لإنهائه .. الجنس في هذه الحالة مهم جدًا .. ولا تنسوا دسّ المخدر في مشروبه فهو يعشق النساء والخمر .. سوف أرسل لكم مزيدا من المحلول الذي تم الانتهاء من تركيبته في مختبرنا .. جرّبوه عليه.

امتعض وجه «السوركي» ولكنه قال بشيء من الرجاء :

- عندي غيرها.

- قلت لك هي فقط من أريدها أن تضاجعه .. يا .. «سوركي» لا تخالف خططي إن قلت لك شيئاً فتنفيذه واجب .. لي قصد في ذلك .. «عفرا» هي من ستتولى المهمة .. لا أثق بغيرها.

لم يعارض «السوركي» الأوامر فهو يعرف مدى نفوذ سلطة «دنغور» الإجرامية .. وعناده هو جنون لا رحمة فيه .. فهو لا يريد أن يكون عكازًا معكوفًا ينتهي صلاحيته بتقدم سنه .. ولا يريد أن تتحول جميلته إلى مسمار صدى، يبقى جرحها

عفنا مدى الحياة .. لا يريد كلما يراها أن تنزّ بصديدها يصحبها  
رائحة نتنة .. أن تكون فراشاً لخصومه أو خصوم «دانيال»  
الغمام الشارد حلّ بحلول هذا الضيف الثقيل عليه ..

واصل «دانيال» كلامه بجديّة اكثر :

- «سوركي».. أماننا خصمٌ صعب جداً يختلف عن كل من نلنا  
منهم قبل ذلك .. التخلص منه مهم .. تخيل عندما يرجع  
بصفقة السلاح إلى العراق ماذا سيكون بعد ذلك ؟ سيتفوق  
على الجميع بقوته .. إنه ذكي جداً ويجب أن نزيله .. إنه  
يريد أن يحرق أي شئ .. والتخلص منه يجب أن يتم في أتم  
سرعة وفي شتى الطرق التي قد تزيله إلى الأبد .. الحل  
الوحيد الذي سيمنحنا فرصة قتله هو خارج العراق .. فأنا لم  
أصدق أذني عندما أراد أن يتمم على صفقة السلاح بنفسه  
كدت أطير من الفرحة كالأطفال .. يُقال غلطة الشاطر بعشرة  
لقد كنت متحيراً من أمري كيف أدبر له خطة نهايته .. ولكنه  
حفر قبره بيديه.

- حفر قبره بيديه !

- بالضبط.

- اطمئن إذا كل شئ سيكون على مايرام.

- أعلم بأنك تحبها، ولكنها الوحيدة من ستستطيع قتل كل  
شكوكه لو كان في قلبه أي شك .. فهي بارعة في أداء دورها  
مما سيساعدنا في إزالة أفكارا مشبوهة قد تكون عالقة في  
ذهنه المريض .. قبل الموعد بليلة أريد أن يعاشرها حتى  
الصباح أنهكوه وشلّوا أعصابه .. أريده أن يفقد تركيزه تماماً  
في الدفاع عن نفسه عندما يُصطدم بالواقع .. وبأن كل شئ

قد تحوّل ضده فجأة.

- لقد بدأنا فعلاً بخلط خلطات سحرية في مشروبه الخاص ومن دون أن يتغير شيء من مذاق الشراب .. الرجل يعمل جاهداً في مختبره من أجل إنجاز كل شيء .. تم صنع نفس العينة من المواد المخدرة التي بعثتها لنا كانت ذا فاعلية عالية لم أر مثلها من قبل .. لا أعتقد بأنه سيستطيع رد الهجوم عن نفسه مهما بلغ من الذكاء والسرعة .. سيكون فاقداً للتركيز تماماً.

- جيد قم بعملك ووافيني بكل جديد .. وعلى فكرة منظمك الإسلامية قيد الدراسة وستبرز لها اسماً إسلامياً لا يستطيع أحد أن يردعها مهما كانت قوة الأنظمة .. فقط انتظر من عندنا الوقت المناسب للسماح لك بأطلاقها وتجنيد أعضاء أكفأ لها ليساعدوك على انتشارها .. المهم أن يكون كل شيء تحت السيطرة قبل أن تنطلق الخلايا النائمة وتنفذ مآربها على أتم وجه .. أراك بعد العملية .. يوماً هانئاً صديقي.

انتهت المكالمة بين الطرفين ففرح «السوركي» من ناحية بتعجيل إتمام المهمة بأسرع وقت ممكن وتكدر من ناحية ثانية بسبب الثمن الذي سيدفعه وهي زوجته .. بسبب مصالح «دانيال» الشخصية امتقع وجهه وتكدر ذلك الوجه الهرم .. فهو من سيدفع بمن يجبها إلى مضاجعة مجرم جاء من بلد آخر ليلقى حتفه هنا ويذوق من الألم كما أذاق غيره .. هو أخطر رجل عرفه الإجرام لحد الآن .. ولكن «عفر» بالنسبة له هي «إله العشق» .. كما يوصفها وجسدها المشوق ككتاب مقدس لن يمسه أحد غيره منذ أن تزوجها سراً، تقدم بتؤدة شارد الذهن وفتح باب المكتب .. وقف يتطلع إلى أركان القصر .. مسح ببصره كل شيء قبل أن يخرج إلى

الحديقة لا يلوى على شئ سوى أنه كان غارقاً في التفكير.

## الفصل السادس عشر

مشارف حدود بغداد الساعة ٢:٠٠ صباحًا :

كانت أصوات الموجودين تدل على أنهم في سهرة شبه حمراء لو توافرت فيها النساء فهم يقضون بعض الوقت لقتل روتين الانتظار الممل .. المفروض أن يدخلوا الاجتماع المهم بعد زمن يسير .. حيث يتواجد الكبار في مزرعة كبيرة تضج أجواءها بأحاديث وضحكات عالية الجميع حضروا إلا «توفيق الدوري» الذي تعلق بالمرض ولم يثر شك أي شخص بسبب ثقته العالية به ..

وحيث ينير القمر منها سبلا .. مستمتعين بصفاء الجو وسكون الأشجار .. اكتظت تلك المزرعة بجماعات هم في الأصل شخصيات تجارية وسياسية مهمة جاؤوا لقضاء أمر جليل ولسرّية الأمر لم يرافق أحدًا من الحاضرين أي حارس شخصي خوفًا من اختراق أسرار الاجتماع الذي قد يؤدي بحياتهم أن انكشف أمرهم .. فلو انتشر خبر هذا الاجتماع إلى المجموعات الاستخباراتية أو رجال من منظمات أخرى تعمل ضدهم فستكون الحرب أو النهاية .. فهو اجتماع مصيري يتباحثون فيها بشؤون التجارة وبعض القضايا السياسية وكيفية إزاحة خصومهم بعدما يتسوا من أمرهم ووصل التفاوض معهم إلى طريق مسدود .. أو منهم من انتهت ورقته وصلاحيته وبات لزامًا عليهم التخلص منه وإيجاد البديل على الفور.

حيث تترامى في المزرعة الواسعة الحقول ذات الخضرة فكانت النسائم تعابث الأشجار حاملة في حناياها هسيس النبات، وشذى الأزهار والرياحين .. ورائحة شواء اللحوم فكان المظهر يدل على



أنها حفلة عادية .. وليس اجتماعا من العيار الثقيل.

كان اجتماعا مهما من المقرر أن يُقام بعد نصف ساعة حال حضور الرجل الكبير .. الذي يتأخر كعادته زيارته إلى بلدان الشرق الأوسط قليلة باعتبارها دول من العالم الثالث فيكتفي بأن يُرسل ممثلين له ليديروا مثل هذا النوع من الاجتماعات ما يتم إقراره يجب أن يُنفذ في اليوم التالي وبلا تأجيل .. ومن أهم هذه النقاط التي ستُداول في الاجتماع كانت خطة اغتيال «عمران بيك» وتنفيذ انقلاب تجاري في سوق البلد والسيطرة على مداخل الأسلحة وتفجير عدد من مخازن الأعتدة التابعة لبعض المؤسسات المهمة .. وأيضا أضعاف «دانيال» وإبقائه تحت سيطرة المافيا العراقية .. خطط مُدمرة لمستقبل الكثير من الشخصيات أن لن تجد من يوقفها فالكارثة ستحل عليهم لا محالة.

خفّت الأصوات إثر هتاف صاحب المزرعة .. فانعطفت الرؤوس نحوه لكي يسمعوها ما يقول :

- أيها الإخوة سيحضر «السيد العام» بعد دقائق فلنكن جاهزين أيها الكرام .. لا نريد إرهابه بأمور تافهة لقد وصل من إيطاليا اليوم وسيعود غدا .. فأرجوكم تحمّلوا شيئا من التقييد الروتيني إلى أن يُغادر بسلام .. لا أريد أن أعيد : لا ذكّرَ لأُمورٍ لا تستحق الذكر .. خلافاتكم مع الخصماء ستُحل بيننا أما التهديدات التي تواجه مستقبلنا فهي الأهم الآن ركزوا عليها رجاءً .. تفضلوا إلى الداخل لو سمحتم رفاق.

دخلوا جميعا حتى فرغت الساحة منهم وكان عددهم ١٥ رجلا كانوا من أهم الوجوه السياسية والتجارية في العراق .. فبقي عدد يسير من الحراس في الخارج وكان عددهم يبلغ ثمانية من أمهر الرجال في القتال.

بعد دقائق وصلت ثلاث سيارات دخلت المزرعة وساروا حتى وصلوا باب الفيلا الرئيسي .. نزل السائق على عجل ليفتح الباب لسيدته .. الذي يمثل شخصاً رُبْعَةً ضخم الهيكل .. كبير الرأس ومقوس الأنف، ذا لحية طويلة، وعيناه واسعتان جاحظتان فلم يُشكُّ أحدٌ حتى ممن لا يعرفه بأنه «السيد العام» فهو السيد العام الواضح من تصرفاته وحركاته .. بينما اعتبر حراس الفيلا بأنهم محظوظون لمشاهدتهم أكبر شخصية مهمة عن قرب حدث تاريخي بالنسبة لهم ولكن السريّة مطلوبة ومؤكدة .. ولهذا تمت الاستعانة بعدد قليل من الحرس بعد أخذ تعهد منهم بالالتزام التام بالصمت.

كان «السيد العام» ينظر إلى فضاء المزرعة بتكبر .. فأدام النظر إلى الفيلا شزراً .. ولم ينبس بشيء .. ثم دخل مكان الاجتماع حيث تجلس الشخصيات بانتظاره .. يسير بِخَيْلاء وعظمة فما أن رآه الجالسين حتى قاموا من أماكنهم واصطفوا ليصافحوه بإجلال واحترام كبير لشخصه المهيب .. وتقدّموا إليه بإذلال للتحية وتقبييل يده.

أذن لهم بالجلوس ثم بدأ يتكلم بصوته الخشن وهم ينصتون باحترام بالغ لسيدهم الذي لا يرونه إلا مرة في كل خمس سنين أو أكثر .. يتكلم قليلا ويستمع كثيرا إذا تطلّب الأمر لعقد اجتماع أو مؤتمر .. ثم يصدر قراره بعد تفكير طويل ينصتون بإجلال لكلامه المهم وقراراته التي يتخذها ليغيّر واقع الحال .. واقعا سيزلزل البلد لو طبقت خططه بحذافيرها فمن سيوقفه إن طبّق رجاله أو امره وغيّروا مسار البلد الاقتصادي والسياسي .. كان يتكلم معهم بلهجة تنطوي على الحنق بالرغم من احتفاظه على هدوءه .. ولكنه كان عظيم التكبر والجبروت فكلما كان يذكر اسم «عمران» و«دانيال» ينقبض صدره

ويحتدم الغيظ في قلبه .. ويهدد بعجم عود هذين الشخصين  
وترويضهم على الذل قبل أن يُقتلا.

صار وجهه كالجمان عندما صرخ فجأة بالجالسين :

- أنتم المسؤولون عن هذه المهزلة التي لما كانت لتبرز في وجودي  
استولياً على التجارة والأسلحة فلا نكاد ندخلها حتى يُقبض  
على رجالنا ويُقتلون من قبل رجال «عمران» الوغد .. أنتم من  
عملتم على منحه القوة والسلطة بخوفكم هذا .. بل أصبح قوياً  
أكثر من السابق بعد أن ضعف فترة من الزمن .. أما بخصوص  
ما يجري الآن من أمور داخل البلد من سياسات بطيئة فلم  
تُعجب الرأس الكبير في لندن .. علينا أن نجد حلولاً جذرية  
قبل أن يفلت زمام الأمور من بين أيدينا .. لم أكن أعتقد بأن  
أشخاصاً تافهين سيؤثرون على عملنا وخططنا .. أشخاص  
ننهي حياتهم بطلقة صغيرة وتنتهي كل شئ كان .. لم أكن لأتي  
لولا أن الأمر يتطلب حضوري شخصياً.

فأشار إلى أحد الشخصيات بالتكلم .. فاستمع الجميع وساد  
صمت الثقيل .. بينما الضيف الثقيل جمد الجميع بنظرات تقطر  
احتقاراً .. كان التوتر هو سيد الموقف .. الجميع يهابه من سرعة  
غضبه إضافة إلا أنه حادّ اللهجة وفظّ الأسلوب .. بدت ملامحه  
كأنها قُدّت من صخر وصبغت الغضبة على سحنته لوئناً داكناً كثيلاً  
وأحاطت محجري عينيه بظلال داكنة.

داخل الاجتماع كان كل شئ صامت وخافت .. فغضب «السيد  
العام» ليس سهلاً .. فلديه إمراطورية كبيرة من أعمال وشركات  
وعلاقات مهمة في الخارج .. وسلطته هناك تفوق سلطة الملك نفسه  
في داخل العراق ..

أما خارج الفيلا فكان كل شئ قد بدا يسير بشكل سيء وسط الهدوء الكبير الذي غشا الحراس .. فالأنفاس لا تشتهي أحيانا ما تجبئ لها الأقدار من سوء التدابير.

مجموعة مسلحة ظهرت بغتة وهجمت من الخلف بعدما تخلصت من حارسي البوابة .. ثم انسلت عبر الأسوار وزحفت كالزواحف المرعبة وباغتت الحرس الموجودين من ورائهم وصرعتهم قتلى في الحال وبلا رحمة .. فقد كانت مقاومة الحراس بالرغم من قوتهم ضعيفة جدا وَرَدَّة فعلهم كانت في أدنى مستوى بعضهم بوغت من الخلف ونُجِر .. وبعضهم أَحَسَّ بالهجوم ولكنهم أصيبوا بعيارات نارية في صدورهم فأردتهم قتلى قبل أن يدافعوا عن أنفسهم .. ثم دخلت مجموعة أخرى إلى الفيلا لكي لا تتيح الفرصة للموجودين في الداخل في المقاومة .. ودخلوا المكان بسرعة كبيرة وأجبروا الموجودين على إلقاء أسلحتهم والاستسلام فوراً دون قتال يُذكر .. شرط أن يخرجوا أحياء ولكن الوعود لا تُنفذ ولا تُطبق في مثل هذه الظروف .. فالغدر سيّد الموقف دائماً.

اندفع إلى الداخل أكثر من نصف المهاجمين بسرعة .. شاهري المسدسات فأغلقت جميع المنافذ والأبواب ووقف بعض المهاجمين في أنحاء متفرقة من زوايا الفيلا بعد أن تم الاستيلاء عليها ..

أما في داخل قاعة الاجتماع فكان الاستسلام واضحاً .. فقد صاح بهم أحد المهاجمين ويبدو أنه من يقود مجموعته :

- الزموا أماكنكم .. وألقوا بأسلحتكم .. المقاومة فاشلة لأن عددكم لن يسمح بذلك .. لقد قتلنا جميع الحرس .. والأولى بكم الاستسلام .. لن ينالكم سوء ما دمتم لا تفكرون بالمقاومة.

فتقهقر الجميع ومن بينهم «السيد العام» الذي كان يريد أن يحافظ على أهى صورته ويتجنب سوء العاقبة .. قلب أحد المهاجمين عينيه فيهم حتى وقع نظره على المطلوب .. فتقدم نحوه فشمم الصمت المكان وعلت الأنفاس وخفضت ولم يجروا أحد على الدفاع لإنقاذ حياة سيدهم.

أراد «السيد العام» من منع المهاجم بالتقدم نحوه بحركات من يده تفادها المهاجم برشاقة فعولج هدفه بلجمات كالطر .. تقوضت قامته فانهار على الارض لا حراك له .. يتأوه من الألم من جراء الضربة .. كان يحمل من الدهشة مما هو أكبر من الغضب ..

ثم جمعوا باقي الرجال في مكان واحد .. كمن سيُنقذ فيهم حكم إعدام جماعي وشهروا أسلحتهم بوقت واحد وكسرة الضوء جُهزت مخازن الذخيرة وأطلقت النار على الرجال فورا حتى نفذت الرصاصات في الرؤوس والرقاب والأجساد.

حاول «السيد العام» من الاختباء وراء البار بمحاولة يائسة فترأى شاحب الوجه .. بلون الموت لكن رصاصة نفذت في قدمه ورصاصة استقرت في رقبته وكأن من يصوبها عليه يتعمد تعذيبه قبل قتله حتى بات يصيح بصوت سائب من الأذى ثم رصاصة أخرى من مسلح آخر استقرت في منتصف جبينه فخر صريعا في الحال.

بعدها انتهت مشاهد القتل تقدم أحد المسلحين نحو جثته وانثنى عليها ليتأكد من مقتله ثم نظر خلفه إلى رئيسه ليقول له بصوت مطمئن :

- المهمة انتهت بنجاح .. لقد أجهزنا عليه.

وبعد زمن يسير انسحب الرجال وقد أضرّموا النار في البيت الكبير بعد أن جمعوا الجثث في مكان واحد وأحرقوهم شرارات صغيرة من اللهب كانت تجري على جثثهم كأنها فئران حمراء صغيرة تنزلق عليهم .. حتى دارت السنة اللهب وكبرت وتلّوت مسابقة بعضها بعضاً إلى السماء حتى توهّج الليل الأسود من عظمة النار وقد بدا الهواء نفسه كأنه يسيل من فرط الحرارة وأثاث البيت الكبير يقطع بصوت أعلى وأعلى .. فاستحال المكان إلى عذاب يُجمّد الدماء في العروق تركوا المكان ليغدو محرقة كبرى .. تأججت كوحش عظيم تضمّ في بطنها رجالاً كان لهم دور كبير في تغيير بلد بأكمله .. حيث كان اللهب يندفع إلى الأعلى ليلعق بطن الليل.

## الفصل السابع عشر

لما انتصف الليل أو كاد كان القصر يشمله مناسبة احتفال يقيمها «السوركي» كل آخر الأسبوع سواء بمناسبة أو من غير مناسبة يعربد الضيوف من الرجال والنساء ويسكرون حتى تضحى حفلة ماجنة تلم كل أصناف الفساد الأخلاقي.

كان «عمران بيك» ثملاً منفصلاً عن العالم وكانت «عفرًا» تجلس بجانبه تسقيه الخمر وتؤنسه .. ساحرة إياه بأنوثتها الطاغية كان لفمها مذاق العسل والقرنفل .. وكلما كانت تمسح بأناملها الناعمة خديه ازداد اشتياطاً ليعبر عن شراسة وحش كاسر يريد أن يلتهمها حالاً .. فتزيد عليه اشتياطه تكسبه جنونا لا يغلبه أحدٌ في ولعه لها .. مسحت بفخذيها الناعمين فخذ «عمران بيك» حتى هاج وماج ما في داخله من شعور كابت وشهوة لا حدود لها يستعجل الانفراد بها .. لكن بعض أخيلة قامت غشاءً كثيفاً بين رأسه والنعشة التي اكتسبته من أثر الشرب .. ثم اختلطت الأخيلة فيما يشبه الموج .. ورققت وتهافتت بغير شعور منه .. فانساب الخدر إلى جفونه ولكنه كان يقاوم بقوة رجل لا تكسره نشوة الشرب والسكر .. فهو طامع قبل سفره أن يكون غازياً مملكتها .. ويفتح مدناً ويسقط إمبراطوريات ولربما يتعذر عليه بعد ذلك من رؤيتها مرة أخرى فصاحبة القدم المشوق مُلكٌ لخنزير تافه ولو كان بيده لقتله .. وكان يشعر بطراوة ثدييها البضين المضغوظين بين حامله نهديها .. كانت كلما تحاول أن تتحرش به وجدت أصابعها تلمس أزرار ثيابه لتحلها .. يمنعها قليلاً ثم يتركها .. فكانت في الحقيقة رائعة لدرجة أنه استسلم لقدره.

همست له بإغراء بعد أن رأته من بعيد إشارة خضراء من  
«السوركي» بأن تبدأ معه مشوار الخطبة .. فتظاهر الأخير بأنه  
مشغول مع عدد من الضيوف فخرج إلى خارج القصر برفقتهم  
ثم مالت على أذنه وهمست بصوت ناعس :

- «السوركي» خرج وسيتأخر .. نحن غير ملزمين أن نبقي مع  
هؤلاء فهم ضيوفه هو لا أنت .. وكما ترى أنهم سكارى  
وزوجاتهم في أحضان الغير يستمتعن بالحياة .. إن اختفينا فلن  
نشير إية مشاكل فالجو هنا مبارك من الشيخ «السوركي» فلا  
داعي للقلق.

ضحكا بصوت عالي حتى مسك بطنه ودمعت عيناه من  
سخريتها ثم قال :

- اللعين كيف حصل عليك .. ربّ الجمال والسموات والأرض لم  
يخلقك لكي تكوني جارية عنده.

استاءت هي من جملة فبان الامتعاض يغزو وجهها ثم أردف  
غير مبال بامتعاضها :

- بل خلقك ربك لتكوني أميرة على مملكتي وعرش رجولتي  
فلماذا لا تعودين معي إلى العراق .. حيث وطنك.

- العراق لم يهني سوى الاضطهاد كيهودية .. هيا لا تنغص  
علينا جونا الجميل .. هيا لنسحب من هنا وبلا استئذان من  
صاحب المكان .. إنني تواقفة لرؤية ماستفعله بي رجولتك من  
معجزات .. قلّ فعلها لرجال من هذا الزمان.

قامت وانتصب جذعها الرشيق ثم مدت يدها له ليقيم نفسه  
فسحبته بقوة مذهلة أثبتت فيها قوتها الغير متوقعة مع «عمران  
بيك» رغم ثالتها .. وقف يترنح مدهوشاً من سحبتها له



انتصب وتوازن بعد ترنح ثم قال ضاحكاً بصوت عالي وسط  
صخب الموسيقى وضحكات السكارى :

- سكران صح .. ولكني سأظل رجل في أوج عظمتي .. أنا  
البرنس وسأظل البرنس الذي لا يُقَهَرُ .. أنا غضنفر لا يُقَهَرُ  
سيد «بيت القاضي» .

ضحكت ساخرة وقالت :

- لنرى لأي ساعة سوف تقاوم أنوثتي أيها السبع .

- إلى الفجر .. حتى يأذن الله للشمس بالشروق .

- ولكنك على سفر والراحة واجبة .

كانت تريد أن تجس نبضه لا أكثر .. فأردف بتكبر :

- أنا «عمران بيك» لا تقلقي .. ثم سأنام في الطريق .. أوليس  
برفقتنا سائق يسوقنا إلى سيناء ؟

فقالته مؤبدة :

- نعم لدينا حمار يقودنا إلى النار .

- إذا أنت لي «سحبها نحوه مطوقا خصرها العتيد بيديه» الليلة  
حتى الصباح .

أطلقا ضحكة عالية مجلجلة فتأبط ذراعها وهما يمشيان بترنح  
متكئين على بعضهما البعض .. ثملين نحو غرفة النوم في الطابق  
الأول من القصر .

دفعته على السرير .. فجلست إلى كرسي في مواجهة رقدته جلست  
واضعة ساقاً على ساق وبدأت تلخع حذائها وهي تنظر إليه  
مثبتة درجة إغرائها كمن يقضي على مقاومته ويختبر قوته نزعت

جوربها فتكشف عن عُري وركها الفاتنة ثم ساق ألقى تنادي لعق لذتها، رمت جوربها ناحيته فسقط على الأرض قبل أن يأتيه ثم نزعت جوربها الآخر .. وهي ترفع ساقها المشوقة الملتمة تعري وركها وركبتها ثم ساقها وقدمها فتلهب ظهره بشهوة تحيله عبد سيدته المتغنجة لم يكن «عمران بيك» يُصدق ما يراه .. وهي تلف بأصابعها إزره قميصها حتى وصلت إلى طلة ثديها وفتحة مشقوقة كنه لذة بين نهديها .. مكتفية ببروز تفاعتين من دون أن تتدليا من صدر جارية يهودية تُعري سيدها كي يقطف بقمه عنب ثديها فأقسمت أن تقضي عليه تماما بقفزها على السرير ..

تقبله محومة تسعى إلى محموم .. يفعل ما أمره به شهاب جيدها العاري .

كان النعاس يكتنف دماغه من شدة السكر .. ولكنها كانت تحافظ على أن تبقى مستيقظاً فلا يفصلهم عن الفجر غير ساعة من الآن فالمحلول وظيفته أن يُبقي من تعاطاه سهرانا رغم التعب ولا يستطيع النوم حتى الفجر .. انسلت إلى جواره تحت الغطاء وتحسست بيدها إلى ما بين ساقه لتتأكد من أنه منتصب فاطمأنت على ليلتها .. فباغتها فوراً وارتبكت من صعوده عليها وقد اتسعت عيناها فلاح بياض قزحيتها الشديد .

## الفصل الثامن عشر

ولَّى ظلام الليل وانعكس الضياء الوّضاح على سماء الأفق فانظمت صفوف السيارات الفاخرة في القصر .. خمس سيارات متشابهة في النوع وبألوانها الأسود القاتم .

كان «عمران بيك» قد أعياه تعب الليلة .. و«السوركي» يمشي بمحاذاته يرمقه بين حين وآخر بنظرات حاقدة .. وقد تأكّد بأن ضيفه قد استنزف كل قواه وبأن تركيزه بفضل المواد المخدرة التي تناولها مع المشروب الروحي قد اضمحلّ بعد أن زادت شهوته بفعل المواد المخلوطة وأنه سيحتاج على الأقل يومين لكي يعود إليه القليل من التركيز .. ولكنه لن يؤجل قتله إلى اليوم الآخر كان ينتظر هذه اللحظة منذ أن ضاجع الكلب زوجته سيتخلص أولاً من رجاله ليصعقهم بموت فتاك شامل .. وبعدها يهشم رأس سيّدهم «عمران بيك» ببلطة يحتفظ بها في قصره ولا يستعمله إلا للأشخاص المهمين .. ويغتالهم بها سالباً كل شيء جميل من حياتهم .. سوف ينطلقان إلى قصره في بادئ الأمر لكي يُغيّر الحُرّاس الشخصيين بغيرهم أكثر نشاطاً وبغير السيارات ومن ثمّ ينطلقون إلى الصحراء حيث سيناريو الاغتيال جاهز ولا ينقصه سوى التنفيذ.

كانت «عفر» شبه نائمة ولكنها بكامل وعيها .. جالسة في المقدمة تراقب من ضاجعته بجنون بعين الشفقة والحزن ولكن عليها أن تنفذ الأوامر وحسبها أن تعيش مدللة كأميرة في كنف سيّدها .. فكلما تذكرت أيام الفقر كانت تخاف ولهذا فكل شيء وارد في قاموسها لكي تعيش في رفاهيتها فهي .. ما زالت في بداية

شبابها صغيرة .. عليها أن تبقى في الكوكبة الأثيرة وتحرص على مزاج سيدها.

«السوركي» لا يريد للموت أن يتدلل كثيرا .. فيكفي أنه ترك البيك يضاجع زوجته ليلة بأكملها .. مما زاد من حنقه لقتله ويديه شخصياً .. وبلا رحمة.

\*\*\*\*\*

وبدا سور القصر في سيناء وبواباته الرائعات تتصاعد من وراء الأرض فبدا الجلال وعظمة ونفوذ المكان الذي يملكه «السوركي» فيها مسلحين بأجساد ضخمة وعضلات مفتولة فأنبث في نفس «السوركي» نشوة طرب وهو يراقب خلسة «عمران بيك» فاقداً قوته وعدم سيطرته على الحراك بشكل تام اهتزاز السيارة المتواتر منحه الرغبة في الاستكانة أكثر .. لو لم يفعل ما فعل به فإنه من الصعب التخلص منه بغير الوصفة السحرية التي بعثها له سيده «دانيال» إنه فعلاً ذكي؛ فـ «عمران بيك» رجل سجل في عالم المافيا والتجارة والطفغان أكبر وأشهر ملاحم الجرائم تشهد له أكبر شخصيات المافيا العالمية.

كانت الرطوبة الليلية المتأتية من المناخ خفت كثيراً .. وخلفت جواً معتدلاً لطيفاً والسماء صافية الزرقة والشمس مشرقة تغمر أشعتها كل شيء على المكان وبالفعل تم تغيير السيارات والرجال بسيارات بيض ومن النوع الفاخرة ومن طراز واحد .. ورجال تم تغييرهم بأخرين أكثر نشاطاً .. ولم ينتظر «السوركي» طويلاً حتى انطلق الموكب مجدداً يقصدون الصحراء.

وصلوا الصحراء «أرض الفيروز» التي تخلو من الحياة .. منقطعة تماماً عن العالم لا يصله حتى الذئاب من شدة الحر والقيظ

فقط أناس محدودون يصلونها لإتمام صفقاتهم المشبوهة.

بينما كانت هناك سيارتين تنتظر الموكب الذي وصل إلى المكان فتراصت السيارات أمام السيارتين .. ونزل كل فريق من سيارته تشملهم الرهبة والهيبية بأنافتهم وضخامة جثتهم التي كانت كجثث الوحوش .. لم يكن «عمران بيك» على استعداد لكي يقاوم التعب ولكن كبريائه أبى عليه أن يؤجل الموعد خشية أن يُقال عليه بأنه ضعيف.

عندما ارتجل من السيارة كان منهك القوى تماما .. فهرع إليه رجاله حالما وجدوه على إرهاقه وهو يترجل من السيارة متكئا على يد «السوركي» فأوقفهم الأخير بإشارة متعجرفة من يده وأمرهم بالتقهقر في الحال وإلا فسيلقون مصيرا لا يُحمد عليه فزع الرجال وفوجئوا بهذا التصرف الغريب .. فأدركوا بأن الأمر كمين مدبّر لكي يتم اغتيال رئيسهم .. وأيقنوا بأن كل شيء هو تمويه ولا أساس لصفقة السلاح .. والغرض كله هو لكي يتم القضاء على «عمران بيك» بطريقة ذكية لم تخطر على بال أحد في صحراء بعيدة لا يصلها أحد .. فيسهل قتله .. ولكن للأسف الإشارة وصلت متأخرة جدًا وقد فات الأوان الآن.

وما إن حاولوا الدفاع والقتال ونجدة رئيسهم حتى تم إطلاق الرصاص عليهم من الجانبين .. فحصدتهم كالهشيم وأرداهم الرصاص صرعى في الحال.

«عمران بيك» رغم وهنه انتبه للأمر ولكن ردة فعله الضعيفة لم تساعده في أن يقاوم شرّ الكمين .. وما أن همّ بأن يُخرج مسدسه من الكراب حتى عاجله «السوركي» ببلطته الحادة وهوى بها على رأس غريمه .. بسرعة القاتل المحترف فأطاح الضحية أرضا .. وتفجّر منه الدم كالينبوع وثنى بضربة ثانية أقوى من سابقتها فوق العين

اليسرى .. حتى حطمت عظامه وتناثر نخه في حالة بشعة فكانت مأدبة دموية شقى بها «السوركي» غلّه من الرجل الذي ضاجع زوجته وجعله يشعر لأول مرة بأنه قواد رغماً عنه.

فَوَجَّهَ إلى الجثة طعنات مجنونة لم تسلم العين والفم والأنف والحدّين والصدر منها .. فمزّقه أشرّ تمزيق وأغرقتها في بحر من الدماء .. ضحك بها «السوركي» ضحكة المجنون الذي أسره المنظر الدموي فأمر رجاله بإحضار «عفرا» التي أكلها الرعب من مشهد القتل .. لم يخطر على بالها قط بأنّ زوجها رغم سنّه الكبير لديه هذه القابلية من الوحشية على القتل .. جلبها أحد الرجال الأقوياء إلى مكان الحادثة .. يجرّها بقسوة وقوة حسب أوامر زوجها .. وعندما وصل الحارس إلى سيّده دفعها بقوة تحت قدمي سيده التي كانت يدها مزرجة بالدماء فصرخ بها كمن فقد عقله :

- لن تسلمي مني إن حاولتي خيانتني .. ولو فكرتي بالفرار فستكون البلطة مغروزة في رأسك إن صحّ ما أتوقعه.

ثم صاح برجاله :

- ادفنوهم في حفرة لكي لا يجد أحدٌ أثرًا لهم .. ولنعد قبل أن يحلّ المساء ..

ثم فكر لحظة وقال :

- أو ارسلوا الجثث لتتمتع بها عيون احبائهم.

وهمّ الرجال بجمع الجثث بأقصى سرعة حسب الاوامر وركب القسم الآخر مع سيدهم في سياراتهم .. وانطلقت بهم بسرعة تنهب الأرض نهبًا.

# البيت الثاني

- العرّاب الآخِر -





## الفصل الأول

بغداد

وانقضى من الدهر أعوام على اغتيال «العراب» .. الأكثر شراسة عرفته الأوساط بكافة طبقاتها آنذاك .. وانطوت حياته إلى الأبد فتأثرت باغتياله «عائدة خانم» و«أشرفت» التي جنّ جنونها عليه وأقسمت بالانتقام له حتى ولو بعد حين .. وتأثر الكثيرون حتى ممن كانوا يمقتونه .. لأنه كان رغم شرّه فقد كان أرحم عليهم ممن جاؤوا من بعده مستغلين غياب الأسد بكل حقارة وحقد دفين بعدما كانوا يدعون النزاهة فأثبت الدهر أنهم سُراق ومرزقة وعبيد للغير.

أما «جاهد بيك» فكانت فرحته لا حدود لها فأزدهرت تجارته وأصبح من أبرز وأهم الوجوه التجارية في العراق بفضل «دانيال» ولكنه لم يكن قوي الشخصية أمام الأخير .. أي إن صحّ التعبير «تابع له» .. وينفذ مخططاته على أتم وجه .. ولم يكن مسيطرا على سوق الأسلحة كما كان في عهد «عمران بيك» وكان مُعرضا لمنافسات كثيرة في الأسواق ومشاكل مع أنظمة البنوك المحلية والعالمية الذي كان يتعامل معهم .. كان فاقد الهيبة .. وكانوا بقية التجار الكبار يتمنون لو يزيحوه بأي طريقة .. ولكن الأمر الوحيد في هذا الشأن كان «دانيال» الذي كان يُطيل من عمر «جاهد بيك» لغرض معين وأسباب يعلمها هو فقط.

تغيّرت الأوضاع في البلد تماما نتيجة تغيّر السياسات الحكومية الضعيفة .. فقد كان حال رجال المافيا قد بلغوا في طغيانهم وإقطاعهم في العراق مبلغًا عظيمًا فأصبحوا يعاملون الفقراء كعبيد

واستشرى نفوذهم حتى في مؤسسات الدولة .. حتى أصبح الحديث في السياسة ممنوعاً بمنعاً باتاً .. تغير حال البلد كثيراً وتمنى الناس لو يرجعون إلى العهد السابق فالخير فيه كان أكثر رغم الفقر .. اغتيلات الشخصيات التجارية والسياسية لم تتوقف بل أخذت تتسع أكثر .. حتى الملاهي الليلية والمغنيات فيها أصبحن حكراً على فئة معينة من المافيا التي باتت تتشعب خيوطها في كل شئ.

وكان «جاهد بيك» يحاول دائماً أن يحتمي تحت ظل «دانيال» لا يهم لو يضحى قليلاً بكرامته المهم أن لا يهدده أحد في مركزه أصبح سقوط وإفلاس التجار أمراً طبيعياً في هذا الزمن .. وعليه أن يحذر من كل الأمور التي قد تؤدي إلى خسارة ما يملك وما بناه طيلة فترة حياته من ثروة عظيمة.

كانوا أقربائه اللذين هم شركائه أيضاً في التجارة يحثونه بشتى الطرق على ترك تجارة السلاح والتركيز فقط على التجارة العادية لأن الدولة الآن أصبحت تسنّ قوانين قاسية قد تؤول بهم إلى الإفلاس .. فكان رفضه قاطعاً لأنه يعلم أنه لا يستطيع اتخاذ القرار بدون موافقة واستلام أوامر كهذه من «دانيال» المسؤول عن إدارة التجارة في البلاد .. فهو يسيطر على أغلب المرافق المهمة ويسيرهم كما يطلب منهم .. وإن انشق أحدٌ عن طوعه فمصيره كمصير «عمران بيك» الذي أفزع بمقتله أغلب المنافسين في السوق وباتوا يتحسبون لتصرفاتهم الف حساب.

\*\*\*\*\*

أما «محمود بيك» فقد كبر ودخل عالم التجارة وتوسعت نشاطاته وأيضاً تعلم ألاعيب تجارة الأسلحة بفضل ما يتمتع به من ذكاءٍ حاد وشجاعة كبيرة .. وقاد شركة العائلة بكل ثقة وكبرياء إلى

نجاحات لا يُستهان بها .. وأصبح الخطر الجديد الذي يهابه الجميع وكانت تدابير التخلص منه مستمرة في الخفاء وعلى قدم وساق.

حيث في إحدى الأيام كانت سيارة تقف بانتظاره بينما هو ينزل من سيارته برفقة سائقه متوجّهاً إلى الشركة .. حينما دارت في مكانها دورة مجنونة ثم اقتربت من محمود الذي ألقى بنفسه خلف إحدى السيارات مُحْتَمِيًا بها .. قبل أن تُطلق عليه عيارات نارية كانت كفيّلة بتفجير سيارتين في نفس المكان ولحسن الحظ خرج «محمود» سالمًا .. وبعد أيام ألقى القبض عليهم من قبل رجاله وتم إعدامهم خارج حدود بغداد.

وكان «محمود بيك» في ريعان شبابه .. بشرته سمراء .. حَبْنَةُ الطبيعة طولاً فارغاً .. وقدًا نحيلاً دقيقًا وكان صدره عريضًا ومتينًا ينطق وجهه المستطيل بالنضارة والجمال الفائق ووسامة رائعة عيناه السودتاوان تدلان على الصفاء والحسن وأنفه المستقيم الأشم بالقوة والتناسق فهو من الوجوه التي أودعتها الطبيعة جلالها وجمالها معا .. يرتدي بدلة سوداء وقميص أبيض ورباط عنق أسود قدّت على صورة جسمه الرشيق ملك مالا كثيرًا وأصبح صاحب مُلك وفير قياسًا لسنة الصغير .. وتعلم لعبة التجارة في فترة وجيزة وأثبت مدى ذكائه وخطورته في المستقبل في عالم المافيا والتجارة.

كلما كان يتمشى في حديقة القصر كان يتطلع إلى مكان جلوس «عمران بيك» وبعينين مشوّقتين جرى فيهما الحنين كان عظيم الحماسة قوي التصميم وكان دائمًا يُطمئن والدته التي زادت الكبرُ جمالاً وبهاءً وبرجاء مؤثر يقول لها :

- لا تقلقي علي مادمتُ ابنك وما دُمتِ راضيةً عني «فالله خيرٌ حافظ ..» ولكنها كانت دائمة القلق عليه وتصبر بأن يكون

تحت أعين حراسة مكثفة أينما حل.

كان صدره يضطرم بالحنين فأحسّ وهو في بداية حياته بلذة  
الشباب تزداد في داخله كثير العلاقات بالنساء ولا يكثرث لقيمة  
الهدايا التي يُقدّمها لهن.

## الفصل الثاني

سمعت عن ذكائه كثيرًا حتى جاء ذات اليوم الوقت المناسب لتراه بعد أن تأكدت من حكمته وقوة شخصيته التي كان يتمتع بها رجل واحد فقط من بين الرجال وهو «عمران بيك» كانت معجبة به وترى فيه صورة عشيقها المغدور ينقصه فقط بعض القسوة ليكتمل ويهابه الجميع كما كان حبيبها.

لم تتزوج إكرامًا لذكراه ولكنها كانت تُقسم في كل لحظة على أنها ستنتقم من قاتله .. تقدّم بها العمر ولكنها ما زالت فاتنة وذكية جدًا وتعرف من قتل حبيبها .. أنقذت حياة قاتله لقاء أن يترك عشيقها بسلام .. قتل «دانيال» من كانت تهواه بجنون ..

عندما سمعت بـ «السيد العام» قد حضر إلى بغداد ليخطط لمقتل «دانيال» وخطط لتلخص في التخلص من بعض رجال الدولة وبأمر من جهات أوروبية عليا .. فعلت كل ما بوسعها لتتفق مع الأخير على النيل من الضيف الغير مُرحّب به .. الذي دخل العراق باسم مستعار وطبعًا لم يكن أحد يعلم بذلك سوى عدد يسير من أهم الشخصيات التي كانت تنتظر تغيير مسار البلد على خلفية زيارته. فعملت على أن يبقى حبيبها بأمان من المؤمرات التي كانت تُحاك ضده .. كانت تعرف مدى قدرة خصمها على الإطاحة بالأعداء وحبّه إلى منافسة الجميع سياسي كان أو تاجر كبير ..

فتخلصت بخطة مُحكمة من الضيف الثقيل .. لكي يبقى «عمران بيك» قويا يسانده «دانيال» من كل عواقب السوء التي ستواجهه بسبب قسوته .. فالمؤامرات زادت عليه مؤخرًا .. ولكن «دانيال»

كان نذلا كما كانت تعهده فاغتيال عشيقها وتخلص في الوقت نفسه من عدد كبير من أهم الرجال في الدولة لكي يؤمن لنفسه مكانة بارزة في البلد .. ويقضي حياته الباقية بأمان من الخصوم.

حان الوقت الآن للقاء به ابن العشيق بالتبني تمنحه ثقته ويمنحها ثقته لكي تعود المياه لمجاريها .. فلا مانع من أن تعشقه ولو ليلة واحدة تجلس معه وتتطلع الى عينيه .. تحميه ويكون مستظلا بظلها فهو بحاجة لقوتها حتى وإن رفضت «عائدة خانم» تلك الفكرة .. فلا يهم «أشرفت» ذلك إنها لا تأبه بأي شئ.

وحانت الفرصة لتدعوه لزيارتها في قصرها الفخم وافق بعد تفكير قصير .. فالرسول الذي ذهب إليه كان شخصا ذكيا جدا ويجيد أسلوب الحوار ببراعة .. أقنعه في وقت قصير بأن يلبي طلبها وإن رفض محتوى الفكرة فباستطاعته أن يتخذ قراره بكل أريحية وطيب خاطر .. ويصرف النظر عن الدعوة بل وأنها ستتعهد له بعدم الاتصال به بعد اليوم .. فالسيّدة لا تحمل في قلبها له إلا كل الخير .. كان الكلام قانعًا وكافيًا بأن يوافق الشاب على لقاءها.

فاللقاء سري للغاية ولن يعلم أحدٌ بذلك .. لأن الرسول سيوصله بطريقته إلى القصر وبكل سرّية لإخفائه عن العيون التي تراقبه وبعد اللقاء سيرجعه إلى مسكنه وبسرّية تامة أيضا .. خوفاً عليه أولا .. وثانياً للمحافظة على سرّية الموعد واللقاء.

وفي رونق الضحى استقبلته .. كانت تعلم بأنه سيقبل وسيأتي «أشرفت» ذاهية في قراءة أفكار الرجال وفرض شخصيتها عليهم ولكن ليس أي رجل يحظى بلقاءها في قصرها ..

كانت وما زالت تحتفظ برونق جمالها ونضارتها التي تشع كالنور في السماء .. هي كما هي رغم بلوغها سن اليأس.

فتغديا معًا وقدّمت له بيديها قدحًا مُثْرَعًا بنبيذ مريوط .. فكانت تريد بذكائها البارع أن تمهد له الحديث في الموضوع الذي سيغير كل الأوضاع في عالمهم الكبير .. فانتظرت حتى يُكملا الغداء ويجلسا في باحة حديقة القصر الواسعة وتُفضي له بما يشعل صدرها ويُعذب وجدانها .. ثم جاء وقت كلام الجّد فقالت بعدوبة وهدوء :

- شاب قوي وجميل مثلك تتمناه كل أنثى ألم تفكر في أن تتزوج ؟

نظر إليها بعينيه الجميلتين وكأنه أصابها في قلبها بسهم لا يرحم من نظراته المثيرة :

- الحقيقة أفكر بالزواج .. ولكن لا أريد التسرع بهذا الموضوع فهو حسّاس جدًّا.

- لو كان والدك حيًّا لسألك نفس سؤالي.

- أعرف ذلك .. وإني لأعترف بأنّي فقدت شخصًا مهمًّا في حياتي.

- هل حاولت بعد أن توليت منصبك في شركات العائلة أن تجد قاتل والدك ؟

- قاتله ؟

- نعم عليك بالرأس الكبير الذي أعطى أوامر باغتياله وجرّه بعيدًا عن بغداد لكي يقطعوا عليه سبيل النجدة وأمل الحياة لم لا تحاول أن تجده ؟ وخصوصًا أنك ذكي وتملك رجالًا يكفون لتحرير دولة بأكملها .. دم والدك لم يجف رغم الأعوام التي انقضت قاتل والدك ما زال حُرًّا طليقًا وعليك أن تنال منه ومن ثم ممن ساعدوا القاتل في قتل والدك.

- ما ان أجده لن أرحمه سوف أمزقه كما مزق جسد والدي .

- وماذا لو كان الرأس المدبر أقوى منك ؟

- أعلم بأن هناك الأقوى مني في هذا البلد .. ولكنهم معدودين جداً .. والتخلص منهم ليس صعباً فأنا أعرف نفسي وأثق بقدراتي جداً .. ومن قتل أبي سيدفع الثمن حتى ولو كان الملك نفسه .

عندما رأته بأوَّج ثقتي وشجاعته أعجبت به أكثر ففار تنورها ووجدانها .. رغم سنّها وتمنت لو تلقي نفسها بين أحضان هذا الشاب ويحرقها لهيباً وعنقواناً .. فضحكت ببراءة وحيته على كلامه الشجاع حتى دنت برأسها وحرّ أنفاسها الجميلة بدأ يلفح وجه الشاب حتى التصق رأسها برأسه وبدأت تداعب خديه بجرأة غير متوقعة .. وتمرر بأناملها الرفيعة على شفثيه حتى جعلته يستسلم بعد أن أخذته المفاجأة ولكنه لم يرفض ما أقدمت عليه السيّدة ثم بغتة ابتعدت عنه .. فطاش به الهوى وانتفض مستيقظاً مشتتاً من فعل أنوثتها وغمرة النشوة رمته بنظرة لا ترحم ثم مهدت لتفاجئه بهدوء وهي تضع الثلج في كاسه وتملؤه بالويسكي :

- أنا أعرف من اغتاله غدرًا .. «قالتها وهي تناوله الكأس بهدوء» .

تغير كل شيء الآن .. ذهب طيشه وفاق على ما قالتها فاستعزّ على الفور في نفسه على إثر كلامها ثورة دموية فاهتاج غضبا وقال بحق :

- من ؟

- «دانيال» .

صمت وسكن معه العالم لفترة وجيزة وفجأة قال وكأنه خرج



من غبار الموت في لعبة الموت التي لا تنتهي :

- كيف أعرف صدق ما تقولين ؟

عبس وجهه حتى بدت كل ملامحه نافرة وقد برز عرق رقبته فأردفت :

- لقد كنت أريد دائماً أن يكون والدك هو الأقوى .. ودائماً كنت اسانده بكل شيء ولكن عناده أضاعه .. في السنوات الأخيرة ضعف بسبب تغير وضع البلد وبروز رجال سياسيين وتجار من مختلف العوائل .. وتقريباً قلّ شأن والدك ولم يعد باستطاعته أن يكبح منافسيه «دانيال» التقفه من شرّ التجار وبعدها كسب ثقته وخطط لاغتياله عن طريق شراء صفقة اسلحة مشبوهة بغية بيعها في العراق .. والدك بعناده أصرّ على أن يتم العملية بنفسه فاستغل «دانيال» الفرصة فأمر رجاله بأن يتخلصوا منه في صحراء سيناء .. ولو سألتني لماذا لم يقاوم مع رجاله أجيبك بأنه كان مُحذراً قبلها بليلة ..

كان وقع الكلمات قد زادته غضباً .. والنيران المستعرّة تتحرك في داخله بهمجية وحرقّة .. فجرى الدّم الحار في عروقه فوضعت يدها على ساقه مرددة :

- لا تقلق لا تقلق .. لن أدعه حيّاً مادمتُ حيّة .. سنقتله نحن الاثنين.

ومست أصابعها فخذته بخفّةٍ شديدة مقدّمة له أنعم الوعود وأضافت :

- فالمسألة لا تخصّك وحدك أنت .. والدك كان أقرب الناس إلي فكيف أترك ثأره يا عزيزي.

وصعدت يدها إلى وجهه وشعره وهي تواصل :

- لن يمسك أحد بسوء .. سأحافظ عليك يا ابن العزيز.

## الفصل الثالث

شقّ الظلماء بسيارته مُسرِّعاً يُمخّر سكون الكون بجنون قيادته ثملاً .. والنجوم ساهرة يقظى تراقبه بأعين لامعة .. كان الغضب يتأجج في صدره متلهفًا على الانتقام دخل من بوابة القصر بعد أن فتح الحراس له البوابة .. كان كل همّه أن يلقن القتلة درسًا قاسيًا وأن يكونوا عبرة لكل من يريد المساس بسمعة وسيادة «عائلة القاضي» التي كبرت وأصبح اسم العائلة تلمع في كل مكان .. معروفة بالغنى والنسب المشرف وسيتساقط كل من يفكر بإيذائه أو إيذاء والدته كأوراق الخريف اليابسة هبت عليها ريح عاصفة.

كيف للبشر أن يُظهروا تلك القدرة على التلون .. ؟ يُصاحبك ثم يتأمر عليك !

عن نفسه فهو لا يستطيع فعل ذلك .. رغم تلونه حسب الظروف كالانبساط رغم الضيق وإلى الجدية رغم التهتك .. وأن يُحافظ على وقاره حتى عن الثألة .. فكأنها تاهت وماهت النفوس عن فطرتها ليتحولوا إلى وحوش آدمية تفتك بكل شيء .. فيفضل أغلب الأوقات أن يُجبر الجميع بصمته .. يخطط بصمت لدرجة يستغربون صمت المتكلم الكلامة .. وهو يستغربه تلونهم في الحياة هو كما هو .. لا يوجد شيئًا متوحدًا بين الدُرْبَةُ وحذق ملبّي بعض ما تمليه عليهم أنفسهم الشريرة .. هو شخصٌ واحد ولن يتغير. ارتقى السلام متوجهًا إلى غرفته فخرجت على إثر صوت مقدمه والدته وخرجت تستقبله وهي متوترة وقلقة على فترة غيابه المفاجئ فنادته بسرعة :

- حبيبي أين كنت هذا اليوم؟ ألا تلتزم ولو يوماً بوصية والدتك ونصائحك لك ايها الصغير المدلل.

تدفق الدمع من بين عينيها فتأثر الشاب.. توجه إليها بهدوء وقف أمامها وكعادته وكما تعلم من الأدب الرائع لثم جبينها ثم يدها يهدئ من روعها ثم قالت بحنان:

- قلقت عليك أين كنت؟

- سأخبرك فيما بعد كنت في عمل مهم تطلب مني التأخير فلم أكن أتوقع عمل اليوم سيأخذ مني كل هذا الوقت.

ثم استأذن منها متحججاً بالتعب وتوجه فوراً إلى غرفته ولكنها لم تتوقف عن قلقها ثم وجدت نفسها تسير نحو غرفتها والخوف لا يفارق مقلتيها.. ابنها يواجه مشاكل ورثها من هذه العائلة التي تورطت في أمور كثيرة في معركة ترتفع فيها النصال ويطلق فيها الرصاص لكنها تسعى جاهدة على حمايته وحيدها الذي خرجت به من هذه الدنيا البائسة.

\*\*\*\*\*

فما إن ارتفعت الشمس في الأفق وأرسلت نورها إلى المدينة حتى رأى منظر القصر مهيباً وضياء وجوه العاملين فيها يعملون بكل دأب ونشاط.. يشنون الحياة في أرجاء القصر كأنهم يستقبلون يوم العيد فنزل «محمود بيك» كعادته ليشارك والدته فطور الصباح فتفاجئ بـ «جاهد بيك» حاضراً على غير عادته استغرب حضوره.. وحاول جاهداً على مضض على ألا يظهر على وجهه شيء من الوجوم والقلق.. حياهما بابتسامة جميلة وصافح جده وجلس بجانب والدته.

كانت عيناه تمسحان وجه «جاهد بيك».. يعلم أنه قد جاء

لأمر جليل .. ساد صمت قصير وتظاهر «محمود بيك» بالأكل حتى انبرى «جاهد بيك» قائلاً :

- ما سر لقاءك بـ «أشرفت» ؟

لم يثر السؤال رد فعل قوي على وجه «عائدة خانم» وأدرك على الفور أنها قد علمت من والدها كل تفاصيل لقاءه بالسيدة ألا تفاصيل الحديث .. لكمه جدّه بالقاضية ولكنه تماسك لينهي الجولة بسلام معه .. وفضل أن يقول ولو شيئاً لكي يخفف من حدة التوتر :

- كانت تريد أن تشاركني في عدد من المشاريع التي تُدار في أوروبا .. وأنا بدوري لم أقتنع فرفضت طلبها وأنها الموضوع كله بكل سلام.

حدجته «عائدة خانم» قائلة :

- «أشرفت» لديها ما يكفي من شركات في جميع أنحاء العالم ولا تحتاج إلى شركائك .. جدك يقول أنك ذهبت لأمر آخر أما لما لم تخبرني فهذا أمر آخر .. اه على فكرة حبيبي رجالي كانوا يراقبون كل شيء من أول زيارة للرسول إليك حتى آخر لحظة تركك فيها أمام بوابة القصر.

أطلق ضحكة وكأنه يسخر من نفسه .. ولكنه أثار حفيظة «جاهد بيك» .. كلامها شقّ نفقاً في هذا الصباح .. ثم قال بصوت صريح :

- لا أعتقد أنها تريد إسقاط جدي عن عرشه .. فهي لا تتأمر عليه ولا أعتقد أنها تخطط لذلك.

- اخرس.

صاح به «جاهد بيك» وكأنه يتلقى سَيْلاً من الإهانات على يد صبي لا يفقه الكلام.

لم يبال «محمود بيك» بصياح جده وكأنه لم يسمع شيئاً ولكن «عائدة خانم» علمت ما يختلج في صدر وحيدها .. مسكت يده ورفعته إلى فمها فلثمته .. لكي يبرد أعصابه التي يكاد أن يفقد السيطرة عليها غير مبالية بعصيبة والدها .. ثم قالت بهدوء :

- أرجوك والدي هون قليلاً من الأمر دعه يفطر.

- هل تشجعينه على التآمر علي ؟

- اهدأ يا والدي أرجوك فكيف سيتآمر عليك وأنت جدّه.

- أو لم يتآمر «عمران» على والده ؟

هنا ألتها حديث والدها فقالت مرددة بصرها بين ابنها ووالدها :

- والدي أرجوك كفّ عن هذا الموضوع ..

الشاب يعلم تفاصيل القصة كاملاً .. فكان له وجهة نظر معينة ولم يكن يُعقب أو يهتم بتاريخ «عمران بيك» سوى أنه كان يعتبره مثله الأعلى فلولاه لما كان هو سيّدا الآن.

نهض «محمود بيك» مسرعاً والغضب يلوح من عينيه ثم خرج من القصر .. مستقلاً سيارته بعصيبة لا يلوي على شيء .. حاول حرّاسه أن يتعقبوه فمنعهم من ذلك وصرخ في وجههم ان تراجعوا وانطلق مسرعاً يلعن العالم وما فيه.

نظرت إلى والدها ثم قالت بهدوء وثقة تامة :

- «دانيال» يحميك فلا يُقلِّقك مكر النساء.

ثم ارتشفت قهوتها ببرود ووالدها يحدّجها بنظرة الغير مطمئن .

حرارة الصهد بدأ يخرج من صدره متدمراً فلم يستحسن تصرفات ذلك المتهور الصغير منذ أن شبّ وإلى أن أصبح شاباً يافعاً يدير مصالح والدته فهو يخشى أن يلحق قول الناس عليه بأنه لم يعد له أي سلطة على آل بيته .. الصمت المطبق يكبس عليه ويهدد وجوده .. إذاً لن يقطع دابر الفتنة فسوف يضيع كل شيء .

- علامك يُخيفك لقاء هذا الصغير بتلك العاهرة ؟

- هل نسيت أنك «جاهد بيك» ؟ أم نسيت نفوذك ؟ أم ستترك الصغار يفتقون كل شرنقات حياتك .. ويضربون عميقاً مصالحك ؟! .. كالحشرات هم هذا الجيل الجديد .. من الصعب فكّ طلاسمهم .. كلّ يسعى لغرض معين .. فمن غداً يا ترى سيخرج عليّ ؟

## الفصل الرابع

وفي رونق الضحى نزل «جاهد بيك» من عند زوجته السرية بدون حماية كما كان يفعل في بعض الأحيان .. وحيداً ثملاً يحمل في صدره الحقد على «محمود بيك» .. غضب عارم يتأجج في صدره انتصف الليل و«رحاب» تجاهد في إرضاءه ولكن دون جدوى فقد كان زوجها مُستعِراً في ثورة غضب على حفيده بالتبني الذي كان يوماً قطعة لحم صغيرة تحت رحمته .. وكان بإمكانه أن يخنقه وبلا أي مجهود يُذكر .. فكيف لم يفكر في ذلك ؟

ترك زوجته وجلس في البلكونة تاركاً نفسه للنسيم الذي تخلل أنفاسه وأذاقه طعم الراحة ولو بشكل مؤقت وهو يدخن سيجارته «الكوي» .. كان متلهفاً على الانتقام .. وكانت النجوم ساهرة ويقظى تراقبه بأعين لامعة .. وظل جالساً متلذذاً بدخان سيجارته وهو يخرج من صدره بغضب ممزوج بتفكير عميق .. مما جعل «رحاب» تسند رأسها على وسادتها وتغُط في نوم عميق .. تلعن حظها العاثر في هذا الرجل العجوز.

وظل جالساً يدخن السيجار حتى انقشع الظلام نسبياً، والطرقات باتت تتجلى للعيون قليلاً .. فبدّل ملابسه على عجل وقرر الخروج وقطع أجازته وخلوته بزوجه بسبب مشاكل نفسية طغت على أفكاره بشدة .. وكانت زوجته وقتها نائمة كالفراشة في فراشها الناعم المريح.

نزل السلام على عجل وكان وقع خطواته الصاخبة كافية لإيقاظ «ياسين» من نومه الخفيف .. وعلم من خلال صوت قرقرة الحذاء الغليظة أنه ذلك الكلب الذي طالما كان ينتظره للنيل منه ويشفي



منه غليله طوال أعوام مضت والذي تسبب في عاهته الدائمة .. فلا بد أن نزوله يعني بأن وقته مع «رحاب» ربما قد انتهى وقته لهذا الاسبوع .. ولكن ما الذي جعله يقطع خلوته بها ويخرج باكراً على غير عادته ؟

تلقف من تحت وسادته قطعة حديد غليظة متوسطة الطول والشوق يكابده في إنزال هذه القطعة على رأس غريمه .

التمعت عيناه وهو يتطلع إلى سلاحه الفتاك .. ولم يُطِقْ قُعوداً فانتصب ينتظر نزول «جاهد بيك» .. يتوعد ويسب في سره وقد ارتسم الغضب على وجهه بصورة مروّعة تبعث سحنة وجهه الرعب في الأفئدة فجمع كل قوته ليضربه ضربة الموت الزؤام فصرّ على نواجذه وانتظر نزول عدّوه .

نزل «جاهد بيك» فاضطرب «ياسين» فاضطرب جسمه النحيل لمباغتته وما أن وطأت قدم الضحية آخر درجات السلم نزولاً حتى خرج من وكره يتعقبه حذراً وييده قطعة الحديد .. فتبع الرجل حتى بات قريباً منه لا يفصله عنه غير نصف متر اقترب اكثر رفع يده المسككة بالحديد .. ثم ضربه ضربة قوية على مؤخرة رأسه .. قبل أن ينتبه «جاهد بيك» ويُخرج صوتاً مخنوقاً محشرجاً في حنجرتة .. فجرت الدماء في رأسه وترنح كالثمل ثم سقط على وجهه يتخبط في دمائه فلبث «ياسين» واقفاً مشدوهاً على ما أقدم عليه من عمل .. اندثرت حواسه وفقد صوته .. وقف قليلاً على رأس الجثة يراقبها وهي تذوق مذاق الموت الذي أذاقه لـ «جاهد بيك» .. فرجع القهقري وهستيرياً عظيمة قد طغى على ملامحه لا إرادياً .. ثم أطلق ساقيه للريح حتى غيبه باب العمارة .

## الفصل الخامس

لقد غيرتها هموم السنين بتعاستها أكثر من سعادتها .. تغيرت كثيراً ولا سيّما فاجعة مقتل والدها قد ترك أثراً من الحزن العميق في نفسها وقد غيرت تلك السنوات منها ماغيرت فترك فيها الجد والصرامة والحزن لا يمحوها أحد أبداً الدهر .. فجفّ عودها ومالت قامتها إلى الانحناء قليلاً فحفرت الآلام في جبينها الوضاء تجعداتها ولم يبق سوى بريق عينيها ونظراتها الدالة على خوفها من أن يمسّ أحد بالسوء فلذة كبدها الوحيد وبالرغم من مأساتها فقد بقت محافظة على صبرها وهدوءها حتى بعدما فقدت والدها بشكل مريع وإلى الأبد وارتسمت على وجهها الحسن مسحة حزن شديد ووجوم.

وكانت آنسة جميلة هيفاء الطول قد زارتها مؤخراً في زيارة ودّية حيث دخلت في خطى متزنة يدل مظهرها على الوقار وتتجلى قسامتها عن حسن وكان حينها «محمود بيك» جالساً بجانب والدته حينما سمحت الأخيرة للخادمة بإدخال الانسة «نورهان» عليها.

فبرزت من خلف الباب شابة كأنها شعاع من النور الساطع يغشى العيون شقراء جميلة .. فقالت بصوت رخيم :

- السلام عليكم.

فهوى قلب «محمود بيك» بالحال ولم يجد نفسه إلا في متاهات جماها يتأوه من شدة ما تحمله من مفاتن لم تحملها فتاة من قبل. أخذت مجلسها بجانب «عائدة خانم» بعد أن قبّلتها الأخيرة

وحضنتها بحرارة .. فأدرك «محمود بيك» بأنها معرفة قديمة  
إنها «نورهان» ابنة أكبر تاجر عراقي في بريطانيا .. سمع عنها وعن  
والدها الكثير ورآها مرات عديدة في الحفلات الكبيرة التي يقيمها  
الملك في قصره.

أخذ ينعم النظر إلى أناملها وقوامها اللدن الرشيق فتنبه إلى نفسه  
فجأة فعاد ينصت بأدب إلى كلمات المجاملات بين والدته والأنسة  
الفاتنة .

ثم دخلت الخادمة واخبرتهم بأن الشاي قد تم تحضيره وكل  
شئ جاهز في الحديقة .. فقاموا مبتسمين وبادروا بالخروج تتقدمهم  
السيدة ثم الأنسة ومن ثم الشاب الوسيم .

وما إن خرجوا إلى باحة القصر حتى بدأ النسيم يعبث بحاشية  
ثوبها الأبيض ويراقص ذؤاباتها الرقيقة الذهبية وكان مسرورًا  
لانتجاعه النسيم مع الأميرة الفاتنة الاي أفترَ ثغرها عن درر نضيد  
قائلة بابتسامة :

- اهواء هنا يجنن لم أشعر بهذا الارتياح والانتعاش في  
قصرنا .. الجلوس معك «عائدة خانم» له ميزة خاصة  
ياليتني زرتك من قبل لكي أتمتع بنشعة المناخ هنا .. كأني  
جالسة في جزيرة.

ابتسمت الأم .. وكانت جالسة في الوسط متألفة كزهرة جميلة  
وقالت برضا :

- «نورهان» هل تقبلين ولدي «محمود» زوجًا لك ؟

أضاء وجه الأنسة والشاب بوقت واحد بالابتهاج لا يخلو من  
المفاجأة .. فأدركت الجميلة بأن السيدة كانت تخطط لذلك منذ  
فترة طويلة ولكنها كانت تريد فقط أن تتأكد من مشاعر الاثنين

قبل أن تنطق بجلتها .. قال ابنها بأستنكار مُفتعل بعدما رأى وجه «نورهان» وقد ضجّ بالحُمرة من شدة الخجل :

- أماه ماهذا القول ؟

فتمت «نورهان» بخجل بالغ بكلمات لا تعرف بماذا ترد مفاجأة لم توقعها هي .. بينما أدركت الأم الموقف وقالت بثقة سيدة لها وزنها وشخصيتها في المجتمع :

- «محمود» غني عن التعريف وأنتِ أيضا حبيبتى هذه فرصتي لأجمع بين شخصين ناجحين .. صيتكما واسع في المجتمع العراقي ولا سيّما أنتما من بيت واحد وستحافظان على سمعة العائلة مهما قست الظروف وطغت - لا قدر الله - .. لن اعيش لك طويلاً يا حبيبي فأنت الآن رجل وبنقصك امرأة قوية الشخصية تستطيع أن تحافظ عليك وعلى أولادك أريدكما معاً .. ما حيت وحتى وإن غادرتكما فسيكون بالي مطمئناً عليكما .. لهذا رأيت في «نورهان» المرأة القوية التي ستساندك وتساندها في الحياة.

كانت لوقع كلماتها الجادة أثراً بالغ في نفس الاثنين .. فلاح الرضا في الوجوه .. وانتشر بينهم الصمت خالياً من أي تجهّم أو قلق يطغي الحب والقناعة مشهد الاجتماع وقد هفت ذؤابات من شعر «نورهان» الذهبي على جبينها الأغر وأذنيها .. فوجب قلب «محمود بيك» ونظر إلى زرقة عينيها فرأى نظرة استسلام وحنو أعذب من الحياة التي وهبته إياها وأحسّ أن ما بينهما من هواء يتنفض بحرارة عميقة بسحر يجذب إليه رويحها ليلتقيا ويمتزجا ففقد لبه وكاد أن يهوى على قدميّ أمه ليقبلها شاكرًا على هذا الاختيار المميّز .. ليربط حياته بشريكة جديدة ستعوضه عن كل شيء.

## الفصل السادس

لم يكن له سوى أمه بالتبني .. منذ أن تبنته وحمته من كل المؤمرات منذ الصغر إلى أن كبر .. بينما هو كان يعاني من فاقة الأبوة .. فهي قد أنقذته من صعوبة الحياة ومآسيها .. هكذا أخبره جده قبل عدة سنوات طويلة .. قبل أن يفرق بينهما المال والسلطة.

كانت تحذره من شرّ المنافقين الذين كانوا يتقربون منه لأغراض ومصالح ترتبط بمراكزهم المهمة .. ويظهرون له الصداقة بالظاهر والحق في باطنهم .. كانت أمه تستमित لحمايته من أي شرّ يواجهه.

السلطة كانت تهبه قوة التحدي كما يمنحه سائل الحياة .. خشونة القسوة كما نعومة الحب يلمس عدوانية قاسية تقاوم انكشافها في هذا الحصار الجسدي الذي يارسه عليه كل من له نفوذ في الدولة كان يكرههم بسبب إحساسهم وتعاليمهم الشديد والسّمج على أي مشروع ناجح كان يظفر به .. فأكدت له الحياة بأن وجود هؤلاء الأشخاص أكد له إلى جانب احترام المتملق الذي تدرّبوا عليه أنهم مستعدون للتبدل الفوري للتحوّل الانقلابي إلى مؤذنين بلا رحمة حيث صراعهم المتشاحن داخلياً بين كرامة ابتذلت وأنسحقت تنغص عليهم نفاقهم وتسوّهم وبين عوز السلطة ينتظر الحل الصعب رغم المال الوفير الذي يملكونه إلا أنهم يتحسسون تحت جلدتهم حكة مخافة من أن يخسروا كل هذا.

إلا أن زوجته ورفيقة عمره كانت تؤدّي واجباتها الزوجية تجاه زوجها على أتم وجه لم تنس أبداً بأن واجبها مقدّس نحو زوجها بل وأخذت القيادة من والدته لكي تكمل رسالتها وترضيها بكل ما لديها من عزيمة بعدما مرضت الأم وضمّر كل شئ فيها

ومرضت مرضاً شديداً فيها هي «عائدة خانم» على فراش الموت تتألم والعجز المرضي يقف حائلاً بينه وبينها لا يستطيع أن يوقف الألم لا بباله ولا بأي شيء آخر متاح له أن يفعله .. زوجته حزنت وحاولت أن تهب الطمأنينة إلى نفس زوجها ولكنها فشلت .. أمرُ الله نافذ لا محالة.

السيدة الكبيرة تحتضر الآن كان نقاء صوتها يملأ القصر سروراً وسعادة بدفء صوتها الغامر الأسر والمدثر للنفوس.

كانت تضم تحت لوائها حضور عائلة متضافرة أو متنافرة لكنها كانت مجموعة على موعد يصنع بينهم الذكريات ويُراكم فيهم تلك اللحظات على مدى مرور العمر كانا يرقبانها وهي مستسلمة للألم رغم أنها كانت تتحمل وتعاني رغماً عنها ولكن لكل شيء طاقة محدودة.

يمتزج نظرتيهما إلى الأم الراقدة على فراش الموت بالحنين والشجن وفوات الزمن وكان حتى زوجها المغطرس يحتمي تحت لوائها بالبراءة التي فانت وماتت كان الابن يتخيل أن روحه تأخذ ذلك الوضع الجنيني جسده التي كانت تلوذ بما كان ضد ما يكون تحتمي بما كان أمام ما يكون حينما كان يعود غاضباً إلى القصر يقرفه أحدهم بشدة من تصرف خبيث ويعتمل فيه رجل نار فتسارع أمه وتطفئ ذلك الغضب العارم بحنانها وعقلها العبقري بانتزاعها وساخة الكره الملتصقة في شرايين حُجَّه.

وعندما كانت تراه نائماً في وضعه الجنيني كانت غريزة الأمومة تدفعها لكي تشاركه نومه كانت تراه واضعاً ذقنه في ركبتيه يضم ساقيه على ظهر فخذيته وشابكاً قبضتي يديه واضعاً ذراعاً مثنية تحت رأسه وطرف كتفه وأخرى فوقهما ساعتها تقرب هي وتبتسم ببراءة وهي واقفة على رأس صغيرها .. فتتشكل هي أيضاً

جنينًا إلى جوار ابنها بالتبني بذات النومة والرقدة دونما تقلب ولا تمدد.

ولما سمعت خبر محاولة اغتياله كأنّ جنينًا استعار جسدها ساعة فأرسلت رجالها للبحث عن الجنّة .. ولم ترتح حتى قبضت عليهم وأعدمتهم بلا رحمة.

كانت تؤكّله وتُشبعه أفخر أنواع الأكلات ومما لذّ وطاب ليكون قويًا وسيّداً يكون قادرًا على إدارة أمور العائلة .. وعندما يكون الأكل كبس والشرب حبس كانت ترفعه من الأرض وهو نائم على الأريكة فتصعد به سلام القصر غير آبهة بثقله وتُسجى جسده على السرير ولا تفارقه حتى تتأكد من أنه قد غرق في النوم بسلام وفي أغلب الأحيان كانت تلقي نفسها جنب صغيرها وتشاركه سريرته.

هذا هو شرع المنهج الإلهي ولا رادّ لقضائه أحدها هي قد أسلمت روحها فجأةً لبارئها بعد صراع طويل مع مرضها الذي فتك بها كتمت أسرارًا كثيرة عن ولدها ماتت بعدما عجز الأطباء من علاجها ولم تُدرِك أن من تركت ورائها ما يزال طفلًا صغيرًا لا يستطيع استيعاب أنه فقدها وإلى الأبد .. يبكيها في كلّ وقتٍ .. وحين.

\*\*\*\*\*

الطريق الضيق لا يتسع إلا بالهدم وهي سلكت طريقًا ضيقًا مليئًا بالانتقام كلما تُوغل فيه ضاقت جنابته تاركةً جزءًا ضيقًا لمشاها طريق ضيق تحت الأجساد والأرواح رغم جمالها ولكنها قاسية من الداخل بنتٌ قاعدتها في اللأجرام لبنةً لبنةً بعدما فشلت في بناء جسرًا للحب الذي كان سيحميها من كل العواقب.

الشراء والوجهة كانا كل همها التسلط واللعب مع الكبار هم

كل غايتها نَشَأَتْ في القصور في عائلة فاحشة الثراء لم تعرف العوز والحرمان وتعلّمت أن تأمر لا أن تؤمر .. واغتيال كل من يقف في طريقها .. وصناعة القرارات الصعبة .. شخصية فذة...

لم تكن تبال بكل صيغ التبريك التي انصبّت عليها كانت تسعى باستمرار للحصول على أعلى المراتب الإدارية ولم تهتم بالسياسة بقدر اهتمامها بالتجارة العالمية والمحلية جنت أرباح مذهلة حتى تصادمت في طريقها إلى عرش المجد مع أشد الرجال فتكاً بخصومة «دانيال» الذي عَلِمَ من خلال عسافيره التي ترّف في جميع الأنحاء من البلدان أنها تنوي الانتقام منه رغم كل شيء.

شخصيتها وراثتها مكّنت وساعدت العديد من الرجال المهمين من اجتياز صعوبات واجهتهم في أعمالهم وعقبات صعبة للغاية كانت مخططة من قبل رجال الدولة .. حيث كان اسمها كجواز عبور لا تُرَدُّه الأبواب الموصدة .. فكانت تساعدهم وبلا مقابل.

هي ستنهار !

هذا ما قرّر «دانيال» فعله .. وخطّط لذلك الرجل الأكثر رهبة وشهرة سُلطته هي الوحيدة التي لم تنهر انهارت أكثر العوائل غنى ولا سّيما من -بيت القاضي- الذين كانوا هدفه الرئيس هو في إفنائهم .. ومن بينهم كان «عمران بيك» الذي أصبح تراباً الرجل العنيد والشرس فلاقى ما لاقاه من أشد أنواع القتل فتكاً وانتهى كل شيء بضربة واحدة موقوتة.

كانت الفاجرة عشيقته كانت تُعذِّبه بأنوثتها وصمت عينيها حتى نثر الطرف الذي يجمعها لتحريرك ركودها أما الآن يهزمها إحساس الفقد .. ووجمت وأبحرت في صمت وفكرٍ مُحَيَّرٍ جُمِدَتْ حيويتها رغم أنها لا تزال قادرة على نزّ سمومها في جسد



أقوى رجل في الدولة أُحيلت الآن إلى تمثال فاتن صلب تشخص  
في الفراغ.

منحت الرجل الذي تُحبه خلاصة أنوثتها.

حرث حقلها متصبيا من جيدها لأخصص قدميها وفي كل لقاء  
كانت تستل من بكرة خيوط عشيقها حتى أصبحت تعرف أخطر  
أسرار عشيقها السابق.

خرجت كالعادة من قصرها متبرجة .. أنيقة تعكس ركبتيها  
أشعة الشمس فتزدادان لمعان ونضارة جلدها كلؤلؤة كانت تلقي  
نظرة وكأنها نظرة وداع على ممرات وحدائق قصرها وهي تجلس  
في المقعد الخلفي وأمّرت سائقها ليمشي متمهلاً لتستمتع بمنظر  
الحديقة والأشجار الباسقة وكأنها تراهم لأول مرة أو تريد توديعهم  
فتحت نافذة السيارة ومدّت عنقها إلى الخارج تتنشي من عذوبة  
هواء الصبح وعطر الجنينة المليئة بشذى الأزهار والياسمين ..  
كانت في ذلك اليوم يطغى عليها قليلٌ من المرح وكثيرٌ من القلق  
تحاول أن تنسى كل شيء .. ليرتاح رأسها المثقل بهموم كبرت وتكبر  
حيثُ جُرف عنها بعض القلق واليأس كما يجرف السيل غصنين  
يابسين ألقيا في مجراه .. تريد أن تنتقم وسوف تنتقم .. منه .. من  
«دانيال» وسترقص على قبره .. وإلى الأبد سوف يذوق الموت  
الزؤام .. هناك خطة ستنفذها بعدما تم وضعها مع «محمود»  
وستنفذها مهما كلفها الثمن.

كان السائق وهو يقود السيارة يكبس على ضروسه قلقلًا وترتعش  
عروق خديه وهو يدوس الفرامل بسرعة ليخرج من حدود هذا  
القصر اللعين .. ولعلها تكون المرّة الأخيرة فينفذ مخطّطه ثم  
يحصل على جواز مرور إلى لندن كما وعده «دانيال» ويغدقه بأموال  
تكفيه بأن يعمل في التجارة طيلة حياته ويعيش كما يعيش الأغنياء

والمترفين في أوروبا..

وما أن خرج بسيارته حتى سار على بعد كيلومترات من القصر وبحركة فجائية استغلها أخرج مسدسه وصوبها بدقّة نحوها خافت ولكن لم يسعفها الخوف .. فأطلق رصاصة استقرت في جبينها ومالت ببطء على المقعد مضرجة بدمائها .. قاد السائق السيارة إلى مكان بعيد ومن ثم انحرف إلى طريق زراعي مجهول أوقفَ السيارة ثم نزل منها وأطلق ساقيه للريح قاصداً «دانيال».

## الفصل السابع

بغداد ١٩٤١

«الفرهود»

كانت فاجعة كبيرة ومخيفة تنتظر يهود العراق في هذا اليوم بالتحديد .. حتى تدخلت القوات البريطانية لتمنع استمرار المذبحة المريعة التي حدثت بحق اليهود.

فأراد شیوخ السوء استغلال كره العرب لليهود فدعوا المسلمين الى مهاجمة بيوت اليهود وأباحوا لهم الدماء والأعراض والأموال ونسى المهاجمون أن اليهود لا علاقة لهم بالاحتلال البريطاني ومشكلة فلسطين وأن وجودهم يمتد لأقدم من وجود المسلمين في بلاد النهرين وأنهم مواطنون عراقيون .. وبالأحرى كانت خطة إسرائيل في تخويف اليهود من العرب كما حدث في العراق ومصر .. فعملوا على نشر الفتنة بلا ملل أو كلل.

فهجم العراقيون على جموع غفيرة من سكان اليهود يحملون السيوف والخناجر وهي تنشد «حلو الفرهود .. كون يصير يومية». وقتلوا المئات وحرقوا البيوت ودمرت المحال التجارية وسرقوا ما يمكن سرقة بالإضافة إلى اغتصاب اليهوديات أمام الأزواج والآباء ...

كان الجار المسلم يقتحم بيت جاره اليهودي الذي ترعرع منذ الطفولة وعاش معه العمر بسلام وصدافة .. ليسبي بناتهم ونساءهم ويتزعم منهن مصاعن الثمينة ويغتصبن بضاوة جنسياً فشهدت ازقة بغداد والأعظمية وبيوت اليهود فيها مآسي ظل الناس يرددونها

بتلذذ غريب فبُقرت النساء الحوامل وقُتل الأطفال .. ثم عمد المهاجمون إلى سرقة أثاث الدار فيسرقونها بأسلوب النهب البدوي المتوارث.

كان «دانيال» يشاهد المشهد الفظيع من شباك مكتب شركته برعب شديد .. بعدما تخلوا عنه حراسه وموظفيه وهربوا إلى بيوتهم .. وبات وحيداً يشمله الخوف والصمت في مكتبه المظلم الذي أضحى كمقبرة موحشة ومخيفة يسكنها الأشباح.

كان يشاهد مشاهد مروعة لم يكن ليتوقعها أبداً وبات يستعرض جرائمه في ذاكرته ثم قال بلهجة تنطوي على الحقن :

- ماذا تريدون ؟ سفلة فعلا سفلة.

وكان يكابد الحيرة تقذفه الذكريات إلى متاهات الخوف المروعة حتى أفزَعَهُ منظر المذبحة بأجساد تحجب السبل والجدران والمنازل وضجّ الجو بأهازيج غاضبة وتتصاعد حداثها شيئاً فشيئاً .. أجساد المهاجمين غطت كل الشوارع كالبحر اللجّبيّ صعب جداً اختراقها ومنعها من الهجوم الوحشي كان يقذهم بأشنع الألقاب وهو لا يدري أن كان سيخرج اليوم سالماً أم لا.

ثم أفزَعَهُ صرير الباب وهو يُفتح ثم دخول شبّح ملثم .. لم تكن هيئته غريبةً عليه .. فبطلّ عجبه ما أن أزاح الشبّح الداخل الوشاح عن وجهه .. «محمود» ..!

صاح بفزع وقد تأكد أن اليوم هو آخر يوم له .. إحساسه لا يخيب.

تقدم «محمود بيك» ببطى نحو «دانيال» .. وحاول الأخير أن يتحرك باتجاه المكتب ليُخرج من الدُرج سلاحاً يدافع به عن نفسه فعاجله «محمود بيك» بطلقة في فخذه الأيمن تفجر الدم على إثر

الإصابة من ساقه ترنح بشدة وتأوّه بصوت عالٍ ثم خائنه قواه فسقط على الأرض .. ولكنه جثى على ركبتيه يحاول أن يصمد أمام الهجوم .. ولما أدرك بأنه سيفشل من صدّ هجوم عدوّه سأل بسذاجة :

- ستقتلني ؟

- إياك أن تفكر بالمقاومة .. دم والدي لم يجف بعد .. قتلته بغدرك انظر اليوم إلى حشدكم كيف يقتتلون في الشوارع مشهد لن يتكرر ولكني سأكتفي بك هل توقعت يوماً أن يدرّككم هذا اليوم وتقتلون كالحوانات يا بني اليهود .. استمع إلى هذه الأهازيج ...

فأصغياً السمع معاً إلى أهزوجة تعالت بين صفوف الغاضبين المتلذذ بالفرهود :

- «الله اشحلو الفرهود ياسلام .. ياريتنه يعود كل سنة وكل عام».

ثم اقترب من «دانيال» الذي خارت قواه تماماً بسبب النزيف فوجّه فوهة مسدسه نحو رأسه مبتسماً ثم قال :

- الوداع يا كبير اليهود.

قالها بقسوة لم يعهد لها من قبل قبل ان يُطلق عليه رصاصة من مسدسه الشخصي .. لتخترق جمجمة «دانيال» فخرّ صريعاً من فورِهِ .. فأصبح المكتب الكبير شبه المظلم يحتوي على جثة يهودي .. وقاتل منتقم.

## الفصل الثامن

ومضت الأعوام .. ورزق «محمود بيك» بثلاثة أولاد ....  
«راسم» أكبرهم «وسام» الأوسط «مأمون» الأصغر والمدلل بين  
إخوته .

تغير كثيراً ولم يعد ينافس التجار في السوق واكتفى بما لديه من  
تجارة وثروة حذرت زوجته كثيراً من الطيبة الزائدة حيث كانت  
تحذره من السقوط في شباك الضعف .. ولكنه لم يستمع لها واكتفى  
بالقول «أبنائي هم كل شيء لي الآن .. ولا أريد لحياتهم أن تحيطها  
الكرهية لا أريدهم من بعدي أن يتتهجوا نهج جدّهم فالتجارة  
والمنافسة فيها طبيعية ولكن لا تنس بأن هناك رجال ينتظرون  
نهايتي .. ونهاية أسرتي» ..

كان يحاول أن يحمي بيته من غلواء التفاعل ضد المنافسين لا يريد  
أن يدخل الغل والكراهة إلى بيته.

حين كان في خبيئة روحه يُمعنُ سلاماً .. فالشرّ قد ولى بموت  
«دانيال» أو هكذا كان يعتقد.

\*\*\*\*\*

كان «محمود بيك» جالساً مع «مائدة خانم» امرأة في الخمسين  
صديقة زوجته لها شركات في خارج البلد وداخله «أرملة» ووحيدة  
كانا في مكتبه يتحدثان عن مشاريع مهمة فكانت «مائدة» رغم  
تقدمها بالسن فوجهها ما يزال يحتفظ بجمالها بل كلما تكبر  
ازدادت تألقاً وأنوثة بشفتيها القرمزيتين .. وقلب زمردى مدلى  
على صدرها الناهد وصوتها الرخيم كانت تزلزل نفس «محمود

بيك» زلزلاً شديداً .. كان يختلس نظرات حازة إلى صدرها العالي وتزوره نشعة المخمور عندما كانت تضحك ضحكة رقيقة ساخرة وتمنى لو ينهل من عسل شفيتها ويلهج لسانه بكلبات عشق جنونيه كلما مرّ على كل نقطة من جسدها البض الجميل وكان «محمود بيك» عند رؤيته «مائدة» تهاجمه نشعة السكران لا يملك هذيان سكره ناصية عقله فلا يستطيع بالنهاية أن يجمع شتات أفكاره .. ثم فجأة سمعا طرق باب ودخول «قادر بيك» أحد أقربائه ممن يعملون في الشركة بقامته الطويلة .. وكان متأنقا كعادته .. وسيميا .. نحيف القد دقيق الأطراف .. واسع العينين برأفهما فَتَحَلَّبَ ريقه حال مشاهدته ساقِي «مائدة» الناصعتي البياض التي وضعتها ساقاً على ساقٍ مُرسلاً لها نظرات إعجاب وضجٍ فَرِحاً عندما سمح له «محمود بيك» بالجلوس فَاتَّخَذَ مجلسه أمامها مباشرة .. وبعد أن تعارفا اندمجوا جميعاً في جوهم الجميل جذلين مسرورين .. وفي نهاية اللقاء قامت «مائدة» من على الكرسي فشمل «قادر بيك» ذهول عظيم من شكل وانسيابية جسدها وخصرها المصقول .. وكأنها جسد امرأة في العشرين .. صقله الرب وباركه ونحت صدرها العالي بدقة لا يستطيع أي فنّان أن يأتي بمثل هذا الجسد الذي حافظ على نضارته ..

قالت السيدة وهي تهمّ بالخروج بعد ان دسّت ملف مليء بالأوراق في حقيبتها :

- أسعدني جداً زيارتك «محمود بيك» وأيضاً سوف أدرس الملف الذي تناولنا بحثه وسأعرضه على مجلس الادارة لغرض البث في العمل به .. إلى اللقاء إذًا.

ثم خرجت .. جلس «محمود بيك» ثم جلس بعده «قادر بيك» وكان حديثهما تفتق شرنقة سيرة السيدة المترعة بالأناقة والجمال

فقال الأخير :

- سيدة أعمال ناجحة تملك ثروة لا نهاية لها.

ضحك «محمود بيك» بعد ان تفكّكت روحه قطعاً وشيعاً يخشى  
على نفسه من هواها ومن جمالها الباهر :

- هي فعلاً سيّدة ناجحة ليس لي أي تحفظ في ذلك ولكن العمل  
هو عمل يا بيك.

أحسّ «قادر بيك» بالجواب قاطعاً بنصل سكين شرائح من لحم  
قلبه لكنه لم يواصل الحديث عنها خوفاً من إثارة غضب مديره  
فغيّر الموضوع .. ولكنه بقى هشاً في داخله ينخره التفكير في هذه  
السيدة المتقدّمة بأنوثه لا مثيل لها.



## الفصل التاسع

بغداد - ١٩٦٨

أحيانا ترمينا الأقدار في أماكن لا نعلم خفاياها حيث الحقد يعمي العيون .. ويتمثل لنا كل شيء بلون الدم .. وقد يغيب عن العقل مخاطر المغامرات التي يجهلها صاحبها من أجل الفوز بالمال أو السلطة أو غير ذلك مما يسطير على عقل المغامر سواء كان سياسياً أو تاجرًا أو .. حتى رجل المافيا.

بعد أعوام من الهجرة .. وبعد أن تقدّم بها العمر .. فكّرت بالانتقام ولاتدري كيف.

غيّبتها الأقدار ورمت بها في برائن المتاهات .. غابت عن بغداد عمرًا طويلًا ورجعت وقد صبغ البياض أغلب شعرها ولكنها ما تزال تحتفظ بقوتها ومكرها .. غنية جدًا لها نفوذها بين أغنياء اليهود وإن أمرت أحدهم يُنفذ أمرها في الحال .. هاهي تضع قدمها على أرض بغداد .. خرجت من المطار برفقة عشرة حراس .. استقلت سيارتها الخاصّة ثم تبعها ثلاثة سيارات تختلف ألوانها عن الأخرى .. عادت قوية جبروتها يكفي بأن تحوض في مجال السياسة أو التجارة بكل سهولة .. ولكن ماذا لو قدّر واستلمت مقاليد حكم العراق ؟ .. طبعًا فستنتقم لمجرزة ضحايا «الفرهود» بل وستفقع عيون المنفذين صغارًا وكبارًا .. شيوخيًا ونساءً .. إلا أنها لن تغادر العراق قبل أن تنتقم لـ «دانيال» مثلها الأعلى وصاحب فضل كبير عليها .. فلولاها لكانت إحدى جواري «السوركي» الذي كان يخطط لقتلها بعد حادثة سيناء ولكن «دانيال» تخلص منه بسرعة وفي الوقت المناسب

وجعلها تراث كل أملاكه بفضل علاقاته .. وساعدها على ترك القاهرة وتسافر إلى بولندا وفتتح من هناك محلات تجارية التي تحولت فيما بعد إلى شركات كانت تديرها بمساعدة ومشورة من «دانيال» .. هرب لها كل أموالها وخلصها من مشاكل قانونية ولولاه أيضًا لكانت ضحية من ضحايا المجازر التي كانت تضرب بين فترة وأخرى مدنًا من المدن المنكوبة البائسة بسبب جهل سكان المنطقة.

باعت أغلب قصور «السوركي» وهربت بعدما استولت على عقاراته ومعظم ثرواته .. ثم أوصلها «دانيال» إلى بر الأمان في بولندا .. ثم بعد ذلك صفت أعمالها ورجعت تستقرّ في إسرائيل بعد أن أعلنت قيام دولتها عام ١٩٤٨ .

ولم تنس «عفر» أنها يهودية وأنها كانت عراقية .. ولكنها رجعت إلى بغداد لغاية لا يدركها أحدٌ إلا من بعثها وخطط لها طريق العودة لتنفيذ أمر ما .. فهي ماتزال تحتفظ بجنسيتها البولندية وجواز سفرها البولندي .. وبهذا آمنت شر الخلق لوجاهتها أية محنة غير متوقعة .. أقسمت أن تنتقم لولي نعمتها وألا تغادر بغداد إلا وقد أخذت بثأرها كاملاً.

\*\*\*\*\*

إسرائيل «تل ابيب» ١٩٦٠ قبل «٨ سنوات» من الآن ...

بعد محاولات عديدة لإقناعها .. استسلمت ورضخت بشكل أولي بالمهمة الموكلة إليها ولكنها كانت خائفة ومترددة من الذهاب إلى مبنى المخابرات وتلقي نفسها في أمور قد لا تصبُّ لصالحها.

ارتقت السلام بهدوء برفقة رجل من جهاز المخابرات الإسرائيلية قاصدة مكتب الضابط «موشيه ديان» كان رجلاً طويلاً معتدل

القامة يرتدي قميصاً رمادياً وربطة عنق مفتوحة تتدلى على صدره وبنطلوناً أسود اللون .. بدا كِنْسِر جيف أصلع ملامح وجهه كأنها تعاركت مع الزمن .. أخذت أصابعه تداعب فنجان القهوة قبل أن يدُق الباب ويدخل الرجل ليُعلمه بوصول الضيفة فأمره بإدخالها.

اطفاً السيجار ورشف آخر رشفة من القهوة بعبوس غريب اجتاحت ملامح وجهه .. ولعل قلق أو أمر ما يثقبه دخلت «عفرا» فقام من فورهِ وصافحها من وراء مكتبه فدعاها للجلوس.

سألها إن كانت تريد أي شئ تنعش ريقها فطلبت هي ليمون وطلب هو من الرجل الرابض على الباب بابتسامة مقتضبة رُسمت على وجهه بالصدفة :

- وأنا قهوتي المعتادة.

بعد أن خرج الرجل .. رحب «موشيه ديان» بضيفته قائلاً :

- «عفرا» ما زلتِ كما أنت جميلة .. رغم خيوط المشيب الذي يخلل شعرك ولكنك ما زلت جميلة .. كيف حالك ؟

- ممكن أعرف سبب استدعائك لي حضرة الضابط ؟

ضحك باقتضاب كعادته دائماً .. فمال برأسه نحوها قائلاً بهدوء :

- مبارك علينا قيام دولة اسرائيل .. هذا أول وأهم شيء وثانيًا: كُنَّا مُشَرِّدين فجمعنا الله للمرة الثانية كما وُعِدنا وأعتقد بأنك جربتِ طعم التشتت كامرأة .. إذ علينا أن نحافظ على وحدتنا مهما كلفنا الثمن .. وإلا فسنكون هذه المرة حَطْبًا ولن ينجو منا أي أحد .. وهذه المرة بالذات.

سألته بعينين تبعثان غضبًا على مُضيفها :

- أنت تعرف بأن لي علاقات على مستويات أعلى من مركزك

كضابط كبير في المخابرات .. وكنت أستطيع أن أستغلها وأرفض طلب المجيء.

- نعم وفشلت لأننا كنا بالمرصاد لتدخل أصحابك .. ولأن الأمر يخص بالأمن القومي الإسرائيلي .. فلا تقولي لي حقوق الإنسان فحينما تُمس سلامتنا بضرر لن نرحم أحد حتى ولو كان طفلاً .. نحن قدمنا الغالي والنفيس لكي تعيشي على هذه الأرض بسلام .. ولهذا فنحن أمرناك بالحضور ولم نطلب منك الحضور.

اخفت ملامح الثقة في وجهها .. بل انطفاً فيها أي أمل في السلام وظهر عليها التردد .. ولكنها حاولت أن لا تجهر بذلك فواصل هو :

- الحاخام «فيشمان» عضو الوكالة اليهودية لفلسطين قال في شهادته الخاصة للأمم المتحدة في « ٩ يوليو ١٩٤٧ »:

«إن أرض الميعاد تمتد من نهر مصر إلى نهر الفرات وتشمل أجزاء من سوريا ولبنان»...

- لقد تعبنا جداً يا سيدي لكي نجتمع مرة ثانية على أرض الميعاد «السوركي» اغتصبك ثم تزوجك وانتشلك من ضياعك ليطيح بك في ضياع أفضع .. واستغلك كثيرا لتحقيق مطامعه الشخصية .. وبعد أن انضم إلى الإخوان المسلمين أراد أن يقتلك لولا تدخل «دانيال» وخلصك من بين مخالفه .. هربك إلى بولندا مع أموال زوجك الذي استوليتي عليه بمساعدة «دانيال» .. وحده كان قادراً على تحقيق ذلك لك بعلاقاته تخيلي لو كانت دولتنا موجودة أو لم تكن لتحفظك من كل هذا الضياع .. ماذا كاد أن يكون وضعك ؟ أكيد أحسن

فلماذا لا نفكر بمستقبل الأجيال القادمة ونحفظهم من الضياع.

- وماهو المطلوب مني ؟

- أن تتأري لـ «دانيال» العزيز علينا جميعا .. وأعتقد هذا هو حلمك في الوقت الحالي.

صُغت وكأنها تلقت صفة على خدّها ولكنه استدرك الموقف قائلاً :

- لا تقلقي كل شيء تحت السيطرة خطتنا هي كالآتي : ستزورين العراق كسيدة أعمال وبجواز سفر بريطاني وتحت اسم مستعار هو «لميعة» سوف نخبرك بتفاصيل الخطة والمغزى الحقيقي تفصيلياً للعملية الجديدة التي نحن بصدها من قبل مجموعتنا هنا في تل أبيب .. طبعاً لديك الخيار للرفض ولكن تأكدي كلنا أجمعنا على اختيارك .. أنت أكثر واحدة تعرف تفاصيل بغداد .. وأنت يهودية بالدم ويهمك جداً مصلحة اسرائيل.

دخان كثيف وغامض يعبئ قلبها اليوم تحس نفسها كغريقة في بحر جليّ .. أي عمل هذا يجمعها بعالم كذوب ومخاتل سألته بجدية مكثفة :

- هل تستطيع أن تخبرني موجزاً عن هذا العمل ؟

- لدينا صراع طويل مع العرب ولن نكون بأمن منهم كيهود حتى نقسمهم ونخلص من ترهاتهم كدولة أعزّهُم الله بالإسلام كما يزعمون .. مخططنا هو اكمال بناء دولة إسرائيل ولهذا اخترناك لكي نمحك شرف المساهمة في هذا الحدث العظيم .. ولكي يتم بناء دولتنا يجب علينا أن نقسم مصر إلى

اثنين : مسيح وإسلام .. وسوريا إلى ثلاث دويلات «درزية-  
علوية - عربية سنية » .. ولبنان إلى «مارونية- وشيعية»  
وتفتت العراق بين الكرد والسنة والشيعية لذا يجب أن نضع  
نصب أعيننا كيفية الاستيلاء على هذه الأراضي والتي  
ستزودنا بسيادة مطلقة على المنطقة وتكون كفيلة بسد  
احتياجاتنا كلها قيام دولتنا مبنية على وفاء أبناء دولة  
إسرائيل لها .. سنقوم بتدريبك وستكفل بكل شئ .. أموالك  
في بنوكنا لن تضيع .. ويهمننا جداً راحتك النفسية والعقلية  
لدينا برامج لتدريبك سيمنحك ثقة أكبر .. وحينما تسافرين إلى  
بغداد ستكون لديك حصانة أمنية قوية .. وقع اختيارنا عليك  
لأننا واثقون من وطنيتك كمواطنة اسرائيلية .. ووعدنا بأننا  
سنسهل عملية انتقامك من غريمك.

- أنا... ؟

- علمنا بأنك تريدان الانتقام من قاتل «دانيال» .. والرجل الذي  
تريدينه سيكون تحت رحمتك .. ستجرينه إلى المحرقة وحالما  
تنتهي مهمتك سوف نسحبك على الفور تحت حراسة  
مشددة توصلك إلى اسرائيل بأمان .. وبقيّة حياتك ستعيشينه  
بسلام ولن نستدعيك ثانية .. وعد .. وقبل أن أنسى غريمك  
له علاقات واسعة مع ضباط الجيش والمخابرات ورجال  
السياسة هي فرصة لأخذ ما نريد أخذهُ من معلومات أو  
نغتل من لا نستطيع الوصول إليه.

- ومن سيضمن لي كل ذلك ؟

- دولة «اسرائيل» يا سيدة «عفرا» .. ورأب الجروح العميقة صعبة  
ولكننا سنسهلها كثيرا .. على فكرة هناك ضابط يدعى «يعوديد  
بن يامين» يعمل معي في المخابرات في عقده الخمسين ولكنه

ما يزال في أتم صحته اسمه المستعار «الحاج رضا» له شركات كبيرة ومتعددة في محافظات العراق .. وأغلب رجال السلطة هم من أصدقائه المقربين .. وهو من سيوفر لك كل شيء وهناك سوف يراقبك رجاله لسلامتك وسيتابع معك التفاصيل.

كان جبينها يتفصد عرقاً غير مصدقة يأكلها الذهول .. فتحت ثغرها لتأخذ أكبر قدر من الهواء لتتنفس بصعوبة .. ترمق الضابط نظرات حيرة .. صعقها الضابط بأمور أغرب إلى الخيال عقّد لسانها ولم تستطع الرفض .. ذلك الرجل الماكر الذي بات أمامها كالهلال الهزيل يتسم بمكر .. فزادتها ابتسامته خوفاً على خوف.

## الفصل العاشر

بغداد - شارع الرشيد -

من نافذة المكتب المُطلَّة على شارع الرشيد كان وجهٌ يرتسم عليه القلق .. يراقب السيارات والمارة .. ينتظر بحرارة «عفرا» .. جلبت له السكرتيرة القهوة ووضعته على سطح المكتب شكرها فخرجت ينظر بعيون كعيون الصقر إلى الأسفل .. الشارع المزدهم بعينين مظلمتين أضناهما الملل يلقي على الناس نظرة شرزاء وكأنه برم من الصمت فقال محدثا نفسه :

- متى ستصلين أيتها اليهودية البائسة «لميعة» اسم مناسب لك صاحبة المرقص الليلي الجديد وصاحبة بعض الشركات الوهمية .. أتمنى لك مهمة موفقة بين هؤلاء الهمج.

رمى الطرقات بنظراته الجامدة فجلب أنظاره سيارة سوداء فخمة وقفت تحت العمارة لتنزل منها «عفرا» مع شخصين قاداها إلى الداخل.

تحول عن النافذة وضغط على زر صغير بجانب الهاتف فدخلت السكرتيرة بسرعة ثم قال لها :

- «عفرا» تحت وستكون هنا بعد دقائق .. أدخلها علي فور وصولها .

وبعد زمن يسير دخلت «عفرا» ثابتة الخطى متماسكة .. قد ولى الخوف من ملامحها الداكنة .. التي كانت قد طغت يوماً على فكرها الكئيب .. رحب بها «يعوديد» بابتسامة عريضة .. بانث على ملامحه الجد صافحها ثم جلسا على أريكة سوداء ووضعت ملاصقة



للشباك طلبت هي قهوة فأشار بإصبعه للسكرتيرة أن واحد قهوة ..

بعد كلمات الود والترحيب فرك «يعوديد» كفيه ببعضهما ثم قال :

- الرسالة لو سمحتي .

أخرجت له الرسالة المشفرة .. كانت تفاصيلها عادية تسأل عن أحوال الحاج وعائلته ولكنه استطاع أن يقرأ فحوى الرسالة المكتوبه بخط سري .. ما إن مرر الحبر الشفاف على الكتابة حتى ظهرت وبانت بشكل واضح الكتابة المخفية على ظهر الورقة.

بدأ يقرأها بملامح لم يدم عليه الراحة .. فعبس على سطر قرأه ثم سألها :

- يقول بأن صفقة السلاح التي كادت أن تدخل العراق قد فشلت وألقت شرطة الحدود القبض على كل رجالنا من الفلسطينيين وسيحاكمون قريباً .. «عبدالرحمن عارف» ليس سهلاً .. يجب أن نطرح به هذه السنة .. فحزب البعث بقيادة «البكر» يتربصون فرصة الإطاحة به بأسرع وقت ممكن .. احذروا من العيون .. لا تنس حرق الرسالة فور انتهائك منها.

- قالوا لي في تل أبيب بأني سألقى مزيداً من المعلومات عن الشخص الذي سأقوم بقتله .. متى سيكون هذا.

- من الطبيعي رجالنا سيساعدوك .. أنت ستنفذين خطط عديدة فلا تقلقي التنفيذ الحكيم مهم جداً في عملنا .. «محمود بيك» ما يزال يسيطر على سوق السلاح رغم أنه قد خفف العديد من نشاطاته .. وبالرغم من سيطرة الحكومة على الأوضاع فإنه لا يزال يعيش صراعات داخلية تتأجج يوماً بعد يوم

وعلينا بتغذية هذه البلبلة .. أما بخصوص خصوص «محمود» من المعارضين في أهبة الاستعداد للنَّيل منه .. لديه قريبه يدعى «قادر بيك» يعيش السلطة ويحب المال جبا جماً بل وأكثر من كل شيء .. سنمكّنه من أحلامه ونمدّه بكل أسباب القوة والسيطره على منافذ التجارة ليكون خير عون لنا في تمزيق كل مايزعجنا من الداخل .. «ثم وهو يحرق الرسالة» : كل شيء مدروس لا تقلقي .

- وكم ستطول مهمتي ؟

- عام أو عامين أو دهرًا .. أو شهر .. لا أحد يعلم .

ثم أطلق ضحكة سخرية على إثرها امتقع وجه «عفر» وفتحت فاهها مندهشة من سُخريته .. بينما قام هو نحو المكتب ليُدس عود الكبريت في قلب المطفأة .. ثم قال :

- جهزنا لك بناية الملهى الليلي منذ أول يوم تدريبك في تل أبيب .. وأوراق ملكيتك للشركة جاهزة ومكتبك الرائع فخم جدًا وراقي في التصميم .. ومهدنا لك الطريق ليتشر اسمك بشكل طبيعي .. ظهورك سيكون على مراحل .. تصرفك يجب أن يُدرس جيدًا وسأكون أنا أقرب إليك من حبل الوريد سأحميك .. لا نريد العجلة فهي أول طريق للفشل .

دخلت السكرتيرة بصينية القهوة ووضعتها بهدوء على الخوَّان وخرجت .. سلّم فنجال القهوة لها .. فأخذ قهوته والثفت نحوها ثم أطال إليها النظر بابتسامة جعلت «عفر» تتساءل في نفسها :

- كيف ستكون النهاية ؟

ثم أردف :

- لديك خبرة واسعة في التجارة والحياة ولذلك فإن من السهل

تجنيديك لإنجاز ما قد نطلبه منك بسهولة ودون خوف  
ستبدئين من مهمات صغيرة ثم سنجعلك تخوضين مسار  
العمل بمفرك وتحت حماية تامة من قبل رجالنا.  
لم تتفوه «ببنت شفة» فهي تريد الآن شيئاً واحداً «محمود بيك».

## الفصل الحادي عشر

مضت الشمس ترتفع إلى كبد السماء ..

وكان «قادر بيك» على موعد مهم مع رجلين وامرأة في مكتب فخم يقع في منطقة باب المعظم ببغداد .. كانوا ينتظرون قدوم المرأة التي ستاتي خصيصا للقاء «قادر بيك».

وبعد ساعة حضرت «المرأة» التي طال انتظارها .. دخلت المكتب واعتذرت عن تأخيرها .. وحال رؤيتها «قادر بيك» شدّ أعصابها حقد مؤرث وسخيمة مستعرة ...

جلسوا جميعا حول طاولة مستديرة .. فأخذ «قادر بيك» مجلسه بجانبها وبدأ النقاش الجاد يخيم على الجميع وبدأت «عفرأ» كلامها :

- لقد سمعت عنك كثيرا وأنا في لندن .. وسرّني جدّا لقائي بك يا «قادر بيك».

- الشرف لي «لميعة خانم».

- هناك في لندن مشاريع ضخمة .. وتوجد شركات تتطلع إلى أن تورّد للعراق بضائعها ولكن للأسف بعد إسقاط الملك تم منع أشياء كثيرة .. حتى تجار الأسلحة تضرروا من سياسة النظام الجمهوري الصارم .. فأيام الملك لم تكن هناك قوانين متشددة كما الآن .. ولذلك نحن نحتاج إلى رجل مثلك بشخصيتك وذكائك إن أمكن التوصل إلى اتفاق معك فلن يعوزك لا المال ولا السلطة التجارية التي من خلالها ستسيطر على السوق بمفردك كما كانوا أجدادك سابقا .. وهذا

سيوفر عليك تعب أعوام لكي تصل إلى ما ستحققه من مكاسب معنا.

فقال أحد الرجلين :

- «قادر بيك» يُدرك كل هذا .. لديه خبرة واسعة في الحياة والتجارة .. ويعجبني أنه لا يعتمد على أحد .. ولا حتى على أقربائه .. قراراته يُصدرها بدون تردد.

وعقب الآخر مؤيدا :

- نعم ولهذا اخترنا أن نتكلم معك بمواضيع قد تغير مجرى حياتك كثيرا .. فنحن نتعامل مع بعض منذ سنين وهذا سبب ثقتنا بك .. «لميعة خانم» أرادت شخصًا بمثل مميزاتك ولكي تتفق معها لتسهل أعمال تجارتها بالإضافة إلى أن لديها ملهى ليلي خاص وبالمرّة نستطيع أن تُريح نفسك دون متاعب هناك .. سيد «قادر» .. أنت لديك خبرة عالية في مجال التجارة وتستطيع أن تسهل أصعب الأمور .. تاريخكم يشهد بذلك كل ما عليك هو وضع يدك بيدنا وستحقق ما لن نحققه خلال مسيرتك التجارية مع قريبك.

كان «قادر بيك» يستمع باهتمام بالغ للثلاثة .. أعجبه فقرة الملهى الليلي جدا .. كان في هذه اللحظة قليل الكلام كثير السكوت يستمع بنهم دون أن يُقاطع أحداً، كان تواقاً للانخراط في الأعمال التجارية الضخمة التي تربط بغداد بلندن .. وكان حلمه أن يشتغل بمهاراته في إيطاليا فقد أذهلته أعمال المافيا هناك وقصصهم .. أراد أن يوسع نشاطه لو توفر له راس المال ولهذا السبب كان يتوق ليسمع أكثر ويقرر إن كان مصيره معهم لا يمس حياته.

كانت «عفر» تنظر إليه كثيرًا وكلما كانت تتحدث كانت تنكزه

من تحت الطاولة بقدمها وكان هو يتشتت رغم أنها كبيرة في السن ولكنها تستحق الاهتمام غنية لا يكثرث لسنها .. كان ينتظر هذه الفرصة منذ وقت طويل فكيف لا يقبل .. ولكن يحتاج إلى المزيد من الاستماع لكي يُقرر.

- «قادر بيك» النادي الليلي تحت خدّمتك وأفضّل أن نمد جسر التواصل أكثر وتكون ضيفي دائماً .. سأزداد شرفاً بزيارتك لي هناك .. نتواصل على رقم الهاتف الذي سيكون لديك أرجو أن تقضي وقتاً ممتعاً وكن على ثقة تامة أن العمل معنا سيكسبك مميزات كثيرة.

- طبعاً .. طبعاً .. الشرف لي قبل كل شيء.

ثم وجهت «عفرا» كلامها للجميع :

- «قادر بيك» سيقدر أن كان سيوافق كلامنا أم لا وأرجو من حضراتكم أن تمنحونني أنا أيضاً فرصة لكي أدرس المشاريع القادمة التي سننجزها في العراق.

مال «قادر» بجذعه نحوها وقال بأهتمام :

- أرى بأنّ هناك أموراً تستوجب بعض الإيضاحات سيدتي.

ابتسمت «عفرا» ثم أجابت :

- أعلم ما تريد أن تسأل عنه .. لا تقلق كل ما تريد أن تعرفه سوف أجيبك عليه .. الأيام ستكون كفيّلة بذلك .. فكما أعلم أن لديك خبرة عالية في استيراد وتصدير الأسلحة ومشروع التعامل معك بشكل مباشر أمر مهم جداً أن توافّق في الانضمام إلينا.

- لن أسألك كيف تعرفتي على نشاطي .. ولكن ممكن أسألك

صالح من تريدين إنجاز صفقة الأسلحة هذه ؟

- سأكون صريحة معك لأنني أعرفك جيداً على الرغم من هذا هو أول لقاء بيننا العشائر هنا بحاجة إلى أسلحة الانقلابات التي قامت في العراق تمت بأسلحة تم إدخال أغلبها بطرق غير مشروعة الى العراق .. وأما بخصوص الأحزاب فيلزمها أسلحة حديثة لأنّ الدولة لا تسلح أحداً وتسعى إلى إضعاف المكوّن الرئيسي في البلد وهو الشعب لكي يخضعهم تحت دكتاتوريته وجبروته.

- إذا تريدين أن تتيسر أمور الصفقات لمساعدة المغلوبين على أمورهم .. من المعارضة !

- ليست فقط أسلحة بل هناك بضائع مُنعت بحجة أنها أجنبية وشعارات المقاطعة للمنتجات الاسرائيلية والأجنبية ملّ منها الشعب .. بينما الحكّام يهنتون بها لذّ وطاب من رغد العيش.

- ولماذا لم تختاري «محمود بيك» ؟

- سيرفض فهو غير ممن سبقوه من أجداده .. أما أنت فإنك مختلق وتسيطر على أكبر مداخل التهريب في البلد ولكن الحظ يخونك دائماً ولا يجعلك تهنيء بالمال لتنفقها على سهراتك والليالي الحمراء وأيضاً لديك أمور كثيرة تحتاج إلى أموال طائلة لكي تتحقق .. تجازف بكل شيء من أجل الوصول إلى أحلامك .. تريد أن تكون الملك ؟ ستكون و...

سكتت هي لحظة وراقبت عيناه ثم اكملت بحرارة :

- سنجعلك ملكا .. سنهبك ثروة إن تعاونت معنا.

ساد الصمت قليلاً ثم أكملت بهدوء أكثر :

- وأنا هنا أعرض عليك صفقات مالية وستكون أنت من سيديرها كشریک وليس كمدير .. ننقلك من وضع إلى الأفضل لن يقف أمامك أحد .. فکّر جيداً .. إن أردت مقابلي ثانية رجالي لن يتأخروا بإحضارك .. احتفظ بهذا استعمالها في الوقت المناسب.

أخرجت من حقيتها خاتم عليها رسم «النجمة السداسية» .. لبسها في إصبعه ولم ينبس بكلمة .. لاحظ بأنها تلبس نفس الخاتم وعندما استرق النظر إلى أصابع الرجلين وجد نفس الخاتم في إصبعهما.

ثم قامت وقاموا معها وساروا معا حتى باب المكتب .. مدّت يدها إليه لتصافحه قائلة بصوت أنثوي حار :

- بانتظارك لإكمال الحديث .. على فكرة الخاتم هو الذي سيوصلك بنا فحافظ على سرّه جيدا «بيك» .. واحرص على ألا تفقده أو أن يعلم بأمره أحد .. البسه فقط عندما يتم استدعائك في اجتماع أو شئ طارئ ليتم التعرف عليك بسهولة.



## الفصل الثاني عشر

العراق ثورة ١٩٦٨ «الثورة البيضاء» ...

لم تحتفل بغداد بانتصار ثورتها حتى ولو كذبا بالثورة البيضاء تمييزاً لها عن انقلاب ٨ شباط «١٩٦٣» الدموي الذي بدأ بالهجوم على وزارة الدفاع «عربن الزعيم عبدالكريم قاسم» قائد ثورة ١٤ تموز ومروراً بحفلة الإعدام الدموية في الإذاعة .. حيث قتل الشوار الزعيم وأغلب رفاقه ومن ثم المباشرة بهدر المزيد من دماء العراقيين والعراقيات من الشيوعيين والديمقراطيين الغير متممين والمؤيدين لعبد الكريم قاسم .. وتم تسمية الانقلابيين بأنهم جاؤوا بقطار أمريكي حيث اعتقل الناس من قبل جماعة الحرس القومي الدمويين .. والاعتداء الجنسي على المعتقلات من الأنسات والسيدات بالإضافة إلى تعذيبهن ومن ثم إعدامهن.

\*\*\*\*\*

في صبيحة يوم ١٧ / ٥ / ١٩٦٨ تسلّم «عبدالرحمن عارف» تقريراً من مديرية الأمن العامة كُتب فيه :

- «إنه تم رصد بعض التحركات السياسية لعناصر بعثية دائمة الاتصال بـ «عبد الرزاق النايف» .. وترتأي الدائرة عدم التحرش فيهم حتى تكتمل الصورة لعناصرها القيادية».

فاتصل «عبدالرحمن عارف» بـ «النايف» وأبلغه بمضمون التقرير وأن البعثيين يستغلون اسم الأخير في تحركاتهم فنفسى «النايف» ذلك واقترح اعتقال من بعثي ولكن الرئيس أجّل ذلك كي لا يفسد تحركات الأمن .. وعندها أيقن «عبدالرحمن» أن هناك حركة

ما لقلب الحكم وعلى إثرها دعى إلى اجتماع ضمّ أربعة عشرة شخصية مهمة لئناقش معهم ما جاء في التقرير.

وفي صبيحة ١٧ من تموز ١٩٦٨ وقع الانقلاب ولم يفاجئ ذلك الحدث الرئيس العراقي مما شاهده من خيانة صدر من «احمد حسن البكر» الذي خان عهده برئيسه .. كما ولم يتفاجأ من دخول الانقلابيين إلى القصر .. حيث كان جاهزاً ليس كعادته ولم يُصب بأي أذى .. بل سألوه الثوار :

- أين ترغب الذهاب ؟

فاختار الرئيس «عارف» تركيا لسببين :

\* قربها من وطنه ...

\* ولكونه توّاً عائداً من تركيا .. وقد سُلم إليه مفتاح مدينة اسطنبول .. وإجلالاً لهم اختار تركيا ...

وربّ موقف لم ينسأه عندما كان السفير البريطاني متواجداً في مطار بغداد حال دون مغادرته العراق بعد أن صافحه قائلاً :

- وداعاً هذا ثمن من لم يحترم التاج البريطاني.

\*\*\*\*\*

قوَس القط الأبيض ذو الشعر الكثيف ظهره .. حالما فتحت «عفر» الباب لضيفها .. وهسهس بوجهه عندما مال عليه وارتدّ برأسه إلى الوراء ليتقي من خربشاته التي ضاعت عبثاً في الهواء حتى رفعته «عفر» عن الارض بخفة الريش معتذرة على هذا التصرف البذئ من قبل القط .. وأذنت له «يعوديد» بالدخول قائلةً بأدب :

- أهلاً بك يا حاج رضا وأعتذر لهذا الاستقبال الغير مهذب من قبل القط.

- قطط السيدات المرفهة ذات الشعر المشط والطبيعة الودود  
وقطط بائسة في أزقة بغداد مشعثة تبحث عن رزقها في أكوام  
القمامة.

جلسا في صالة الاستقبال الواسعة فأمرت خادمتها بأن تحضر  
الشاي .. وكان وجه «يعوديد» مُصفرًا وقلقًا مما أثار قلق «عفر»  
بشكل غير طبيعي.

سألته بعد صبر قصير عن سبب هذا القلق الظاهر عليه بشكل  
غير طبيعي .. مما أدى إلى سريان بعض من الخوف في بدنها كسريان  
الدم في شرايينها .. فأجابها بعد أن تنفس عميقا ليقول اضطرابه :

- يقول الأديب «شموئيل مورية» :

قالت لي أمي والأسى في عينيها

ظلمونا في العراق

وضاق المقام بنا يا ولدي

فما لنا وللصبر الجميل ؟

«فهي بنا للرحيل»

- ماذا تقصد ؟

- بعد العصر الذهبي الذي عشناه كهيود العراق .. جاء «عبد  
السلام عارف» لقلب كل الموازين .. سنّ قوانين تعسفية بحقنا  
ومنعنا من السفر كما منع الطلاب من دخول الكليات  
بالإضافة إلى إسقاط جنسيات اليهود وتجميد أموال كل من لا  
يرجع للعراق خلال ستة أشهر.

أثار هذا الموضوع قلق «عفر» ولجأت إلى الصمت .. وفرت  
حواسها إلى قعر الجمود .. ثم وبحركة منها وضعت القط على

الأرض .. انتظرت الخادمة لتضع صينية الشاي على الخوان وخرجت صبت فجانين من الشاي .. سلمت «يعوديد» فجاناً بيد ترتعش شيئاً ما .. لاحظها الأخير ولم ينبس بكلمة .. فقالت بقلق :

- ماذا يقلقك ؟ الانقلاب ؟

- بعد حرب الأيام الستة قرر رئيس الوزراء «طاهر يحيى» صب غضبه على يهود العراق .. واعتقل العشرات في العام الماضي .. وتم تصنيفنا كطابور خامس لأننا حسب قول الصحف المحلية نقوم بنشر الفتن .. وأمّر الشعب بمراقبتنا وعدم التعاون معنا طرد اليهود من الوظائف ولم يُسمح لنا بتجديد تراخيص الاستيراد .. ودفع ضرائب دخل إضافية كما مُنع الطلاب اليهود من دخول الجامعات .. وقطع الهواتف .. وطردنا من النوادي الأهلية وجمّدوا حسابات اليهود في البنوك وحددت كمية النقود التي يتم سحبها من البنوك وبيوت اليهود باتت مراقبة ٢٤ ساعة من قبل الشرطة السرية والمخبرين ومُنعنا من السفر .. كل هذا يؤرقني وخصوصاً بعدما تسلم «البكر» الرئاسة وأصبح الجزائر «ناظم كزار» مدير الأمن العام.

ثم نظر باستسلام إلى «عفرا» قائلاً بصوت حزين :

- عفرا يجب ان ننجز مهامنا وزرع ما يمكن زرعهم من مرتزقة ونرجع إلى ديارنا .. حزب البعث سيكشف كل ألعيننا إنهم أولاد زنا .. مهّنا لهم الطريق ولكنهم جاحدين.

- سنُكشف ؟

- حزب البعث ليس سهلاً .. إنهم ينوون على طرد الشركات الأجنبية قريباً .. لديهم خطط ستؤول بنا إلى الدمار .. وهمهم

الآن قنص كل الجواسيس .. عليك بالتحرك بسرعة وحذر  
لكي تنجز أهدافنا .. فاليوم أن أكون معك وغدًا لا أضمن  
لك هذا .. حاولي تجنيد «قادر» لخدمة مصالحنا ومن ثم  
تخلصي من قريبه .. أوليس هذا حلمك؟؟

- نعم حلمي .. وحلم «دانيال» .. ولكن ما الذي يحدث الآن  
بحق الجحيم .. أين ذهبت شجاعة اسرائيل؟ ولماذا كل هذا  
الخوف من العرب؟ ومن الانقلابات التي تحصل في العراق  
أولستم أنتم من تقررون وتشعلون الفتنة! إذا ماذا يحصل لكم  
الآن؟ بدأت حركات المقاومة تقلقكم وتربك أفكاركم!؟

## الفصل الثالث عشر

تعاظمت مخاوف «عفرا» مع كل فرسخ مغامرة تحوضها في مهمتها الجديدة التي أنيطت بها من قبل الضابط الإسرائيلي فمنذ أن تركت «تل أبيب» لم تذق طعم الراحة بل يعصف بها الخوف كثيراً وإن وارتها تحت قناع من الحزم والثبات .. أيامها صارت حافلة بالقلق منذ قيام الثورة البيضاء .. في الليل تدير النادي الليلي وهي جالسة في مكتبها العلوي وفي داخلها مليئة بالاضطراب التي تضر بها كالعراصات وبدون رحمة .. والأيام الباقية تتواجد في مكتب الشركة تستقبل تجارا وأناسا مختلفين بغية عقد الصفقات ولعل من بين ضيوفها أناس يعملون معها في المخبرات.

تتخبط في أفكارها .. تُرى لماذا قبلت بالمهمة ؟ أحبها الشديد لإسرائيل أم هو نهم الانتقام الذي بدأ ينمو في داخلها لتنتقم من قاتل «دانيال» الذي لولاه لكانت ضائعة في بلاد لا تشفق على أحد من مواطنيها .. أو خوفاً من أن يصادر أملاكها أن رفضت المهمة وإلا فإفغيتها سهل للغاية ولكن لماذا هي بالذات ؟

تقدّم بها العمر وعوامل الإغراء في جسدها أغلبها قد جفّ كما تجفّ الأنهار في الوديان والمراعي الخضراء إنها تتجه نحو الذبول الذبول ...

تملك نادي ليلي ؟ وشركات تجارية بأسماء وهمية .. ضحكك بعد أن مرّ على بالها بأنها يوماً كانت تعمل مغنية وماتكسبه من مال كان يضيع للإتاوات .. زبائنها الآن من كل الطبقات الاجتماعية والسياسية .. تتعرف كل يوم على ضحايا من الشخصيات المهمة يدخلون منتشين مع إحدى المومسات اللواتي يعملن في المهوى ..

ويتم تصويره من دون أن يعي ذلك وهو يمارس الجنس مع المومس في إحدى غرف المتعة.

رجال مهمين في الدولة سقطوا ضحايا .. يتم استغلال مناصبهم وتهديدتهم بالفيلم «الصاروخ» الذي سيحطم جبروته .. وعند انتهاء صلاحية أحدهم يتم إرسال الفيلم الجنسي من قبل مجهول إلى الوزارة أو مديرية الأمن أو المخابرات فيتم عرض الفيلم على المسؤولين ثم يُقرر بإعدامه لثبات خيائته للوطن .. وتسريه أسرارًا أمنية.

الوقوع كفريسة مع إحدى مومسات النادي سهل جدًا وخصوصًا لو كانت فاتنة ولم تُكمل العشرين بعد .. فالرجل يفكر في الجنس أكثر من الوطن .. فكل هذه الحروب تدور رحاها من أجل المال والسلطة .. والنساء هن قلب المتعة.

استطاعت «عفرا» من تحقيق تقدم كبير لصالح عملها خلال فترة قصيرة من العمل الجاد .. فأوقعتْ بالعديد من السياسيين ورجال الأعمال في مآسي خطيرة من خلال الانتقاء الدقيق للطعم والإيقاع بهم بسهولة في خطة جهنمية تنهي حياتهم .. نزواتهم لم تتحمل .. نظامهم الدفاعي هوجم بسهولة من خلال إدمان القمار واقتراضهم أموالاً كبيرة بالإضافة إلى الفوائد فيضطرون إلى توقيع وصل الأمانة وهنا بداية السقوط .. ليُقصم ظهورهم ويُلَبَّسوا ما يُطلب منهم تحت تهديد السجن أو من خلال الأفلام الجنسية التي صُوِّرت لهم خلسة.

«قادر بيك» زار النادي مرة واحدة ثم كرّرها عدة مرات .. توالى زيارته وتشجع أكثر بعدما كانت طلباته كلها مستجابة وبدون أن يدفع فلسًا أحمرًا «كما يقال».

اطمأنت «عفرا» بأنه أصبح لقمة سائغة ولن يتواني الآن في بيع أقربائه في سبيل المال .. وكان على عكس «محمود بيك» حاد اللهجة مكروه من قبل الأغلبية .. فظَّ الأسلوب لا يشق بأحد تعرض لعدة محاولات قتل وفي كل مرة تسعفه الظروف ويُنفذ من الموت المحقَّق ويلين أمام سحر المال وبريق سبائك الذهب.

\*\*\*\*\*

كانت الشمس الحمراء قد بدأت رحلة المغيب عندما كانت سيارة مجهولة يستقلها اثنان يتعقبان كل تحركات «محمود بيك» حتى وصل إلى الفيلا التي تسكنها «مائدة خانم» وانتظر فترة قصيرة لكي تُفتح له البوابة الكبيرة .. ثم دخل وغاب عن العين بينما الرجلان المجهولان جالسان يراقبان بصمت وصر الهدف .  
أثار غياب «محمود» لساعات طويلة تساؤلات الرجلين اللذين يحاولان أن يصمدا أكثر لينفذا المهمة بنجاح.

تمتم أحدهما :

- خمس ساعات في الداخل ؟ عليه اللعنة ماذا يفعل في الداخل ؟

أجابه الآخر ساخرًا :

- اسأله .

- لن أسأل رجلا سيقتل على يدي كالكلب بعد قليل .

- في هذا المكان من الصعب قتله صاحبة الفيلا لن تتركنا نمر بسلام سنقع في مواجهة خاسرة مع رجالها إن لم نتدبر أمر قتله بحكمة .. تذكر أنه رجل له خبرة في القتال أيضًا علينا أن نختار مكانًا أكثر أمانًا من هنا.



هنا فطن الثاني على شئ فجهر به على الفور متسائلا :

- خرج بدون أن يصاحبه حتى ولو شخص واحد.

- لربما لا يريد أن يعلم أحد بتحركاته حتى ولو رجاله وهذا أكيد طبعا.

كان هدوءاً قد ساد على المكان .. يملأ الشارع وحشة غريبة وكأن المكان قد ضربته عاصفة أو مرض فتك بالجميع فأصبح المكان كقرية مهجورة الأمان قد تبخر الآن .. وبات المكان ملاذاً للأرواح الشريرة تجوب المكان براحة تامة.

بعد فترة خرج رجلين جابا أطراف المكان ثم رجعا الى داخل الفيلا ومن ثم بفترة يسيرة مرت سيارة سوداء اجتازت السيارة الواقفة بمسافة قليلة ثم توقفت على مسافة قصيرة منها.

لم يشُكا من تلك السيارة التي تقف على مقربة منها فقط .. بل فقد كان تحرك الرجال مشكوكين من امرهم .. المشهد الآن يوحي بأمور تُنذر ببعض الشؤم .. دقق الرجلان من خلال المرآة على السيارة الواقفة في الخلف فكان بداخلها ثلاثة أشخاص ظلوا ساكنين فيها لا يرمون هنا نظرا بعين الريبة وقد وثقا من شئ .. ولكنها استبيننا ذلك بعد فوات الأوان ...

فالرجال نزلوا بسرعة ثم التفوا حول السيارة وتم تطويقها وهم يشهرون بمسدساتهم ويصوبونها عليهما ولم يمض زمن يسير حتى أطلقوا النار عليهما فتناثرت قطع الزجاج واخترقت الطلقات رأسيهما فقتُلا على الفور .. ولاذ القتلة بالفرار على الفور.

لم تمضي دقائق حتى خرجت سيارة «محمود» يقودها بنفسه واتجه عكس اتجاه مكان الحادث ليتلعه الطرقات بسرعة.

## الفصل الرابع عشر

تنداح إلى مخيلته في أغلب الأوقات : أي ذنب اقترفه ليكون هدفًا  
مهما للقتلة !؟

خسة الروح تجعلها تنزلق للإجرام وبخطى واثقة لا يصدّه أحد  
فالمجرم يتمتع بميزات قاسية فغالبا يكون لديه قوة أعصاب تميزه  
عن الآخرين .. يقتل ببرود يترأس عصابة .. يظلم بجحود يكون  
مغمورًا في دناسته حتى النخاع ولا يستطيع أحد من أن يتسربل  
إلى داخل عقله ويقرأ محتواه الإجرامية .. أو حتى أن يفكر أحد  
بمحاكمته بسبب قابليته على إسكات الأفواه بسحر المال.

أما في الليالي الحمراء .. يتزاحم الضيوف في القصر ملبين دعوة  
كبيرهم .. فتنحني له قامات تنحني له في حالة ركوع دائم.  
ونساء يحرقن أطراف الرجال بهز قدودهن وغنجهن الفائر  
حيث تثقل الرؤوس .. وتبقى دائمًا كلمات النفاق والمجاملة معجونة  
تستعر على لهيب شهوة مؤجلة.

هذا ما يفعله كبار الساسة والتجار ممن عرفهم بزمانه هو  
لم يفعل ذلك .. لم يتملق أو يقتل فقط قتل شخصًا ليس لأنه  
يهودي .. بل بالعكس اليهود بشر مثلنا وفيهم الطيب والشرير  
ولكنه قتل قاتل أبيه بالتبني .. قتله غدراً .. تحكي له أمه  
كيف وصلتها جثته مشوهة .. الرأس مكسورٌ اندلقت حشوة  
دماغه وكان منظرًا وميتةً تخلو من الرحمة .. هو يؤمن بأن  
الانتقام ليس حرامًا إن كان على حق .. ولو عجز القانون حينها  
ينطق السلاح بالحق .. «العين بالعين -والسن بالسن- والبادئ  
أظلم».

الحمد لله أنه لم يظلم أحدًا بعد أن تولى رئاسة شركات وأملاك ورثها بالحق خان زوجته عدة مرات وتلك مسألة تؤرقه ولكن النفس أمارة بالسوء .. ف «مائدة خانم» قبلة موقوتة لا ترحم بني الرجال خان زوجته مع عشيقته والده قبل ذلك .. والآن مع صديقة زوجته الدنيا كدولاب الهواء تدور وتدور ثم تعود إليك ولكنها لن تستقر لديك .. فكل شيء مُغادرك .. ونحن أيضًا مغادرون .. فلم يظلم الناس بعضهم البعض وهم يُدركون بأنهم زائلون .. «مائدة خانم» تسللت إلى قلبه رغم فارق السن .. يوماً سمعها تقول له «أَتَعْلَمُ أن فارق السن تزيد من نشوة العلاقة وتزيد حلاوتها .. حيث لا تشبع المرأة من لذة الشبق» ..

يحترم «مائدة خانم» وأعجبته ذكائه حينما أنقذت حياته من محاولة اغتيال أكيدة فأرسلت برجالها ليقتضوا على الشخصين .. وسهلت عليه مغادرة المكان بعد ذلك .. أَعْلَمْتُهُ بالمحاولة بعد مضاجعة دامت ساعتين .. كانت تعلم بأنه مستهدف وأخفت عليه السر كانت وهي مستسلمة له .. مستلقية تحت جسده العاري .. تفكر في راحته وراحتها .. ولم تشأ أن تُحرب عليه ساعته .. إنها تشعر براحته من خلال حرارة قذفه ملئاً بحيوية ولوعة وبعد الشبق الأول والثاني ووووو .. جعلته يرتاح ويستحم ومن ثم فاجأته بالخبر فُصِّدِم .. أي نوع من أنواع النساء هي ؟ كيف علمت بكل هذه الأمور وهي لم تغادر سكنها هذا الصباح ؟ هل رجال المخابرات يضاجعونها لكي يُعلموها بالأخبار أولاً بأول ؟

الحقيقة .. والحقيقة تُقال .. أن ... «مائدة» .. ذكّرتَه بشخصية «أشرفت» ..

## الفصل الخامس عشر

«بعد عدة سنوات» :

كان سنّ «راسم» قد بلغ الحدّ القانوني لكي يُساعد والده في إدارة أمور شركاته ومصالحه في الداخل وفي الخارج خصوصا بعدما تجاوز والده سنّ الستين بالرغم من أنه ما يزال يتمتع بصحة جيدة وكأنّه شاب في الثلاثين ولده «وسام» قرر ترك أعباء التجارة لـ «راسم» بينما سيكمل هو الجامعة في أمريكا ويقوم هناك لسنوات و«أمون» دخل كلية الشرطة وتخرّج مُلَازِمًا .. أما «راسم» فقرر إكمال مشوار والده التجاري وقد كسب في نفس الوقت ثقة عالية من والدته التي منحتة صلاحيات ادارة الشركات وتنسيق إمضاء العقود والانفاقيات مع بقية الشركات وإلى آخره من مميزات حصل عليها من والدته بسبب ذكائه الحاد وعلاقاته مع مسؤولين كبار في الدولة بالإضافة إلى علاقاته بالقضاة فقررت هي أن تتقاعد وتُسَلِّم الأمور إلى «راسم» الذي قرّر بدوره دمج شركات والدته الاستشارية مع شركات والده الكبيرة .. وقرر أن يُكمل أيضًا مشوار والده بعد أن قرر الجلوس في البيت إثر مرض القلب الذي أتعبه كثيرًا ولكنه بالرغم من كل ذلك لم يستطع أن يكسب ولاء كبار الشخصيات من بيت القاضي - وبدلاً من أن يبني جسر العلاقات لتمتد بينه وبينهم .. اعتبرهم أول أعداءه .. وأن التصفية الحقيقية يجب أن تبدأ منهم.

وكان على عكس والده تمامًا يحتمي بجيش من الحرس الشخصي سريع الغضب وله قلب ران عليه الكره والحقد وكان يصطدم كثيرا بنقاشات حادة مع «قادر بيك» بالرغم من تحذيرات والده

بعدم المساس أو إهانة أي شخص سواء من أقربائه أو غريب و مهما بلغ الأمر من سوء .. فعليه احترام الناس .

في إحدى المرّات اكتشف «راسم» عن طريق أحد رجاله .. بأن هناك صفقات وهمية تم التوقيع عليها وعلى إثرها تم سحب مبالغ طائلة لا أحد يعرف إلى أي جهة أو شركة تم تحويلها ومما زاد من حدّة المشكلة اختفاء «٣٠٠» ألف دولار من خزينة الشركة الواقعة في فرعهم الكائن في لندن.

على الفور سافر «راسم» بعد أن أبلغ والده بالخبر .. وبدأ يعمل جاهداً مع المجلس التحقيقي لاكتشاف السارق .. وتبين بعد فترة بأن الفاعل الذي هرب .. هو موظف في قسم الحسابات يهودي الأصل .. تم تعيينه بناءً على توصية خاصة من «قادر بيك» وأن المبالغ لا تزال في مكان مجهول.

رجع «راسم» إلى بغداد .. غاضباً .. وطلب من سائقه قبل أن يغادر المطار أن يتوجه به إلى الشركة فوراً ومن دون تأخير وعندما وصله إلى الشركة دخل وقد اشتاط غضبه وكانت النار تستعر في جسده لم يجرؤ أي موظف أن يرحب به كانوا حراسه يومئذ إلى الموظف الذي يقابله في الممر بطرفة عين صارمة بأن يتنحى جانباً عن الطريق .. الغضب بدأ يتلوّن بألوان غائمة في عيني «راسم» .. والجميع خائفون .. أخذوا وضعاً رجائياً توسلياً على الرغم من أنهم لا يعرفون سبب الغضبة.

يمخر الطريق الطويل كثور هائج أو كقطار سريع ينفث الدخان من دماغه .. توقف هو عند مكتب «قادر بيك» فتقدّم أحد حراسه وركل الباب بقوة بساقه ليسمح لسيدة بالدخول .. وجدوه منهمك مع السكرتيرة .. يوقع أوراقاً مهمة .. طردها «راسم» بحدّة وغادرت على الفور .. بإغلاق الحرس الباب كان كافيًا في نشر الرعب في قلب

«قادر بيك» .. ارتبك جداً فرفع يده يحذرهم ولكن أحد الحراس لوى يده بسرعة وعاجله بضربة في رأسه استقرت في منتصف وجهه .. كانت كفيّلة بانفجار الدّم من أنفه سقط يصرخ على الأرض ولم يجرؤ أحد من بعض الموظفين اللذين باتوا يرقبون الحدث خلسة من إسعافه سقط ضعيفاً يركله الحرس من كل حدب وصوب .. و«راسم» يشاهد بأعصاب باردة ما يحدث .. وكأنه يفشّ غلّه من هذا الشخص الغير مرغوب فيه ولكن الحساب لم ينته بعد.

هنا تغيّرت الموازين تولّد عداءً أبدياً بين الاثنين رغم انتمائهما الواحد إلى شجرة واحدة الاثنين لهما ثقليهما بين العائلة لم يكن والده «محمود بيك» ليتوقع يوماً أن الأمور ستسوء لهذه الدرجة في العائلة الواحدة وخاصة عندما رأى بأن «راسم» قد اكتسب نفس قساوة جدّه الذي فقد حياته بسبب عجرفته وسوء تقديره للأوضاع.

«راسم» يحتمي بجيش من الحرس .. وبدأ يخوض في عمليات الاغتيالات التي تطال كبار التّجار وبعض الشخصيات السياسية من الحزب الشيوعي .. مستغلاً عدم الاستقرار السياسي الذي كان يعصف بالبلد آنذاك.

لم يسكت والده على تصرفات ولده وخاصة بعد الهجوم الأخير على قريبه .. الذي فتح باباً للحروب التجارية القذرة والشرسة في سبيل المال مع كبار الشخصيات من بقية العوائل .. فقد كان «محمود بيك» طيلة السنوات الماضية يسعى وبجحاح أن ينيي سلاماً معهم .. ولكن ظهور «راسم» على الساحة أنهى كل شيء فلم ينصح لأوامر أو نصائح والده واعتبر الهدنة بين العائلات هو ضعف وإهانة لـ «بيت القاضي» والذين كانوا يملكون بدورهم

علاقات واسعة مع رجال السلطة من السياسيين المهمين .. ولما  
اطّلع والده في البيت على ملفّات الاختلاس التي تورط بها قريبه  
رفض أن يقام التحقيق على أساس العنف والقتل .. وأنه يجب أن  
يُحاسب المقصر بالقانون وليس بالقتل والعنف .. وكان دائم النصح  
لابنه بأن يعقل ويراجع نفسه.

\*\*\*\*\*

لم تقبل «عفرا» ما وصلتها من أخبار عن الضرب المبرح لعميلها  
فاستأثت و بشدّة واتصلت بـ «يعوديد بن يامين» أو «الحاج رضا»  
تُعلمه ما لاقاه العميل من الضرب على يد «راسم» .. وعلى الفور  
طلب مقابلتها.

في مكتبه التقياً .. لم تُخفِ عليه بالمرّة قلقها على وضعها أيضاً بعد  
الثورات التي اجتاحت العراق مؤخراً فقد أمضت فترة طويلة  
في العراق قدّمت خلالها خدمات جليلة للمخابرات الإسرائيلية  
وبالرغم من ذلك باتت توجس خيفة من الأحداث الغير مطمئنة  
التي تجري في العراق من اعتقالات للعملاء .. تقدّم بها العمر  
وما زالت منشغلة بواجبها السري المهم الذي غير مجرى حياتها  
تريد انقضاء المدّة بأقصى مدة زمنية ممكنة والعودة إلى برّ الأمان  
والاكتفاء بما تملكه من ثروة هائلة تكفيها مدى الحياة هذا ما  
تتمناه الآن وحسبها ذلك .. تريد أن تنهي حياة الغربة بأسرع ما  
يمكن وأن تتقاعد وإلى الأبد.

- تعلمين أنه متورط في سرقة «٣٠٠» الف دولار أمريكي من  
خزينة الشركة التي في لندن .. غير الفُتات الذي لم يُعلن عنه  
بعد .. عميلك يا سيدتي لم يُبلّغنا عن اتصالات «محمود»  
بالقادة العسكريين العراقيين ولقاءه بهم حول بناء قاعدة  
عسكرية مهمة وضخمة تشرف على بناءها إحدى شركات

«القاضي» للبناء رغم أنه من المفترض أن يكون متقاعدًا من كل شيء .. ولكن بسبب غياب عميلك فشلنا في تجنيد أحد كبار الضباط العسكريين .. وهذا سيكلفه الكثير.

- أعرف أنه مُقصر ولكن علينا ألا ننسى بأنه قدّم لنا خدمات كثيرة ولا سيّما في الآونة الأخيرة.

- ولا تنس أن ما يكتنزه من مال فهو بسببنا .. وفضلنا على هؤلاء الكلاب الخونة لا يُحصى .. «عفرا» عليك أن تعلمي شيئًا واحدًا فقط .. مثل هؤلاء لا يهتم سوى مصالحهم ونحن مصالحنا أهم .. أنا هنا درست في حوزاتهم سنين طوال .. وصليت معهم وُصمت رمضاتهم .. وحفظت كل شوارع النجف وكربلاء ومعالم مدن الجنوب وانغمزت في تفاهاتهم وقد كنت أول شخص ممن يمولون شعائرهم وإقامة مجالس التطبير ليطبّروا رؤوسهم الفارغة .. وأقمت للزائرين سرادق وولائم ودروس كل هذه الظروف هي أكثر من كافية لكي تتقدّم في احتواء هذا البلد .. إن لم نتحرك فسوف لن ننجح بشيء .. هؤلاء أقوام خلقهم الله حميرًا يُحمّلون أنفسهم عبء الحياة وجريمة عمرها أكثر من ألف عام .. الأدمغة مغسولة بالدين .. رجال الدين سيطروا عليهم بأقوايل من زخرف لا أول لها ولا آخر .. ثم أحالوهم إلى دُمى .. «البكر» لن يقبل بهم هكذا وهو يعلم بتدخل إيران بشؤونهم .. ولا سيّما فهناك ثورة عارمة ستجتاح إيران ضد «الشاها» وستقوم ثورات وثورات في العراق ولربما تجتاح كل الأقطار العربية .. المهم أن نزود العشائر بالسلاح .. سنبيع لهم كل شيء وسنمدّهم بما يطلبون .. إن لم نضرب البلاد ببعضها فسوف لن تستمر دولتنا .. فكّري في ذلك جيّدًا .. أعلم مدى لوعتك لقتل



غريمك وأنا سوف أخطط معك لتحقيق هذا الحلم وسترجعين إلى إسرائيل قريباً.

حلم الرجوع إلى إسرائيل بدأ يحتاج تفكيرها .. وأيضاً هدفها في الانتقام بات من ضمن قائمة الأولويات التي فرضتها عليها الأيام .. هناك حاجز يفصلها عن قتله والذي تدعوه بالفرصة ومن خلال الثغرات المشؤومة راحت تنظر إلى ما وراء هذا العالم نظراً موصولاً فلم تتوفق في رؤية شئ سوى ظلام الانتقام وكأنها ترى كيف أن السكين يحتز عنق «محمود» الذي تقدّم به العمر .. وأحياناً تعصف بنا صدمة من العنف بحيث تجبرنا على أن نتخذ قراراً أو موقفاً ضد أو مع فكرة الانتقام.

إنّ قتلُهُ هو تحنُّرُ القانون وهي تُدعى المنتقمة .. وأي امرئ يرى الموت كأنه يزلزل بارتجافات ليس أعجب منها ولا أشد غموضاً ففي القتل هو اجس مروعة التي تقذف مشهدها بالنفس الإنسانية إلى خضمها السلاح شريك القاتل في الإثم .. يأكل ويفترس ويسفك الدم .. والانتقام غول من ضُرب ما .. فهو شبح يبدو وكأنه يحيا بضرب من الحياة راعب فكيف هان عليه أن يقتل الرجل الكبير؟! كيف ستركه يحى ذلك الأرعن .. كيف ستركه يموت موتاً طبيعياً من دون أن ينزف قطرة دم أو أن يتألم وهو يموت؟! مُحال أن تتركه بدون أن تسفك دمه.

- «محمود» تقاعد ولكن ليس بشكل كُلي فهو ما زال يلتقي بالضباط الكبار سواء من الجيش أو بقية الأجهزة الأمنية وفي قصره يقيم مجالس العزائم والولائم وقرقعة الكؤوس المملوءة في هذه الدعوات تصم الأذان لن يكون سهلاً أبداً إيقاعه في الفخ .. ولهذا السبب فإن «قادر» عليه يغير سياسته مع «راسم» ويقترّب منه أكثر .. لا أن يولد عداوة نحن في

غنى عنها.

أجابت «عفرا» بلهجة تعبر عن خيبة الأمل في هذا الكلام :

- وهذا لن يكون سهلاً «راسم» مجنون إلى حد غير معقول لقد وصلتني أخبار تقول بأنه يضاجع القاصرين من الأولاد وأيضا القاصرات ومن ثم يضربهن بشدة دون أن يدفع لهن أجر الليلة .. وهناك أخبار وصلتني من مصادر موثوقة مقربة منه لقد لعب بقذارة في اوراق مهمة من أجل أن يخلع والده نهائيا ويبعده عن طريقه .. لكن بقاء والدته على قيد الحياة هي كحجر في حذائه تحول دون ذلك.

- المجنون سيقتلها حتماً .. ليستولي على ثروات طائلة .. ماذا عن إخوته ؟

- «وسام» في أمريكا منشغل بدراسته ويُقال بأنه قد تزوج ومأمون يعمل ضابط شرطة الحدود الشمالية ومقره - أربيل - حاولنا أن نقدر مدى درجة الاستفادة منه والإمكانات والثغرات التي يمكن أن تقربنا منه .. ولكن للأسف هناك شكوك بأنه يتعامل مع أحزاب أخرى ويدير رئاسة مجموعة من الضباط عملهم عقد صفقات مشبوهة مع روسيا ومع دولة مجاورة أخرى .. لتهريب أسرار وملفات عسكرية لقاء حصولهم على دعم عسكري كبير.

اشترابَّ عنق الرجل ثم مال برأسه نحوها من خلف المكتب قائلاً :

- أي نوع من المؤمرات التي يريد أن يتورط بها ؟

- من المحتمل قلب النظام الحالي .. وهناك صفقات أسلحة

دخلت عن طريق الحدود السورية عبر أراضي شمال العراق وتوجّهت إلى إيران .. وكانت جميع الأدلة تشير بأن «مأمون» بالتعاون مع بقية الضباط قد وفّروا غطاءً أميناً لحماية هذه العملية.

- «عفرا» أريد معلومات تفصيلية عنه .. ركزي عليه جيدا ابعشي بعض المصادر لكي ندرس أكثر عن تحركاته .. هذه معلومات مهمة أن لن نستغلها قبل فوات الأوان فلن ينفعنا ما عملناه سابقا أبداً .. هل لديه عشيقة ؟

- لا فهو ملتزم جداً.

مال بظهره إلى الخلف وقد لاحت علامات الرضا والارتياح على وجهه :

- الملتزمون هم أكثر الناس حُبًا وولعًا بالعشق .. راجعي قائمة الفتيات واختاري الأذكى منهن .. أريدك أن ترسلي له أنثى طاغية لا ترحم .. وفري لها السكن والمال الكافي وما تحتاجه في مهمتها من أمور.

## الفصل السادس عشر

كان مرضها المفاجئ توقيتًا خاطئًا اجتاح فجأة حياة العائلة ولا سيّما «محمود بيك» الذي تفاجأ بالمصيبة التي أهلكت زوجته فجأة وأجبرها المرض الفتاك أن تدخل المستشفى لتلقي العلاج بعد أن أكد الطبيب خطورة حالتها وأنها قد تعرّضت إلى حالة تسمم خطيرة بمادة الزرنيخ .

قبل أسبوعين من مرضهاناولها «راسم» كالمعتاد كوبًا من الحليب لكي تشربه .. أعده «راسم» لها كما يفعل كل صباح قبل أن يخرج إلى عمله .. ولكنها أحسّت بأضطرابات نفسية اجتاحتها بقوة وتشنجات وغيوبة بعد أن ضرب هذا العنصر في جسمها ضربًا خطيرًا .. فتأثرت قشرتها الدماغية ومن خلال الأعراض والتحاليل التي بانّت عليها أكدّ الطبيب المعالج لزوجها بأصابتها بتسمم خطير جدًا .. وان المادة المسمّمة تدعى «الزرنيخ» تم دسّها في كوب حليبها صباحا فلم تكن هناك أية علامات على الحياة وبالرغم من ذلك تم تنفيذ عملية الإنعاش القلبي الرئوي ولكن بلا جدوى.

وبسبب الجائحة المرضية التي أصابت زوجته فقد تبدد على أثرها صحة «محمود بيك» كثيرًا وقوته الذهنية باتت شبه منتهية وفقد التركيز وصار يخلط بين الأشياء كلها .. أنها الشيخوخة المبكرة التي ضربته فجأة .. بسبب مرض زوجته بالتسمم.

\*\*\*\*\*

لم يكن «راسم» مرتاحًا من تقرير الطبيب الشرعي الذي طلب

فوراً فتح تحقيق مستعجل للاستبيان في موضوع التسمم الذي حدث عمداً .. فبعث برجاله لكي يُعاقبوا الدكتور العنيد الذي رفض أن يرضخ للرشاوي مقابل تحريف مجريات القضية .. وفعلاً تم تصفيته على الفور ورموه جثة متفحمة في إحدى المزابل .. بعد أن تم تعذيبه بشدة.

كان مستسلماً لهدوئه تحت خرير المياه الساخنة التي انسالت على رأسه وغطت أذنه وعزلته عن عالمه تخللت أصابعه فروة رأسه التي كان يحرثها خدرًا واسترخاءً .. ثم خرج من الحوض متشيئاً ووقف أمام المرأة عارياً وتطّلع إلى نفسه بكل رضى وخيلاء .. مسح بخار الماء وتطّلع إلى نفسه راضياً جلبت انتباهه شعرة تعمّدت أن تفضحه بياضها وعنادها عن باقي أخواتها فعاقبها بالتف على الفور فاصلاً إيها إلى الأبد عن جلد رأسه المثقل بهوس السلطة خرج من الحمام يلبس شورت وتي شيرت فبرزت عضلاته ووسامته اللتان أضفتا لشخصيته الهيبة .. كان هناك ضيف ينتظره قرابة ساعة في صالة الجلوس أراد أن يقف إحتراماً فردّه «راسم» بكف يده باسماً فمنعه من الوقوف بابتسامة من وجهه .. ربت على كتفه برفق ثم توجه نحو البار ليصب كأسين من الويسكي .. ناول الضيف كأس واحتفظ بالثاني لنفسه ثم اتخذ مجلسه على مقربة منه قائلاً :

- أهلا دكتور.. زيارة عزيزة.

بابتسامة صفراء سلّمه الدكتور ورقة مختومة ثم رجع بظهره إلى الوراء فخوراً بإنجازه ينتظر كلمة رضا من صاحب الطلب أخذ «راسم» الورقة وقرأها بصمت ثم ما لبث أن انفرجت شفتاه عن ابتسامة كانت مدفونة بينهما قائلاً :

- هذا هو الكلام المضبوط أنا تخلصت من التقارير المقرفة التي تنسب القضاء والقدر إلى جريمة ومحاوله بالقتل

كلمات فارغة كانت مكتوبة في التقارير السابقة .. سأستبدلها  
بهذه الورقة .. أتعبك ستصلك غداً وكما اتفقنا وقبل أن  
تغادر أعتقد بأن المريضة التي تعاني آلاماً يكفيها عذاباً  
ارحمها ولتذهب إلى دار حقها .. بدلاً من أن تتألم بلا فائدة  
من شفائها.

- أمرك «بيك» الليلة سرحمها.

\*\*\*\*\*

صكّت الدنيا أبوابها في وجهه فهام بصدمته وغامت الوجوه  
أمام عينيه المحشوة دمعاً تفجّر قطراته مع شوك الخبر الذي تلقاه  
رأها غير مصدق .. ودّعها إلى مثواها الأخير غير مصدقٍ تصلّب  
في مكانه وقد طلى المكان كآبةً لم يعتادها من قبل فقط مرّة واحدة  
ضربته موجة الفاجعة عندما توفيت والدته تركته بائساً للأقدار  
مع شريكة حياته الجديدة آنذاك.

لكنه لم يُصدق عينيه وهو يودع زوجته .. غادرته وتركته بين  
أمواج التحديّات يُصارع رعونة الحياة وحيداً ..

لم يثق يوماً بالدنيا لأنها مفعمة بالغدر .. سلبتها قساوتها كل أنواع  
الوفاء .. لكن كلمات الدكتور كانت كالخنجر في خصره وصل أذنيه  
فخرقتها .. بحزن مكلوم .. صُدم وتجمدّت أطرافه أراد أن يريح  
عجزته على الكرسي .. لكنه لم يساعده في تخفيف الوجع فتدحرج  
حزنه إلى قلبه وعقله وشلّت أطرافه وصار يبكيها ليل نهار .. ذلك  
الزوج الباسق الراشق نهشته غربان الأقدار في لحم قلبه .. لتتركه  
مكدوداً وجسداً مشدوداً وعينين متورمتين.

كم كان قوياً .. وكم أزاح من الرجال من أمامه ودّمهم ودّم  
مصالحهم .. عندما كانوا يسعون لهلاكه ولكنه قلب خطّهم

عليهم بذكائه .. واغتصب منهم نفوذهم وما لهم .. فقد كانوا  
رجالاً بلا رحمة فأزاحهم بعقل وحكمة.

## الفصل السابع عشر

كانت تصرفات ابنه كافية بأن يتكدر وجهه أكثر وأكثر .. بل لم يتوقع نفسه أنه سيلبد يوماً إلى طلب الحماية من الغرباء ولكنه صدم بقوة ابنه وأن عليه أن يستسلم للأمر الواقع .. فقد أعلن الجميع رفضهم واعتذروا من حمايته من شرّ ابنه .. لأنه الأقوى الآن في الساحة بالرغم من التغييرات السياسية التي تحتاج البلد .. لم يتوقع أنه سيسلم كل شيء وبسهولة إلى ابنه وبالإكراه وخاصة بعد أن حكمت المحكمة بشكل نهائي على صحة العقود والمستندات التي قدّمها لهم .. وأن الأملاك قد تم بيعها بعقد رسمي وقانوني .. وأن «راسم» قد ورث كل شيء من والدته بشكل شرعي لا غبار عليه .. خاصة أن الوصية المكتوبة كانت بشهادة أربعة أشخاص جلبهم بعد أن دفع لهم بسخاء كبير أهلكته بذلك تصرفات ابنه وكانت ضربة تحت الحزام ..

اشتدت حمرة وضاقت عيناه وارتجّ كفه يضرب على المكتب بغضب .. عندما قرأ عقد البيع والتنازل الغير مُقنع والمفاجئ لهذا الابن المزور.

كان ليلتها قد استغل وجود جثة أمه في الغرفة .. في حين كان يُحاط لها الكفن فأخرج السيدات من الغرفة ليختلي بها بمفرده بحجة وداعها .. فلم يستطعن السيدات الرفض فخرجن بهدوء كان والده في الخارج جالساً بين المعزين يبكيها وقد انهار كُلياً من الحزن على ما أصابه من هم وغم عظيمين .. فاستغل «راسم» انشغال الجميع فأخرج من جيبه ورقة بيضاء ثم بصّمها عليها بسرعة وأرجع الورقة إلى جيبه .. جلس لحظات يتمتم بكلمات وأدعية .. وذرف



دموع التماسيح عليها ويقلب بارد .. ثم خرج متظاهراً بالاستياء والحزن .. ثم سمح للنساء بإكمال إجراءات الواجب للجنة القابعة في الداخل.

كان جالساً بهدوء .. يُغلفه السكون في حديقة القصر مستسلماً لآشعة الشمس الساطعة .. قبل أن يقطع عليه خلوته ولده «راسم» ذلك الابن الغير لائق بهذه العائلة .. بابتسامته الصفراء سلّم على والده ثم اتخذ مجلسه أمام والده ..

كان ينظر إلى والده بنظرات شفقة .. ولعله سيكون صدمة غير منتظرة من هول الخبر الذي يحمله له وهو تجريد والده من كل سيادة بعد سنين طويلة من السيطرة والقوة .. قبل أن تنتهي به الآن بـ «اللا شيء» .. صبّ لنفسه فنجاناً من الشاي .. تطلع بعيون وقحة إلى والده الشارد .. الذي لم يبال بوجود ابنه وكأنه غير موجود .. كان شاردًا إلى حد بعيد .. ارتشف قليلاً من الشاي ثم قرر أن يكسر الصمت ويتكلم :

- والدي هل أستطيع أن آخذك إلى المكتب .. فهناك أمور مهمة يجب أن تتطلع عليها لو سمحت.

حرّك رأسه ببطء وثنأقل نحو مصدر الصوت ثم أجاب بوهن :

- ماذا تريد ؟

- هناك أوراق مهمة قد تمّ إثباتها في المحكمة .. و ...

- محكمة ؟ أية محكمة هذه وأي أوراق ثبوتية تتحدث عنها ؟

قالها مقاطعاً ...

- ممكن نناقش الموضوع في الداخل لأنني لا أريد أحدًا من الحراس أن يسمعوها ما ستتحدث عنه من أمور مصيرية.

بيطء وانحناءة سيطرتا عليه فمنعت ظهره من ان يحافظ على استقامته لينهض .. رفض يد «راسم» التي مُدّت إليه لتسنده وفضّل الدخول إلى الداخل معتمدا على نفسه وقوته التي تعثرت تحت ثقل سقمه.

كان «راسم» أثناء هذه اللحظة يلعب دور الرقيق والطيب الهادئ مع والده .. يبتسم ظاهريًا ومن الداخل يستولي عليه حب المال والسلطة .. يحاول قدر إمكانه أن يُطمئن من روع والده .. عندما يأتيه صوت والده أحيانا كثيرة نحيلة مكسورة الحروف .. فقد كان القلق الأسود يسبغ وجه والده .. الذي طالما كان رمزًا للقوة والشباب.

دخلا المكتب فتوجّه والده على الفور ليجلس خلف المكتب ولكن «راسم» قذفه بنظرة استنكار على هذا التصرف الذي اعتبره غير لائق بشخص تقاعد وما زال يعتقد بنفسه سيّدا فلم يمنعه من ذلك .. ولم يتفوه بينت شفة على تصرف والده .. فاتخذ ابنه مجلسه بشكل عادي على الكرسي المقابل لوالده .. ووضع حقيبته الجلدية على الطاولة التي أمامه ليُخرج منها بعض الأوراق ويسلمها إلى والده .. وبكل هدوء.

رنّ حزن في بحه صوت «محمود بيك» متسائلاً وهو يستعيد أمجاده التي فاتت :

- اعتقدت أنني تقاعدت وها أنت الآن تُثقلني بأوراق العمل مجدداً.

لكن «راسم» لم ينبس بينت شفة ولم ينطق بكلمة تصعق والده بل فضل أن يصعقه من خلال الأوراق .. كان يتحضر لردع عاصفة هوجاء أو لربما تكون ريحا خفيفة ستهبّ من عجوز متهالك

فتنتهي آثارها سريعاً .. لبس والده نظارته ثم مرّت عيناه على السطور وبدأ يقرأ مضمون الورقة .. بانّت علامات الفاجعة تُعلن عن نفسها شيئاً فشيئاً .. ولكنه حاول أن يجمع شتاته ولكن بلا فائدة .. فالانهار بدأ يأكله قليلاً قليلاً .. وفي النهاية لم يتمالك فزَعق رغم ضعفه وقد أخذت الرجفة منه مبلغاً عظيماً :

- ما هذا بحقّ الله؟ أي أموال تركتها لك والدتك ومتى؟ وأين؟ وأي عقد تنازل اعتمدت المحكمة عليه؟ أم اصدقاتك القضاة ساعدوك كالعادة مقابل الرشاوي العظيمة التي تغدقها بها جيشك من المحامين والقضاة والمسؤولين .. هل نسيت إخوتك يا ولد .. أنت مُزوّر.

قام «راسم» متضايقاً من زعقة أبيه ومن نعته الأخير له بالـ «مزوّر» وتقدّم بغضب نحو والده الذي أراد أن يقوم ولكن ابنه دفعه بقسوة وأعادته إلى الكرسي مرة ثانية قائلاً :

- لقد حجرت عليك أيضاً وأنت منذ اليوم تحت الإقامة الجبرية تقرير الطبيب يقول بأنك لست في كامل قواك العقلية وأن نسبة الخرف عندك قد استحوذ على صحتك وبات كل شيء فيك ينهار .. يعني لن يصدقك أحد ولن يسمعك أي شخص بعد الآن .. والدي العزيز.

لم يستطع أن يتحمل سيل الإهانات من ولده فصار يزعق بصوت متهدّج .. كان نشيج لهثه يفسر حمرة وجهه وقطرات عرقه :

- أنت مزوّر كيف تجرؤ على عزل والدك وأنا مازلت على قيد الحياة .. أخويك لن يسكتا .. «وسام» قادم مع زوجته و«مأمون» سيكون هنا في الأسبوع المقبل .. سيمنعك حتى لو تكن من تكون.

عبرت كلماته فوق رأس «راسم» هبًا أشعله غضبًا ثم صاح  
بوالده بعد نفاذ صبر :

- اهدأ قبل أن أخنقك أيها العجوز .. جميع الرجال في الخارج  
لن يسعفوك فكلهم أتباعي الآن .. اهدأ واستسلم لقدرك  
تقاعدك الشهري وخدمات إعالتك لن تتوقف عنك .. ولكن إن  
أجبرتني فسوف أعاقبك ولن تجد نفسك إلا وتتمنى الموت  
ويحك إن فكرت بالخروج .. بالمناسبة أنا غيرت اسم القصر  
ورفعت اللافتة التي كانت عليها اسمك ووضعت اسمي بدلًا  
من اسمك .. وإن حاولت الخروج من بوابة القصر فسيؤسفني  
أن أقول لك يا «سيد محمود» بأن رجالي لديهم أمر بالتخلص  
منك.

## الفصل الثامن عشر

لم يُصدّق ما جرى له لكنّه جرى فعلاً.

كان جالساً على سريره في غرفته التي صارت كعمّقل له في أواخر أيامه .. خائر القوى يههم متلعثم الكلمات تتقطع حروفها بين أسنانه تخرج متأكلة من حنق حلق مخنوق بالغضب :

- كيف لهذا العاق أن يعزلني ويحجر علي ويستولي على ممتلكات أمّه ! ويزور كل هذه الأوراق والمستندات ويزور إمضائي ويغتصب حقوقي كلّها وتحت غطاء قانوني كامل وأنا ما زلت حيّاً أرزق ! أين أنتما «مأمون ووسام» ؟ أين أنتما ؟ هل أنستك زوجتك والدك الذي ربّاك ؟ هل نسيتني وأنت الآن في أمريكا تحرّجت وتوظفت .. !

لم تمر سويّعات حتى أتاه الخبر اليقين عن مأمون .. خبر غير كلّ شئ في لحظة !

أحد حراس القصر وبتكليف شخصي من رئيسه «راسم» أمره بإبلاغ «محمود بيك» أنباءً كانت كافية بأن تندلع رعدة في جسد والده الطويل ما إن تلقى الرسالة وفتحها .. فانفجرت نبضات عروق رقبتة منتفضة لم يحتمل الأخبار بخصوص «مأمون» التي كانت فعلاً صادمة لا ترحم؛ فقد كان أمله في الحياة ومن المفروض أن ينقذه من هذا المأزق .. فارتعش هذا البدن الجسيم الفارع الذي ظهر عليه عبور السنين وعبراته وطعنات الأقرباء قبل الغرباء برماحهم ونصالهم .. تجمّدت نظرات الحارس على «البيك» بينما كان يبلغه شفويّاً أخباراً أخرى تقول بأن جهاز الأمن والاستخبارات

العراقي ألقيا القبض على ابنه وهو يُهرَّب بمساعدة من الضباط الآخرين شحنات أسلحة حديثة إلى شمال العراق .. ومن المرجح أن تكون الأسلحة متوجهة إلى المعارضة الكردية.

اقترب بوهن من سريره ثم سقط لا إرادياً بظهره على فراشه فأهتزت جنبات السرير كأن حمى الطاعون ضربته كان يتخبط فكّاه وشحب ملامحه وأبيض جلدته...

فأسرع الحارس إلى إبلاغ الجميع بالخبر .. فاحتاروا هل يتصلوا بالطبيب أم لا ؟ ولا سيّما و«راسم» لم يكن لا في مكتبه ولا في أي مكان معلوم لإعلامه بالخبر .. فقد كانوا يخافون من غضبه فيما لو ساعدوا والده .. فهل سيكون راضياً أم سيغضب فاجتهد أحدهم قائلاً :

- إنه والده ولن يُمنع في إسعافه دعوا الأمر عليّ لا تقلقوا.

ثم اتصلوا بالطبيب في الحال .. وتم جلبه على الفور بسيارة خاصّة .. وبعد أن فحص المريض أخبرهم بأنه أصيب بصدمة عصبية قوية ويجب نقله إلى المستشفى على الفور .. رفض الجميع ما قاله في البداية .. ولكن الطبيب هدّد وزعق فيهم غاضباً فأجبرهم على القبول وهو يهرف :

- هل أنتم أغبياء .. سأبلِّغ المسؤولين عليكم .. هذا الرجل ما زال مهماً لدى أغلب الجهات ولن أبرح هذا المكان حتى أنقذ حياته أو أهلك.

## الفصل التاسع عشر

- لقد قبضوا على عدد كبير من الجواسيس التابعين للمخابرات الاسرائيلية وعلينا أن نغادر هذا البلد في أقصى سرعة ممكنة لقد قبضوا على رجالنا وهم متلبسين .. حزب البعث يعمل جاهداً على كشف العملاء ولن نسلم منهم أبداً .. إذا تأخرنا فهذا يعني الموت بعينه .. لم تجرّبي سجون البعث بعد فهم سفلة وقتلة علينا أن نوقف كل النشاطات والخطط .. لقد أبلغت القيادة بذلك وسيتم قطع الاتصالات وأنا سأكون المسؤول الأول في تصفية كل نشاطنا وما نملك من الشركات .. أريد منك أن تكوني حذرة جدا هذه الأيام.

كان يتكلم مع «عفر» التي حضرت إلى مكتبه .. كان يتكلم بوجهٍ ملتهب بالحنق وقد وقف متخفياً وراء الستارة يسترق النظر من خلف الشباك الذي يطل على الشارع .. يتابع تحركات الدوريات العسكرية النشطة التي تجوب في الشوارع.

- هل كنت تعلم بأننا سنواجه مثل هذا اليوم يا حاج ؟

كان يفرك خاتمه ذو النجمة السداسية وكان يَقْطُرُ عَرَقًا فتصاعد أنفاس صدره بقلق وتوتر بالغين .. يتحول بياض مُقْلَتَيْهِ احمرارا بينما رأت «عفر» ارتعاش أطرافه ثم تتحول فتتشب متصلبة متشبته بالستارة .. بدأ يتكلم وقد استبان حروفه وألفاظه بعدما تاهت وشاht في حكايته لها :

- جميع الخطط يجب أن تتغير .. وأول شئ يجب فعله التخلص من «قادر بيك» وبأسرع وقت ممكن .. هذا الغبي لديه أشياء أن اعترف بها فسيكشف كل شئ .. لقد قسّمت

أشخاصًا لهذه المهمة ووضعت اسم هذا الغبي في أول القائمة  
وبدأت أيضا بتصفية كل الشركات التابعة لنا بأمر من القيادة  
وسأبأشر بإخلاء مكتبك وتصفية شركتك الوهمية .. وأيضاً  
سأبيع الملهى الليلي حالما تسنح الفرصة المناسبة .. ولكي  
نتهي من هذه الكارثة البعثية التي حلت علينا إلى الأبد.

غمغمت :

- وهدفي ؟

قذفها بنظرة استنكار ملتفتاً إليها بغضب ثم تقدم نحوها وقرب  
رأسه منها حتى التصق بوجهها وهمس بحق :

- «عفرا» هل أنت مجنونة ؟ هل تدرين أين هو الآن ؟ راقدي في  
المستشفى .. راقدي ومريض .. فاقد الوعي .. ولربما قد  
مات سريراً الآن .. يرافقه حارس شخصي .. الصراعات في  
هذه العائلة تكبر وتكبر .. ولا سيماً بعد أن ألقى القبض على  
«مأمون» .. أخوه المجنون هدد «وسام» من مغبة زيارة العراق  
وقال بأنه سيتخلص منه لو حاول أو حتى إن فكر بزيارة  
العراق .. لقد استولى على كل شيء .. وليس بعيداً أن يرسل  
رجاله ليقتل «وسام» أو حتى أن يذبحوا زوجته .. إنه مجنون  
يعدم كل شخص لا يطيعه أو يقدم ولاءه له .. لن أوافقك على  
رأي كهذا أبداً .. لقد زرعت عيوناً لنا في العراق وسأكلفهم  
بالقيام بهذا الواجب حال مغادرتنا قريباً.

حركة جسده الثقيلة في إيماءاته الضجيرة في إشارات يديه  
وشذرات عينيه وصوته الزاعق بلهجته وتبرمه من كلامها لا يخفي  
إحساسه بالتمني لو يقرر صدرها بخنجر مسموم ويسمع آهات  
الوجع وهي تنزف .. أو حتى يقرر صدر عدوها الذي بات جثة



هامدة على سرير طبي .

عنادها سيكلفها كثيرا .. في حين هو لا يرى فيها مرتبة عالية  
تستحق الاحترام بل غانية وراقصة ملاهي قديمة كبرت وأصبحت  
عجوزاً شمطاء .. بل لعله ظهر غير مبال أصلا بكلامها  
لوية رقبة سريعة وينهي كل القلق .. خلف نظارته تبرز عيوناً  
عازمة على قتلها .. قبل أن يضيع كل ويذهب ما فعله من أجل  
دولة إسرائيل أدراج الرياح .. كان يخفي قلقاً وغدراً تحت جلده كان  
يلهج في طلبه ويحاول أن يردعها في ترك الفكرة ولكنها عنيدة .. لن  
تترك البلد دون أن تأخذ بثأرها .

\*\*\*\*\*

لما فاتح «يعوديد بن يامين» أو «الحاج رضا» قيادات الموساد  
الإسرائيلية بنوايا «عفرأ» والتي أطلق عليها اسم المهزلة .. لأنها  
جاءت في وقت حرج جداً وأخبرهم بأن الخطة ستكلفهم الكثير في  
ظل هذه الأوضاع الصعبة التي يمر بها البلد في ظل حزب جديد  
وناقم ظهر بعدما أطاح بالملكية .. أتاه الرد النهائي في مساعدتها  
والثأر بأقرب وقت ممكن لها .. شرط أن يرافقها في العملية حارس  
شخصي ليس يهودياً وأن يتم الاتفاق مع الموظف الخفر لانجاز  
المهمة بأسرع وقت ممكن .. لم يستوعب «يعوديد» ما يجري ولماذا  
تصر القيادة على تلبية رغبتها بالانتقام من رجل انتهى عهده وولى  
زمانه إلى غير رجعة ؟

بعد أيام قليلة تم وضع الخطة لدخول المستشفى وتم إبلاغ  
«عفرأ» بأن تستعد لليلة الكبيرة .

## الفصل العشرون

في غبشة الفجر رجع إلى سكنه سكراناً .. لم يكن ينقصه الغم ليغمّه زائر غير متوقع .. بل حتى لم يعلن عن زيارته أو حتى ليستأذن صاحب الدار بدخول داره !

لم يُعلمه بأي شئ أو موعد للزيارة الخاطفة .. حتى قبل أن يغرر أول نصل سام ويطعنه في منتصف ظهره .. قبل أن يهوى في قرارة قلبه وخوفه من مؤامرة قادمة ومجهولة سوف تأخذه بغتة عن عالمه الحالي يطرد التطير وهذا ما نهاه عنه كثيراً من المسؤولين عن سلامته وهو يؤدي المهام المناطة به من قبل رجال الموساد.

ولكن ما الحل والمتأمرون أقوى منه !

تحسس خاتمه الذي أعطته له «عفرا» في أول مقابلة وأوصته بالألأضيعة أو ينزعه مهما كلفه الأمر لأن حياته مربوطة بالخاتم والتعرف عليه يتم من خلاله .. حيث يتعرفون عليه من قبل أعضاء المنظمة بعد أن يسألوه أسئلةً تؤكد هويته قبل أن يدققوا في الخاتم .. وليسمحوا له بالجلوس معهم واستحلاب كل معلوماته العسكرية والاستخباراتية التي يحصل عليها «البيك» العميل من قبل أصدقاءه العسكريين والقياديين حينما يستسلمون إلى إغراءات شهواتهم ونزواتهم الضعيفة أمام ما يقدمه لهم في كل مقابلة من مال ونساء كطعم ليقاوم .. وحذرتة أيضاً أنه بدون الخاتم سوف يخسر حياته لو أضعاه .. تعليقات واضحة وصریحة.

غشاء الخوف كان يلف قلبه ينخدش وهو لا يعلم سبب توتره المفاجئ الذي ضرب به .. لقد قاطعته المنظمات المسؤولة عنه طويلاً

وهذا الشيء جعله يقلق .. لا أحد كلفه بشيء جديد ولا أحد طالبه بالمعلومات التي جمعها مؤخرًا كما تجري العادة في كل شهر عندما يقابلهم للاستماع إلى كل ما هو جديد من تعليقات تخص عمله .

كان يترنح من شدة الثالثة .. وقف واجمًا يتأمل نفسه وطوله الفارع أمام المرأة الطويلة ثم أطرق يمتدح نفسه بكبرياء عالي :

- أنا «قادر بيك» من سلالة -بيت القاضي- .. وأنتم يهود كلاب لا ذمة عندكم ولا أمانة .. تحتاجونني فتجيئون إليّ زاحفين لكي تأخذوا مطالبكم مني

لم يكذب .. كل ما قاله صح .. قبل أن يخرج شبحٌ من تحت الأرض ويعاجله بطعنه سكين حاد انغرزت واخترقت عظامه وجلده .. فأخذ يتلذذ بتحريك السكين داخل جسد ضحيته والأخير يئنّ من شدة الألم .. همس الشبح في أذن ضحيته :

- نعم يهود ولكننا على عهدنا باقون .. لا نخون بلادنا ...

ضعفت مقاومة «قادر بيك» حتى ارتخت قامته وتمدد متوجعا على الأرض مخضبا بدمائه والقاتل يستمر في عملية الطعن وكأنه وجد أخيرا ما يتسلّى به ...

بعدهما تأكّد من موته .. أخذ يده ينوي إخراج الخاتم كآخر مرحلة من المهمة فأخذ اليد ثم أمسك بالإصبع الذي فيه الخاتم أداره حول الجلد دورتين ثم الثالثة فسحب الخاتم من ربة الإصبع مغمغماً :

- انتهت المهمة الأولى .. إلى التالي .

## الفصل الحادي والعشرون

صكّت الكلمات أذنيه وهي تهمس وتلهج بالحدث الذي ضرب «قادر بيك» في بداية هذا الفجر الأسود... فهام بصدمتها غامت الوجوه من المدراء والمعاونين عندما علموا بالخبر فحزنت الأنفوس المحشوة بتساؤلات عن سبب مقتله! تفجرت الأسئلة مع شوك الجملة الذي سمعوه من الاخبار التي تناقلت هذه الجريمة البشعة وغلفه الغموض.. فقام من مجلسه متصلبًا في مكانه حال تلقيه الخبر وقت الاجتماع مع مدرائه وأخبرهم فورًا بالفاجعة بصوت متهدج.. فصدّموا على الفور.

كان ينفثُ لهبًا في هواء ضاق حوله ضاقت عليه الحيطان وأطبقت الأسقف على صدره أراح عجيزته على الكرسي وكان قلقه قد طلى الاجتماع والمكان كآبة ونهر كل شخص يحاول أن يطفى قلقه الذي اشتعل وأحرق كل خططه التي كان يرسمها لهذا الرجل قبل التخلص منه من قِبَل أغراب لم يتحمل الصدمة فأمر الجميع بالخروج.

كأنه الآن مُقيّدًا إلى وَتَدٍ يفتته الصداً في أرض لا قرار لها قُتل الرجل لسبب ما.. أو لربما كان أحد الأسباب أنه يعمل لتنظيم معين.. جماعة معينة ظهرت بعد الثورات اللعينة فهذه الحياة مليئة بالأسرار رغم أنه يملك عقلاً ذكياً إلا أنه تعلم نتفاً منها.. لأن الحياة بحر عميق تغرق فيه أعتى المخلوقات.

كأن عظامه الآن ثقلت ووُضعت في كيس جلدي يحاول رفعها كان يزمّ على شفثيه بأسنانه بعصبية شديدة.. تصطك أسنانه ببعضها البعض ويحسّ في بعض الأحيان أنها وقعت من لثته المريضة عليه

أن يعرف ما يحدث ولماذا تم اختيار «قادر بيك» ذلك المعتوه ليقتلوه ! وبتلك الطريقة الشنيعة.

هناك أسرار تكمن وراء قتله .. حدسه لا يُخطئ دنا من مكتبه ورفع ساعة الهاتف ليجري إتصالاً مع أحد رجاله :

- أريد حراسةً مشددةً أكثر .. لتكون قريبة من والدي ..

- عذراً تم سحب الحراس بأمر من أمن المستشفى وبقي شخص واحد بصفة مرافق ولا يُسمح له بحمل السلاح.

لم يتحمل ما قاله الرجل فغضب بشدة :

- ماذا تعني سحب الحراسة ؟ «محمود بيك» راقد في العناية المركزية وليس هناك من يحرسه ؟ من سمح بذلك ولماذا لم تبلغوني يا حيوانات ! هل جُنَّ المدير أم ماذا ؟

- صدقني سيدي لقد حاولنا معالجة الأمر ولكن دون جدوى كل شئ تغير بعد الثورة .. ولكنهم سمحوا لنا بمرافق واحد فقط وبدون سلاح.

تحركت شفثاه بلا وعي قائلاً :

- اللعنة على هؤلاء .. والدي رجل مهم ويجب أن تتم حراسته بشكل لا يقبل الجدل .. سيقتل إن لم نضع له الحراسة .. علينا أن نتيقظ جيداً فبعد والدي ربما سأكون أنا الهدف .. سوف أحاول بعلاقتي أن أحصل على الموافقة بإرسال حراسة كافية له.

- ماذا تقول سيدي ... هل هناك خطة لقتله وهو غائب عن الوعي ؟

- لقد بعثوا بقاتل محترف ليقتل قريبه «قادر بيك» ....

قاطعته تتهات بالرجل :

- مممممم ماذا ... معقول ؟

- لن ینجو والدی من خطة أُعدَّت مُسَبَّحًا لاغتیهاله .. إنها أعمال  
تصفیه ولا أعرف مَنْ ورائها .. جهة قوية ولربما تكون دولية  
إذا وصلت هذه المجموعة إلى مكان والدی لیقتلوه .. فتلك  
ستكون إهانة لـ - بیت القاضي - .. تخیل ما سیحدث لاحقًا  
لنا .. کُن على اتصال مباشر مع المُرافق وأخبرني بكل شیء.

- حاضر سیدی.

أغلق سماعه الهاتف بانفعال وقلق مما یجری من الأحداث الخطیره  
التي حتمًا ستطول والده وأطرق یفکر .. كأن نشیجًا محبوبًا یفلت  
من الأعماق فجأة ثم یسترد كاللعاب إلى الداخل .

## الفصل الثاني والعشرون

رغباتها تلح عليها بالانتقام وقد اختارت القاتل أو الشخص الذي سيرافقها ليحقق لها حلمها بالانتقام وتغتال الرجل الذي طالما عاش ملكًا بين عائلته وورث الغنى والعيش الكريم عن أجداده ممن سبقوه في عالم التجارة عاش في قمة السعادة مع زوجته التي فقدتها حتى رُزق بطفل فاسد سرعان ما أنهى حياة والده ووالدته لينفرد بكل الأملاك وضرب بمعايير الأخلاق السامية عرض الحائط غير مكترثٍ بشرع الله بل هو أقرب من أن يكون ملحدًا .. مثل جدّه إن صحَّ التعبير الذي ضاجعها في القاهرة أكثر من مرة قبل أن يلقى حتفه ... غدراً.

هي تعلم بأن «راسم» هو من يجب أن يموت .. وستتولى أمره حينما تغادر بغداد وتدفع بالقاتل المحترف لأكمال مهمة التخلص منه .. هي ناقمة على -بيت القاضي- والأسباب شخصية ومعروفة ولكن والده مدين لها بانتقام يجب أن تنفذها ولو طال الزمان بل وقبل أن يموت بسلام.

لا تريد أن تقود الأنوف لإفشاء ميتته التي ستتم على يدها قريباً قبل أن تمثل في جثته حتى تُرضي «دانيال دانغور» في قبره وتنتقم من عدوّه أشد انتقام فلا تريد أن ترجع إلى إسرائيل خالية الوفاض تخمش بكل التفاصيل الصغيرة والكبيرة لمداخل المستشفى .. بل وحتى أسماء الخفراء الذين سيقمون في المستشفى ليلة تنفيذ المهمة الممرض الخفرتم شراءه وقد باع كل شئ دون تردد .. فلا خوف إذاً من الباقيين مادام الرجل سيتعاون مع الحارس لفتح الباب لتدخل مع حارسها لتنفيذ خطة القتل.

ترتشف بلذة نبيذها الأحمر وتخليه دم «محمود» تُقلّب بصرها بين ما ترشفه وبين ما تبقى ممتلئاً من مشروبها طوال الوقت تبلبل ريقها بكأس النبيذ فقد كانت العجوز الشمطاء بحاجة لتبقي لسانها طرية وطويلة.

وكمن تتهرب في أيامها الأخيرة في هذا البلد من المتابعة اللصيقة من قبل «يعوديد بن يامين» .. كانت تخفي عنه خطة طعن الضحية فالاتفاق هو أن يتم قتله بالخنق لكي لا تثير المسألة متاعب إضافية تفتح عليهم أبواب الجحيم .. فهم بصدد قتل رجل ما زال مهماً عند بعض الشخصيات وبقائه مهمة جداً لهذه الجهات المهمة ولكنها سوف تطعنه طعنة لا يفيق منها أبداً.

تنغر ذاكرتها كلما صفت وجبنت عن الموت ولولا «دانيال» لما كانت الآن سيّدة محترمة كما تعتقد هي .. التي توقفت عن فتح ساقئها رغماً عنها للرجال .. وتوقفوا عن صفع ما بين فخذها بأجر زهيد .. ثم تستقبل الآخر تلو الآخر .. بعد أن تنتهي من غنائها على المسرح .. حتى تلقفها ذلك المتأسلم المعتوه المدمن الذي حاول قتلها لولا فارسها اليهودي الذي خلّصها منه وساعدها في الاستيلاء على ثروته بالقانون الآن هي مستقلة بفضل عقلت وعاشت حياتها بسلام حتى وصلت هذا العمر رغم تورطها بالحاسوسية بغير موعد سابق مع الموساد...

جاءها الاتصال الذي كان سبباً في انفراج أساريرها :

- سيدتي كلّ شيء جاهز .. هل أنتِ جاهزة لهذا اليوم؟

- جاهزة في أي وقت شكراً.

ابتسمت .. أخذت نفساً عميقاً من سيجارتها بابتسامة كشفت عنه برضا كبير ثم صبّت في جوفها ما تبقى من النبيذ الأحمر.



## الفصل الثالث والعشرون

تَوَقَّفَ الرذاذ ولمعت الأشجار والحجارة وتَضَوَّعَتِ الأرض بِعِطْرِ  
جميل .

وَحَفَّتْ حرارة الشمس فأخَذَتْ بدورها تَزُبَّتْ على الأرض في  
حنانٍ وكأنها نبيل عظيم كانت قطرات المطر لا تزال تترقرق على  
أوراق الشجر، وفي هذا الجو الندي ساعة الأصيل كان الوجود  
يضحك ويبكي .

كانت أزهار الليمون في حديقة القصر تلمع في بياض ناصع  
بين الأوراق داكنة الخضرة، والأرض مُحَمَّلَةٌ بالزهور الباكئة وَسَرَّتْ  
ريحٌ دافئة أَنْعَشَتْ العصارَةَ في الفروع الوليدة فانبعثت الحياة في كل  
النباتات .

دخل مكتبه وبدأ باتصال هاتفي مهم :

- ألو .. نعم أستاذ أنا معك .. راسم .

أثناء ذلك دخلت شقراء وهي تيمس بقدها في دلال وجلست على  
الأريكة بهدوء تنصت باهتمام للحديث .

- غداً سيتم كل شيء .. سيدخلان بدون سلاح نارِي لِيتم  
القضاء عليهما بسهولة ولكن لو سمحت لي جنابك  
حضرتك تعلم أنني أسعى لِأَنْصِبَ سَيِّدًا على «بيت القاضي»  
وقد وعدتني بـ....

قاطعته الصوت بحدة :

- اسمع يا راسم ... افعل ما أمرتك به ولا تقلق بشأن الوعود  
مع تنفس الصباح ستجد نفسك سَيِّدًا ولا ينافسك أحدٌ على

منصبك .. أما حتى ذلك الحين فكل شئ أريده منك يجب أن  
تفذه الطاعة العمياء مهمة جداً .. الوقت تأخر الآن ليلة  
سعيدة.

أُغْلِقَ الخَط.

أَحَسَّ «راسم» بنشوة كبيرة حينها نهضت الفاتنة وتقدمت نحوه  
واحتضنته قائلة :

- إذا كل شئ سيكون لنا وسنعيش بسلام ونتزوج.

كان وجهها كالشمس نضرة متوردة مستديرة جَذَلَة شقراء جمعت  
بين الدلال العراقي وجمال تركي .. زرقاء العينين.

- لن أخرج من هذه اللعبة خالي الوفاض فمصيري الآن بين  
نجاح العملية أو لا.

قالها وهو يمسح بيديه على وجهها وذراعيها المرمريين وصدرها  
نصف العاري الذي يعلو وينخفض من لوعة أنفاسها الحارة  
المنتصرة، وَلَّتْ أفكاره مستقرة على عشيقته التي تفيض خفة  
وغواية يحدق إليها .. يتملأها بعينه يُمَتِّعُ ناظرَيْه معجباً بالثدي  
النافر والخصر النحيل والأطراف البضة قائلاً بتنهيد :

- في سبيلك أفعل كل شئ.

- بل في سبيل مصلحتك يا راسم تبع كل شئ.

كان لها عقلٌ ماضيٌّ كحد الموسي تعرف خبايا عشيقها قبل أن  
ينطق بها

## الفصل الرابع والعشرون

ألصق ظهره بالجدار وكأنّ الجدار بدأ يهتز من رعشة بدنه أحسّ بذلك بعدما شاهد شرطي قادم نحوه مباشرة ولكنه اتخذ طريق السلام طريقاً بعدما انعطف فجأة وبدد مخاوف الزائر الغريب .. راقبه وهو يصعد في هدوء إلى الأعلى شعور غريب انتابه فجأة كقاتل وهو ماذا يفعل هذا الشرطي في هذه اللحظة هنا .. التحول حسب علمه ليس مهمته المفروض أنه متواجد في الاستعلامات لأن يطوف طوابق المستشفى ! أم لعله أحسّ بشيء من النعاس وخرج ليقتضي على كسله الذي انتابه من أثر الراحة والجلوس الطويل على مقعده ..

الموظف الخفر أكدّ له بأن كل شيء على ما يرام ولكنه لم يذكر له بأن هناك شرطي في المستشفى .. يا تُرى كم عددهم ؟

أدار عنقه وخرج بعينه تطلان من رأسه على ذلك الممر الفارغ الواسع للمستشفى وقد خلا بهدوءه وعمته النسبية من عبور أو مرور .

كانت دقات قلبه أعلى صوت في ذلك المكان .. الذي كان خاليًا تمامًا من الهمهمة والغمغمة لتعلن بذلك عن انتصاف الليل الذي هبط بظلامه الدامس الهادئ ليعلن وقت النوم الطويل كان قلقاً لسبب ما خاصة بعدما رأى الشرطي يتجول في طوابق المستشفى .. لو يقتله فتلك مشكلة كبيرة لو اضطرّ إلى ذلك .. كان موقعه كما بداله منضبطاً ومُوفّقاً ولهذا اختار الوقت المناسب لاجتياز الردهة والانعطاف يمينا .. وكان يمشي لصق الحائط إلى أن وصل ردهة فرعية على الجانب الأيمن من الطريق .. حيث لا

توجد سوى غرفة واحدة .. فمال برأسه ورأى كرسي فارغ جنب الباب الموارب .. فاستاء لعدم وجود الحارس واختصار الوقت بقتله بطريقة ما .. عدم وجوده الآن سيظل من وقت المهمة التي يريد إنجازها بالسرعة الممكنة ومن ثم يعود بسيدته عن طريق الممر الخلفي للمستشفى حيث تنتظرهما سيارة سوداء لتقلّهما خارج المستشفى بأمان .. يريد إنجاز مهمته قبل أن يصنع طلوع الفجر تعقد خيطي الفجر فتقرر راحته بل ولربما تقضي عليه.

رجع قافلاً من حيث أتى فدخل إحدى الغرف حيث كانت تنتظره.

استفسرت :

- هل وجدته ؟

- الحارس غير موجود لقد ترك المكان .. أعتقد أنه بالداخل أو في مكان ما قريب .. عليّ التخلّص منه في مكان مناسب .. لم يخبرني الموظف بأمر الشرطي الذي يتجول ليلاً و...

قطع عليها الحديث الموظف الذي دخل فجأة فقال على عجل :

- الحارس في الحمام .. المُسهّل بدأ يُفَعّل دوره وسيأخر كثيراً رائحة الحمام عفنة جداً .. ممّا سيجعل تنفيذك للمهمة أكثر سهولة.

- أين الحمام ؟

- آخر الردهة على اليسار.

قالها وهو يُسلم له مفتاحاً طويلاً ...

لم ينتظر القاتل طويلاً فخرج بسرعة لياغت الحارس بأجله.

اجتاز عدد من الردهات حتى وصل مكان الحمامات .. حيث

كان بصيص الضوء الناحل من فتحة الباب الذي كان مفتوحاً قليلاً هي وحدها التي ترمي نوراً على عتمة الردهة المظلمة اقترب من القاعة التي تضم الحمامات والمغاسل قبل أن يتفقد خنجره بيده يُجهزه لكي يباغت غريمه بضربة قاضية فيث فيه سم الخنجر أو يشق عرق دمه كان يواظب على ألا ينكشف مكمته أو يشير شكوك الحارس الذي ملأ المكان برائحته القذرة جرّاء المسهل الذي دسّ له مع الشاي من قبل الموظف.

فتح باب القاعة الذي كشف عن احتوائه لعدد من الحمامات فمسح ببصره القاعة حتى لمح أحد الأبواب وهو مغلق .. فعرف أنها مصدر هذه الرائحة الكريهة؛ فالحارس يعاني من إسهال شديد لا يكاد ينتهي من مصيبة حتى تنزل عليه أخرى .. وهو يتألم من شدة الإسهال .. إذًا قبل أن ينتهي ويخرج .. على القاتل أن يتخلص منه.

غطّى أنفه بيده قبل أن يدخل بسرعة إلى القاعة ثم أغلق الباب من ورائه .. كان يتحامل على نفسه لإكمال مهمته بالسرعة الممكنة والتخلص من صاحب الرائحة .. اقترب من الحمام ودقّ بأصبعه على الباب دقتين متتاليتين .. غضب الحارس ولكن القاتل لم يبال بغضبه بل زاد من دقاته بكثافة :

- اخرج الشرطة معك.

ارتبك الحارس مُنهيًا إقامته الجبرية ثم همّ بفتح الباب .. فعاجله القاتل بضربتين على وجهه فترنح الحارس وسقط على الحائط لم يمهل القاتل فرصة ليستوعب ما يحدث فعاجله على الفور بطعنات من خنجره المسموم حتى اطمأن من مقتله .. ثم انسحب بسرعة إلى الخارج بعد مسح الدماء من يديه .. أغلق باب القاعة ثم دس فيه المفتاح ليقفل الباب ليمنع دخول أحد إلى الحمامات وينكشف

أمر المقتول .. عاد من حيث أتى .

«عفرا» كانت تنتظره مع الموظف بأحرّ من الجمر .. لمحت في  
ملابسه الداكنة بقع الدماء فأبتسمت له وكافأته بالشكر من خلال  
نظراتها الراضية على أداءه .

كانت كراهيتها لـ «محمود بيك» تسابق دمها في عروقها .. حتى  
صارت أنفاسها كبخار غليان لا تسعه القدر .. أعاد القاتل المفتاح  
إلى الموظف ثم التفت إلى «عفرا» قائلاً :

- لنقتله الآن .. فلن يستغرق ذلك طويلاً .. ستقتليه بيديك  
وتشفين غليلك منه .

أومات برأسها موافقة ثم خرجت تتعقبه وهو يجتاز الردهات  
تلو الأخرى .. ويشير لها بأن تتبعه .. كانت حبات العرق تكسي  
وجهها ...

\*\*\*\*\*

كل هذه السنوات .. صاحب فيها أنواع الرجال بمختلف ألوانهم  
وميزاتهم الاجتماعية .. من وزراء ورجال المافيا ورجال الأعمال ولم  
يرَ أو يسمع أن أحدهم قد غدرَ بهم مثلما فعل ابنه به من أعمال  
تعدُّ جرمًا في حق والديه .

نشف من بلل الدمع حتى حين كان يتضرع لله لا يجدي في المآقي  
شيئًا يعينه على تقوى مقطرة دمعًا .

سيموت يومًا وستأرجح الأكتاف في حمل نعشه ولكن أي نوع  
من المشيعين سيشيعيون جثته إلى مثواها الأخير ! أصدقائه وعشيرته  
! أم رجال ابنه الضال اللذين صقوا رجاله من الأوفياء وتركوه  
وحيدًا لا حول له ولا قوة .. سيرمونه داخل الحفرة ويتركونه حتى  
بدون صلاة تُصلّى عليه .

كَبُرَ فِي السَّنِّ .. بعد سنوات شباب طوال .. وشاخ في الجسد  
وضلَّ ذلك الرجل الكبير الذي طالما وعد وهدد ونفذ وانتقم  
ولكن على حق .. بين سرير يفترشه للمرض وبين قلق وتفكير  
أوجع له رأسه وعظمه.

انسلاً من خلف وصيد الباب ...

اقتربت منه فرأته مُسجَّ على الفراش بين الموت والحياة  
ميتٌ سريراً ...

أخرجت خنجرها ثم زاحت الغطاء عن جسده ببطء ...

فبان عوده وقد نحف وجلده وقد نحل .. وبان وجهه شاحباً  
مغمض العينين منهدل اللحية تَمَّرت فجأة ثم مالت برأسها عليه  
هامسة في لأذنه :

- والدك كان له معي قصة عشق لأيام ولكنها لم تدم أوهل هذا  
أنت الآن بين يدي وقد تقدّم بك السن ! لكم أرهقتني وأنا  
أكبرك أعواماً نحلّ عودك أما أنا مازلت أقوى منك رغم ما  
لاقيتُهُ من عذابات في صباي .. لقد قتلتني حينما قتلت  
«دانيال» قتلت رجلاً كنت أعده طيلة حياتي فكيف أترك  
ثأري وهو صاحب الفضل عليّ أليس من حقي أن أردّ له  
الجميل يا «محمود بيك»!

هنا تدخّل الرجل بعدما ملّ من الانتظار ليذكرها بأن الوقت  
يمر بسرعة :

- انجزني سيدي بسرعة أرجوك ... لو تشائين أقتله لك في  
ثواني.

التفت إليه وكانت متلبسة بجنون كشف عن وجهه يخيف  
رمقته بنظرة حائقة فلاح في ملامح الرجل قليلاً من الخوف :

- إذًا ما فائدة رجوعي لبلد لم أرى فيه سوى الذل يا هذا.

تنمّرت عيناها واحمّرتا أكثر وهي تمسك بمقبض الخنجر بقوة اجتاحتها فجأة غلظة غريبة فتذكرت والده المعتوه تذكرت كيف قضى يومه الأخير معها في ليلة اصطكت فيها الأوراك وضّمت الأرداف ورُفعت السيقان فاندلعت فيها نار الثأر .. في صدرها ووجهها أطلقت أنفاسها المخنوقة في صدرها هذا الكره العميق كان يغلي في بؤبؤي عينيها كانت تحمر وتشتعل وتبظ وتجحظ ثم أشهرت خنجرها المسنون المدبب ورفعته عاليًا بكلّتي يديها ركزت نظرها على جسده الميت سريريًا ثم هوت به تضرب صدره فعنقه فينفجر الدم مثورا عليها كان آخر ما سمعته منه أنينًا خافتًا من وجع الضربة .. قبل أن يغرق جسده بالدم حتى طرطش في وجهها فتفاجأ القاتل مما رأى من وحشية امرأة لم يظن بأن يصدر منها كل هذا العنف بسبب نقيتها على شخص قتل رجلًا عزيزًا عليها .. حتى أوقفها بيديه يحاول أن يبعتها عن الجثة التي غرقت بالدماء وبدأ الدم يسيل من حواف الغطاء على الأرض بغزارة .. كانت تلهث بشدة .. فأجلسها على الكرسي يهدأ من انفعالها.

وبينما هو مشغول معها .. يمسح آثار الدماء من وجهها ويهدئ من روعها .. دخل عليها الموظف شاهراً كاتم الصوت ابتسم لهما ثم أطلق على جبين كل واحد منهما رصاصة رحمة فأرداهما مقتولين في الحال.

مضى زمن يسير وهو مشغول يتفحص الجثتين بدقة .. قبل أن يدخل عليه الشرطي .. فعاجله بعدة طلقات من مسدسه الكاتم قبل أن يلتفت الموظف لهذا الدخول المباغت ولكنه لم يستطع أن يدافع عن نفسه .. وكانت آخر رصاصة في رأسه أردته صريعاً على



الأرض.

لاحت من الشرطي نظرة إلى «محمود بيك» الغارق بالدماء  
اقترب منه .. أكثر وأكثر .. كان قد رأى صوت نَفَس رَفِيعًا حَادًّا  
متغرغرًا ونبض ضعيف رمق حياة في جسده .. فَصَوَّبَ مسدسه  
نحو رأسه وأطلق عليه رصاصة كانت كفيلة بإنهاء اللعبة.

لم ينتظر طويلًا حتى غادر المكان لإبلاغ السلطات بجريمة قتل  
مروعة لأشهر وأهم رجل في البلد -عَرَّاب بيت القاضي الأخير-

**تمت**

## أعمال سابقة

- ١- الحريق والرماد ( خواطر )
- ٢- الصرخة ( رواية )
- ٣- نسرین ابجدية العشق ( ديوان شعر )
- ٤- نسرین ( مجموعة قصصية )
- ٥- حواء ( خواطر )
- ٦- عصر النساء ( خواطر )
- ٧- قارئة الفنجان ( خواطر )
- ٨- كهرمانة والغزاة
- ٩- من يوميات رجل حزين ( خواطر )
- ١٠- قصائد ثائرة ( شعر )
- ١١- نساء على كفّ الربّ ( شعر )
- ١٢- نسرینيات ( شعر )
- ١٣- اسطنبول ( خواطر )
- ١٤- اعترافات الحبّ ( خواطر )
- ١٥- المجزرة ( خواطر )
- ١٦- الوهم ( خواطر )
- ١٧- بغداد ( ديوان شعر وخواطر )
- ١٨- تأملات ( خواطر )

## المؤلف في سطور

- ولد في بغداد ١٩٧٤
- بدأ في الكتابة في سن مبكرة وهو في سن ١٥ عاما من عمره
- كتب في منتصف الثمانينات رغم صغر سنه عدد من المسرحيات و٣ روايات تتحدث عن مصر القديمة متأثرا بشخصية نجيب محفوظ كما ألف رواية بوليسية.
- شارك ومثل في عدة ادوار في مسرحيات عراقية في الثمانينات
- دخل معهد إعداد المعلمين وفقد والده ومن ثم جاءت حرب الخليج الاولى ليؤثر سلبا على حياته
- دخل الاعلام والتوجيه السياسي عام ١٩٩٢ وعمل في مجلات كما كتب عدة مقالات مهمة كانت سبب خروجه من العراق عام ١٩٩٩ رغم إنه كان مرشحا للمعهد ضباط الامن العالي إنذاك
- كتب في الغربة عدة مقالات للصحف المهمة
- اكمل دراسته في لندن وعمل كصحفي ومن ثم بدأ بنشر خواطره الخاصة بناءا على طلب بعض دور النشر الالكترونية ثم بدأ بكتابة اول رواية له "المصير" مذكرات مواطن عراقي
- له اول ديوان يتألف من ١٦ رواية شعرية بالشعر العربي المقفى وهو ديوان "رسالة لرجل في الاربعين"
- حصل على عدة جوائز من مختلف الجهات الادبية التي تهتم بالادب وله عدة لقاءات صحفية وتلفزيونية
- يجيد التكلم ٦ لغات

# الفهرس

٧	التمهيد
٩	شكر وتقدير
١١	الدرس الأول
١٣	الدرس الثاني
١٥	البيت الأول
١٧	الفصل الأول
٢٤	الفصل الثاني
٣٠	الفصل الثالث
٣٩	الفصل الرابع
٤٦	الفصل الخامس
٥١	الفصل السادس
٥٥	الفصل السابع
٦٢	الفصل الثامن
٦٦	الفصل التاسع
٦٨	الفصل العاشر
٧٢	الفصل الحادي عشر

٧٦	الفصل الثاني عشر
٨٣	الفصل الثالث عشر
٨٩	الفصل الرابع عشر
٩٧	الفصل الخامس عشر
١٠٤	الفصل السادس عشر
١١١	الفصل السابع عشر
١١٥	الفصل الثامن عشر
١١٩	البيت الثاني
١٢١	الفصل الأول
١٢٥	الفصل الثاني
١٣١	الفصل الثالث
١٣٦	الفصل الرابع
١٣٨	الفصل الخامس
١٤١	الفصل السادس
١٤٧	الفصل السابع
١٥٠	الفصل الثامن
١٥٣	الفصل التاسع
١٦٠	الفصل العاشر
١٤٦	الفصل الحادي عشر
١٦٩	الفصل الثاني عشر

١٧٤	الفصل الثالث عشر
١٧٨	الفصل الرابع عشر
١٨٠	الفصل الخامس عشر
١٨٨	الفصل السادس عشر
١٩٢	الفصل السابع عشر
١٩٧	الفصل الثامن عشر
١٩٩	الفصل التاسع عشر
٢٠٢	الفصل العشرون
٢٠٤	الفصل الحادي والعشرون
٢٠٧	الفصل الثاني والعشرون
٢٠٩	الفصل الثالث والعشرون
٢١١	الفصل الرابع والعشرون
٢١٨	اعمال سابقة
٢١٩	المؤلف في سطور

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر  
أو طبع محتوى الكتاب بأي صورة من الصور بدون موافقة كتابية من  
المؤلف ومن يخالف ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية.

الموقع الإلكتروني

[www.facebook.com/riyadalkadiblogs/](http://www.facebook.com/riyadalkadiblogs/)

رقم الايـداع : ٢٧٩٥٠ / ٢٠١٧

الترقيم الدولي : ٦ - ٧٢٨٩ - ٢٠ - ١٩٨ - ٩٧٨